

الجزء الثالث من كتاب

أمالي السيد المرتضى

الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ رضي الله عنه

في التفسير والحديث والأدب

الطبعة الأولى

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)

(على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

(صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه)

حضرة الشيخ أحمد بن الامين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسمعيل)

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس آخر ٤١

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (فأين تذهبون إن هو إلاّ ذكر للعالمين) الى آخر الآية ٠٠ فقال ما تأويل هذه الآية أوليس ظاهرها يقتضى أنّا لا نشاء شيئاً إلاّ والله تعالى شاءه ولم يخص إيماناً من كفر ولا طاعة من معصية ٠٠ الجواب قلنا الوجه المذكور فى هذه الآية ان الكلام متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة لانه تعالى قال (لمن شاء منكم أن يستقيم) ثم قال (وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله رب العالمين) أي ما تشاؤن الاستقامة إلاّ والله تعالى مريد لها ونحن لا ننكر أن يريد الله تعالى الطاعات وانما أنكرنا ارادته المعاصى وليس لهم أن يقولوا تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومه كما ان السبب يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه وذلك ان الذى ذكروه انما يجب فيما يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل ٠٠ وقوله تعالى (وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله) لا ذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه واذا علق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على انه لو كان للآية ظاهر يقتضى ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالأدلة الثابتة على انه تعالى لا يريد المعاصى ولا القبائح على ان مخالفينا فى هذه المسئلة لا يمكنهم حمل الآية على العموم لأن العباد قد يشاؤن عندهم ما لا يشاءه الله تعالى بان يريدوا الشيء ويعزموا عليه فلا يقع مانع ممتنعاً كان أو غيره وكذلك قد يريد النبي عليه الصلاة والسلام من الكفار الايمان وقد تعبدنا بان يريد من المقدم على القبيح تركه وان كان تعالى عندهم لا يريد ذلك اذا كان المعلوم انه لا يقع فلا بد لهم من تخصيص الآية فاذا جاز لهم ذلك بالشبهة

جاز لنا مثله بالحجة ونجرى هذه الآية مجري قوله تعالى (ان هـذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله) وقوله تعالى (وما يذكرون إلاّ أن يشاء الله) في تعلق الكلام بما قبله ٠٠ فان قالوا فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم من وجه آخر وهو انه عز وجل قال (وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله) وذلك يقتضى انه يشاء الاستقامة فى حال مشيئتنا لها لأن أن الخفيفة اذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال وهـذا يوجب انه يشاء أفعال العباد فى كل حال ويبطل ما تذهبون اليه من انه انما يريد الطاعات فى حال الأمر ٠٠ قلنا ليس في ظاهر الآية إنّا لا نشاء إلاّ ماشاءه الله تعالى فى حال مشيئتنا كما ظننتم وانما يقتضي حصول مشيئته لما نشاءه من الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر ويجرى ذلك مجرى قول القائل مايدخل زيد هذه الدار إلاّ أن يدخلها عمرو ونحن نعلم انه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولهما في حالة واحدة بل لا يمتنع أن يتقدم دخول عمرو يتلوه دخول زيد وان الخفيفة وان كانت للاستقبال على ماذكر فلم يبطل على تأويلنا معنى الاستقبال فيها لأن تقدير الكلام وما تشاؤن الطاعات إلاّ بعد أن يشاء الله تعالي ومشيئته تعالى قد كانت لها حال الاستقبال وقد ذهب أبو عليّ الجبائي الى انه لا يمتنع أن يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال وان كان قد أرادها في حال الأمر كما يصح أن يأمر بها أمراً بعد أمر قال لانه قد يصح أن يتعلق بارادته ذلك منّا بعد الأمر وفي حال الفعل مصلحة ويعلم تعالى أنّا نكون متى علمنا ذلك كنا الى فعل الطاعات أقرب وعلى هـذا المذهب لا يعترض بما ذكروه ٠٠ والجواب الأول واضح اذا لم نذهب الى مذهب أبي عليّ فى هـذا الباب على ان اقتضاء الآية للاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم لأن الكلام اذا اقتضى حدوث المشيئة وأبطل استقبالها بطل قول من قال منهـم انه مريد لنفسه أو مريد بارادة قديمة وصح ما نقوله من ان ارادته محـدثة مجددة ٠٠ ويمكن في تأويل الآية وجه آخر مع حملنا إياها على العموم من غير أن نخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة ويكون المعنى وما تشاؤن شيئاً من فعالكم إلاّ أن يشاء الله تمكينكم من مشيئتكم واقداركم عليها والتخلية بينكم وبينها وتكون الفائدة فى ذلك الإخبار عن الافتقار الى الله تعالى وانه لا قدرة

للعبد على ما لم يقدره الله تعالى عز وجل وليس يجب عليه أن يستبعد هذا الوجه لأن ما تتعلق به المشيئة في الآية محذوف غير مذكور وليس لهم أن يعلقوا قوله تعالى (إلاّ أن يشاء الله) بالأفعال دون تعلقه بالقدرة لأن كل واحد من الأمرين غير مذكور وكل هذا واضح بحمد الله .. ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فما يختار قوله من قصيدة أولها

طَرَقَتْك زَائِرَةً فَحَيِّ خَيالَها ... بَيْضاءُ تَخْلِطُ بالحَياءِ دلاً لها

يقول فيها

مالَتْ بِقَلْبِكَ فاستَقادَ ومِثْلُها ... قادَ القُلُوبَ إلى الصِّبا فأمالَها

فكأنَّما طَرَقَتْ بِنَفْحَةِ رَوْضَةٍ ... سَحَّتْ بِها دِيَمُ الرَّبِيعِ طِلالَها

باتَتْ تُسائِلُ في المَنامِ مُعَرِّساً ... بالبِيدِ أَشْعَثَ لا يَمَلُّ سُؤالَها

في فِتْيَةٍ هَجَعُوا غِراراً بَعْدَما ... سَئِمُوا مُراعَشَةَ السُّرى ومِطالَها

[قال المرتضى] رضي الله عنه ــ المراعشة ــ هي تحريك الرأس في السير من النوم

فكأنَّ حَشْوَ ثِيابِهِمْ هِنْدِيَّةٌ ... نَحَلَتْ وأَغْفَلَتِ العُيُونُ صِقالَها

أما ذكره في أول القصيدة طروق الطيف فانه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب [1] وقد قال الناس في طيف الخيال فأكثروا . وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم الى معنى كل الناس فيه عيال عليه وهو قوله

---

(١) قوله فانه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب الخ . قلت أما العلماء المتقدمون فانهم استحسنوها روى ان مروان بن أبي حفصة جاء الى حلقة يونس فسلم ثم قال أيكم يونس فأومؤا له اليه فقال له أصلحك الله إني أرى قوماً يقولون الشعر لأن يكشف أحدهم سوأته ثم يمشي كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر وقد قلت شعراً أعرضه عليك فان كان جيداً أظهرته وان كان رديئاً سترته

أنّى سربت وكنت غير سروب وتقرّب الأحلام غير قريب[1]

ما تمنعي يقظي فقد تؤتينه في النوم غير مصرّد محسوب

كان المنى بلقائها فلقيتها فلهوت من لهو امرئ مكذوب

وقد أحسن جرير في قوله

اتنسى اذ تودّعنا سليمى بفرع بشامة سقي البشام

بنفسي من تجنّبه عزيز عليّ ومن زيارته لمام

ومن أمسي وأصبح لا أراه ويطرقني اذا هجع النيام

وهذه الابيات وان خلت من معنى فى ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظ مستعذب ..ولأبي عبادة البحتري فى وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر فانه تغافل

فأنشده * طرقتك زائرة فحي خيالها * الخ فقال له يونس ياهذا اذهب فاظهر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى فى قوله * رحلت سمية غدوة أجمالها * فقال له مروان سررتني وسؤتني فأما الذي سررتني به فارتضاؤك الشعر وأما الذي ساءني فتقديمك إياي على الأعشى وأنت تعرف محله فقال انما قدمتك عليه فى تلك القصيدة لا في شعره كله لانه قال فيها * فأصاب حبة قلبه وطحالها * والطحال لايدخل في شيء إلاّ أفسده وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه ..وقصيدة مروان هذه مدح بها المهدي ولما أنشده إياها زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع ثم قال كم هي قال مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم فكانت أول مائة ألف درهم أعطيها شاعر في أيام بني العباس وهذا دليل على حسنها

(١) قوله سربت ــ السارب ــ الذاهب على وجهه فى الأرض ورواه ابن دريد سربت بباء موحدة لقوله وكنت غير سروب ومن رواه سريت بالياء باثنتين فمعناه كيف سريت ليلا وأنت لا تسربين نهاراً

في أوصافه واهتدي من معانيه الي ما لا يوجد لغيره وكان مشغوفاً بتكرار القول فيه لهجاً بابدائه وإعادته وان لأبي تمام في ذلك مواضع لا يجهل فضلها ومحاسن لا يبلغ شأوها فمما لأبي تمام قوله

زَارَ الخَيالُ لهَا لاَ بَلْ أَزَارَكَهُ ... فِكرٌ إِذَا نامَ فِكرُ الخلْقِ لمْ ينَمِ
ظَبْيٌ تَقَنَّصتُهُ لمَّا نَصبتُ لهُ ... فِي آخرِ اللَّيلِ أَشْرَاكاً منَ الحُلُمِ
ثُمَّ اغْتدَى وبنَا منْ ذِكرِهِ سقَمٌ ... باقٍ وإنْ كانَ معْسُولاً منَ السّقَمِ

وقوله

عادكَ الزَّوْرُ ليْلةَ الرَّملِ منْ ... رَملَةَ بيْنَ الحمى وبيْنَ المطالِ
ثُمَّ مازارَكَ الخيالُ ولـكِنْ ... لكَ بالفِكرِ زُرْتَ طيفَ الخيالِ

وقوله

اللَّيْلُ لي أحنى بقلبي إذَا ما ... جرَحتْـهُ النَّوى من الأيامِ
يالهـا ليلَةٌ تنَزّهتِ الأرْ ... واحُ فيها سرًّا منَ الأجْسامِ
مَجلسٌ لمْ يكُنْ لنا فيهِ عيْبٌ ... غيرَ أنَّا فِي دَعوَةِ الأحلامِ

فأما البحتري فقوله في هذا المعنى أكثر من أن يذكر جميعه ههنا غير أنَّا نشير الى نادره في ذلك قوله

فلاَ وصلَ إلاَّ أنْ يُطيفَ خيالُها ... بنا تحتَ جُوشُوشٍ منَ اللَّيلِ أسفَعِ
ألمَّتْ بنا بعدَ الهُدُوِّ فساعَفَتْ ... بوصلٍ متى نَطْلبْهُ في الجدِّ تمنَعِ
ومابرحتْ حتَّى مضَى الليلُ وانقضَى ... وأعجلَها دَاعِي الصَّباحِ الملمَّعِ
فولَّتْ كأنَّ البيْنَ يخلجُ شخصَها ... أوانَ تولَّتْ منْ حشَايَ وأضلُعي
ورُبَّ لقاءٍ لمْ يُؤَمَّلْ وفُرْقَةٍ ... لأسْماءَ لمْ تحذَرْ ولمْ تتوَقَّعِ

أرَانِي لاَ أنفَكُّ في كلِّ ليلةٍ تُعاوِدُ فيها المالِكيَّةُ مَضجَعِي
أُسَرُّ بقُربٍ من مُلِمٍّ مُسلِّمٍ وأشجَى ببَينٍ من حَبيبٍ مُودِّعِ
فَكانَ لنا بعدَ النَّوَى من تفرُّقٍ تُزجّيهِ أحلامُ الكَرَى بالتَّجمُّعِ

وكقوله

وإنّي وإن ضنّتْ عليَّ بودِّها لأرتاحُ منها للخيالِ المؤرِّقِ
يعِزُّ على الواشينَ لو يعلمونَها ليالٍ لنا نزدارُ فيها ونلتقي
فكم غُلّةٍ للشوقِ أطفأتُ حرَّها بطيفٍ متى ما يطرُقِ الليلُ يطرُقِ
أضُمُّ عليهِ جفنَ عيني تعلُّقًا بهِ عندَ اجلاءِ النُّعاسِ المرنَّقِ

وقوله

بلى وخيالٍ من أثيلةَ كلّما تأوّهتُ من وجدٍ تعرّضَ يطمعُ
اذا زورةٌ منهُ تقضّتْ مع الكرى تنبّهتُ من وجدٍ لهُ أتفزّعُ
ترى مقلتي ما لا ترى في لقائهِ وتسمعُ اذني رجعَ ما ليسَ تسمعُ
ويكفيكَ من حقٍّ تخيُّلُ باطلٍ تردُّ بهِ نفسُ اللهيفِ فترجعُ

وقوله

اذا ما الكرى أهدى إليَّ خيالهُ شفى قربُهُ التبريحَ أو نقعَ الصدا
إذا انتزعتهُ من يديَّ انتباهةٌ عددتُ حبيبًا راحَ منّي واغتدى
ولم أرَ مثلينا ولا مثلَ شأنِنا نُعذَّبُ أيقاظًا وننعمُ هُجَّدا

وقوله

فما نلتقي إلّا على حلمِ جاهدٍ تحلُّ لنا جدواكِ وهي حرامُ

إذَا ماتَباذَلَنا النَّفائسَ خِلتَنا ... منَ الجدِّ أيقاظاً ونحنُ نيامُ

وقوله

وليلةَ هوَّمْنا على العيسِ أرسلتْ ... بطيفِ خيالٍ يُشبهُ الحقَّ باطلُهْ

فلولا بياضُ الصُّبحِ طالَ تَشبُّثي ... بعطفي غزالٍ بِتُّ وهْناً أغازلُهْ

وقوله

أمنكِ تأوّبَ الطيفُ الطَّرُوبُ ... حبيبٌ جاءَ يُهدَى من حبيبِ

تَخطّى رِقبةَ الواشينَ كُرْها ... وبُعْدَ مسافةِ الخَرْقِ المَجوبِ

يُكاذِبُني وأُصدُقُهُ ودادا ... ومن كلَفٍ مُصادقةُ الكَذُوبِ

وقوله

ماانقضَى لُبانةٌ عندَ لُبنَى ... والمُعنَّى بالغانياتِ مُعنَّى

هجرَتْنا يَقظَى وكادتْ على مذْ ... هبِها في الصُّدودِ تَهجُرُ وَسْنَى

بعدَ لأيٍ وقدْ تعرّضَ منها ... طائفٌ عرَّجتْ على الرّكبِ وهْنا

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ••• ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدى مع ميله الى البحتري وانحطاطه في شعبه واجتهاده في تأويل ما أخذ عليه من خطأ وزلل يزعم ان البحتري أخطأ في قوله

هجرَتْنا يَقظَى وكادتْ على مذْ ... هبِها في الصُّدودِ تَهجُرُ وَسْنَى

قال لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها يقظي كانت أو وسنى قال ولكن الجيد في هذا المعنى قوله

أرُدُّ دونكِ يَقظانا ويأذَنُ لي ... عليكِ سُكْرُ الهوَى إنْ جئتُ وَسْنانا

قال والذى أوقع البحتري في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم

مَاتَمَنَّى يَقْظِي فَقَدْ تُؤْتِينَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ

وكان الأجود أن يقول ما تمني في اليقظة فقد تؤتينه في النوم أي ما تمنيه في يقظتي فقد تؤتينه في حال نومي حتى يكون النوم واليقظة منسوبين اليه لأن خيال المحبوب يتمثل في حال نومه ويقظته جميعاً قال إلاّ أنه يتسع في التأويل في هذا لقيس مالا يتسع للبحتري لأن قيساً قال فقد تؤتينه في النوم ولم يقل نائمة وقد يجوز أن يحمل على انه أراد ما تمني يقظي وأنا يقظان فقد تؤتينه في النوم أي في نومي ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحتري لأنه قال وسني ولم يقل في الوسن .. [قال الشريف] رضي الله عنه وقد يمكن في التأويل للبحتري ما أمكن مثله لقيس لكن الآمدي قد ذهب عن ذلك لأن البحتري لما قال وسني دل على حال الوسن والحال المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالعادة كما ان الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة فقوله وسنى ينبئ عن كونه هو أيضاً نائماً وانما أراد المقابلة في زنة اللفظ بين يقظي ووسنى .. وقوله يقظي متى لم تحمل أيضاً على هـذا المعنى لم يصح لأنه لا بد أن يريد بذلك هجرتنا في أحوال اليقظة ويكون معنى يقظي يتعدى اليه ألا ترى ان الآمدي حمل قول قيس يقظي على معنى وأنا يقظان وان لم يبين الوجه فيه فكيف ذهب عليه مثل ذلك في قول البحتري .. وقوله وسنى ويقظي مثل قول قيس يقظي ولو أمكن قيساً وزن الشعر من أن يقول وسنى في مقابلة يقظي لقاله وما عدل عنه الى النوم لانه لم يكن عليه في وسنى إلاّ ماعليه في يقظي وما يتأول له في أحد الأمرين يتأول له في الآخر .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ولي في الخيال وطروقه معنى ماعلمت انه سبق اليه من جملة قصيدة

وَزَوْرٍ تَخَطَّى جُنُوبَ المَلَا فَنَادَيْتُ أَهْلاً بِذَا الزَّائِرِ

أَتَانِي هُدُوًّا وَعَيْنُ الرَّقِيبِ مَطْرُوفَةٌ بِالكَرَى العَامِرِ

فَأَعْجِبْ بِهِ يُسْعِفُ الهَاجِعِينَ وَيَحْرِمُهُ مُقْلَةَ السَّاهِرِ

وَعَهْدِي بِتَمْوِيهِ عَيْنِ المُحِبِّ يَنِمُّ عَلَى قَلْبِهِ الطَّائِرِ

فلمّا التقينا برَغْمِ الرُّقادِ موّهَ قلبي على ناظري

ومعنى البيت الآخر ان الأحلام انما هي اعتقادات تخيل فى القلب لاحقيقة لأكثرها لأن الانسان يعتقد انه رأى ما لا يراه على الحقيقة ويدرك ما ليس مدركه على الحقيقة فالقلب يخيل في النوم للعين ما لا حقيقة له كما ان العين تخيل فى كثير من الأحوال للقلب ما لا حقيقة له .. فأما قول مروان * فكأنما طرقت بنفحة روضة * البيت فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول نهشل بن جري قال

طرقتْ أسيماءُ الرّحالَ وَدُونَها بيتان من ليلِ التمامِ الأسودِ

وَمفاوزٌ وَصلَ الفلاةَ جنُوبُها بجنُوبِ أخرَى غيرَ أنْ لم تُعقَدِ

رَملٌ إذا أيدِي الرّكابِ قطعْنهُ قُرِعَتْ مناسِمُها بقُفٍّ قَرْدَدِ

فَكأنَّ ريحَ لَطيمةٍ هِنديةٍ وَذَكِيّ جادِيّ بنصعٍ مُجْسَدِ

وَندى خُزامَى الجوّ جوّ سويقةٍ طرقَ الخيالُ به بُعَيْدَ المرْقدِ

أو من قول الآخر

طرَقتْك زَينبُ والمزارُ بَعيدُ بمِنًى ونحنُ مُعرِّسُونَ هُجودُ

وكأنّما طَرقتْ بريّا رَوْضةٍ أُنُفٍ يُسَحْسِحُ مُزْنُها وتَجودُ

وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جداً .. فأما قوله بانت تسائل فى المنام معرساً البيت والبيتان اللذان بعده فقد قال الناس فى وصف قلة النوم ومواصلة السرّي والادلاج وشعث السارين فأكثروا .. فمن أحسن ما قيل فى ذلك قول لبيد

وَمجُودٍ من صُباباتِ الكرَى عاطفِ النّمرقِ صدْقِ المُبْتذَلْ[1]

(١) قوله — ومجود من صبابات الكرى — الخ الواو واو رب والمجود الذى جاده النعاس وألح عليه حتى أخذ فنام من الجود بالفتح وهو المطر الغزير يقال أرض مجودة أي مغيثة وجيدت الأرض اذا أمطرت جوداً .. وقال اعرابي المجود الذى قد جاده العطش أى

قالَ هَجِّدْنا فَقَدْ طالَ السُّرَىٰ ‌ ‌ ‌ ‌ وَقَدَرْنا إنْ خَنَى الدَّهْرِ غَفَلْ [١]

فَلَمَّا عَرَّسَ حَتَّى هِجْتُه ‌ ‌ ‌ ‌ بالتَّباشيرِ منَ الصُّبحِ الأُوَلْ [٢]

غلبه كذا فى شرح أبي الحسن الطوسي وهذا لايناسب لقوله صبابات الكرى فان الكرى النوم وصبابته بقيته كذا فى شرح الشواهد للبغدادي •• وقال في اللسان ويقال للذي غلبه النوم مجود كأن النوم جاده أى مطره قال والمجود الذي يجهد من النعاس وغيره عن اللحياني وبه فسر قول لبيد وأنشد البيت قال أي هو صابر على الفراش الممهد وعن الوطء يعني انه عطف نمرقة ووضعها تحت رأسه وقيل معنى قوله ومجود من صبابات الكرى قيل معناه شيق وقال الأصمعي معناه صب عليه من جود المطر وهو الكثير منه والجود النعاس وجاده النعاس غلبه •• وقوله ـ عاطف النمرق ـ صفة مجود والاضافة لفظية والنمرقة مثلثة النون الوسادة والطنفسة فوق الرحل وهي المراد هنا •• وقوله ـ صدق المبتذل ـ بفتح الصاد أى جلد قوي لا يفتر عند ابتذاله نفسه ولا يسقط ولايجوز أن يقال صدق المبتذل الا اذا امتهن ووجد صادق المهنة يوجد عنده مايحب ويراد

(١) قوله ـ هجدنا ـ الخ هو متعلق رب والتهجيد من الاضداد يقال هجده اذا نومه أي دعنا ننام وهو المراد هنا وهجده اذا أيقظه والفاء للتعليل ـ والسرى ـ بالضم سير عامة الليل •• وقوله ـ وقدرنا ـ أي قدرنا على ورود الماء وذلك اذا قربوا منه وفى القاموس وبينا ليلة قادرة هينة السير لاتعب فيها ـ والخنى ـ بفتح المعجمة والقصر الآفة والفساد أي ان غفل عنا فساد الدهر فلم يعقنا وقيل قدرنا أي على التهجيد وقيل على السير

(٢) قوله ـ فلما عرس ـ الخ ما المتصلة بقل كافة لها عن طلب الفاعل وجاعلة إياها بمنزلة ما النافية في الأغلب وهنا لاثبات القلة وما تتصل بأفعال ثلاثة فتكفها عن طلب الفاعل وهي قلما وطالما وكثر ما وينبغي ان تتصل بالأولين كتابة والتعريس النزول فى آخر الليل للاستراحة والنوم ومثله الاعراس ـ وهجته ـ أيقظته من النوم وهاج يهيج يجيء لازماً ومتعدياً يقال هاج اذا ثار وهجته اذا أثرته ـ وحتى ـ هنا حرف جر بمعنى الا الاستثنائية أي ماعرس إلاّ أيقظته أي نام قليلا ثم أيقظته وأكثر دخولها على

يَلْمَسُ الأَحْلاَسَ فِي مَنْزِلِهِ ... بِيَدَيْهِ كَالْيَهُودِيِّ المُصَلْ (١)

يَتَمَارَى فِي الَّذِي قُلْتُ لَهُ ... وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَيَّهَلْ (٢)

أو من قول ذي الرمة

المضارع كقوله

ليس العطاء من الفضول سماحة ... حتى تجود وما لديك قليل

وقوله ـ بالتباشير ـ أي بظهورها والتباشير أوائل الصبح وهو جمع تبشير ولا يستعمل الا جمعا كذا عبر البغدادي ولفظ شارح القاموس لا واحد له ـ والأول ـ صفة التباشير وهو بضم الهمزة وفتح الواو جمع أولى مؤنث الأول كالكبر جمع كبرى وقد جاء هذا المصراع الثاني في شعر النابغة الجعدي وهو

وشمول قهوة باكرتها ... في التباشير من الصبح الأول

(١) قوله ـ يلمس الأحلاس ـ فاعل يلمس ضمير المجود واللمس الطلب وفعله من بابي قتل وضرب والأحلاس جمع حلس بالكسر وهو كساء رقيق يكون على ظاهر البعير تحت رحله أي يطلبها بيديه وهو لا يعقل من غلبة النعاس . . وقوله ـ كاليهودي المصل ـ أي كأنه يهودي يصلي في جانب يسجد على جبينه واليهودي يسجد على شق وجهه وأصل ذلك انهم لما نتق الجبل فوقهم قيل لهم إما أن تسجدوا وإما أن يلقى عليكم فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل فصار عندهم سنة الى اليوم

(٢) قوله ـ يتمارى في الذي قلت له ـ الخ التماري في الشيء والامتراء فيه المجادلة والشك فيه يقال ماريت الرجل أماريه مراء ومماراة اذا جادلته والمرية الشك . . قال الطوسي يقول قال له الصبح النجاء النجاء قد أصبحت ونحو هذا من الكلام ـ وحيهل ـ أي أسرع وأعجل وحيهل اسم فعل قال زكريا الأحمر في حيهل ثلاث لغات يقال حيهل بفلان بجزم اللام وحيهل بفلان بحركة اللام وحيهلا بفلان بالتنوين وقد يقولون من غير هل من ذلك حي على الصلاة وقال ابن عصفور ان حيهلا مركبة من حي وهلا الا ان ألف هلا تحذف في بعض اللغات تخفيفاً

وَليلٍ كأَثناء الزوبزيِّ جبْتهُ ... بأَرْبَعةٍ والشَّخصُ في العَينِ واحدُ

ـ والزوبزي ـ هو الطيلسان .. وقد روى أيضاً كجلباب العروس أدرعته وكل ذلك وصفه بالسواد لان الطيلسان أسود .. وجلباب العروس أخضر والعرب تجمع بين الخضرة والسواد

أَحَمُّ علافيٌّ وَأَبيَضُ صارِمٌ ... واعيَسُ مَهْرِيٌّ وَاشعَثُ ماجِدُ

أَخُو شقّةٍ جابَ الفلاةَ بنفسهِ ... على الهَولِ حتّى طوّحتْهُ المَطارِدُ

واشعَثَ مثلَ السّيفِ قدلاحَ جسْمهُ ... وَجيفُ المهاري والهُمُومُ الأَباعِدُ

سقاهُ الكرَى كأْسَ النُّعاسِ فرأْسهُ ... لدينِ الكرَى من آخرِ الليلِ ساجدُ

أَقَمتُ لهُ صدرَ المطيِّ فمادرَى ... أَجائرَةٌ أَعناقُها أَمْ قَواصِدُ

تَرَى النَّاشِئَ الغرَّ بريُضحي كأَنهُ ... على الرَّحلِ مِمَّا منّهُ السيرُ عاصِدُ

ومن ذلك قول أبي حية النميري

وأَغيَدَ من طُولِ السُّرى برَحتْ بهِ ... أَفانينُ نهّاضٍ على الأَينِ مُرْجِمِ

سَرَيتُ بهِ حتّى إِذا ماتمزّقتْ ... تَوالِي الدُّجى عن واضِحِ اللّونِ مُعْلَمِ

أَخْنا فلمّا أَنْ جرَتْ في دِماغهِ ... وَعينَيهِ كأْسُ النّومِ قلتُ لهُ قُمِ

فَما قامَ الاّ بينَ أَيدٍ تُقيمهُ ... كماعطفتْ ريحُ الصَّبا خُوطَ ساَسَمِ

خطَا الكرْهِ مغلوباً كأَنَّ لسانهُ ... لما ردَّ من رَجْعٍ لِسانُ المُبَلْسِمِ

وَوَدَّ بوُسطى الخَمْسِ منهُ لوَ أنّنا ... رَحلْنا وقلْنا في المَناخِ لهُ نَمِ

مجلس آخر ٤٢

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) الى آخر الآية .. فقال مامعنى اختصاص الأرض بالذكر وهم لايفوتون الله ولايعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل مكان ولم نفى الأولياء عنهم وقد نجد أهل الكفر يتولى بعضهم بعضاً وينصرونهم ويحمونهم من المكاره وكيف نفى استطاعتهم للسمع والإبصار وأكثرهم قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينه .. الجواب قلنا أما الوجه في اختصاص الأرض بالذكر فلأن عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني ولا وزر ولا نفق والوزر الجبل والنفق السرب وكل ذلك مما يلجأ اليه الخائف المطلوب فكأنه تعالى نفى أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه وان جبال الأرض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم كما انها تحجز عن كثير من أحوال البشر من المكاره لأن معاقل الأرض هي التي يهرب اليها البشر من المكاره ويلجؤن بها الى الاعتصام بها عند المخاوف فاذا نفى تعالى أن يكون لهم في الأرض معقل فقد نفى المعقل من كل وجه .. وأما قوله تعالى (وما كان لهم من دون الله من أولياء) فمعناه انه لا وليّ لهم ولا ناصر من عذاب الله وعقابه لهم في الآخرة ولا مما يريد أيضاً إيقاعه بهم في الدنيا وان كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن أرادهم بسوء وقد يجوز أن يكون ذلك أيضاً بمعنى الأمر وان كان مخرجه مخرج الخبر ويكون التقدير وليس لهم أن يتخذوا أولياء من دون الله بل الواجب أن يرجعوا اليه في معونتهم ونصرهم ولا يعولوا على غيره .. فأما قوله عزوجل (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ففيه وجوه .. أحدها أن يكون المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً للحق وذهاباً عن سبيله فأسقط الباء من كلامه وذلك جائز كما جاز في قولهم لأجزينك بما عملت ولأجزينك ما عملت ولأحدثنك بما عملت ولأحدثنك ما عملت وكما قال الشاعر

نَعَالِي اللَّحمَ للاضْيافِ نِيا وَنَبْذُلهُ إذا نَضِجَ القُدُورُ

أراد نغالي باللحم .. والوجه الثاني انهم لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى وكراهيتهم تذكرها وتفهمها جرى مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة عداوته الى فلان وما يقدر على أن يكلمه وكما نقول لمن عهدنا منه العناد والاستثقال لاستماع الحجج والبينات ما يستطيع أن يسمع الحق وما يطيق أن يذكر له ذلك وكما قال الأعشى

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أيُّها الرَّجُلُ

ونحن نعلم انه قادرٌ على الوداع وانما نفى قدرته عليه من حيث الكراهية والاستثقال ..ومعنى وما كانوا يبصرون أي ان إبصارهم لم يكن نافعاً لهم ولا مجدياً عليهم مع الاعراض عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي عنهم الإبصار نفسه كما يقال للمعرض عن الحق العادل عن تأمله مالك لاتسمع ولا تبصر ولا تعقل وما أشبه ذلك .. والوجه الثالث أن يكون معنى نفي السمع والبصر راجعاً الى آلهتهم لا اليهم وتقدير الكلام أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين فى الارض يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبراً عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وهذا الوجه مروي عن ابن عباس رضى الله عنه وفيه أدنى بعد .. ويمكن في الآية وجه رابع وهو أن يكون ما في قوله (ما كانوا يستطيعون السمع) ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم لأواصلنك مالاح نجم ولأقيمن على مودتك ماطلعت شمس ويكون المعنى ان العذاب يضاعف لهم في الآخرة ماكانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أي انهم معذبون ما كانوا أحياء .. فان قيل كيف يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والإبصار وقد يكون حياً من لا يكون كذلك .. قلنا للعرب في مثل هذا عادة لأنهم يقولون والله لا كلمت فلاناً ما نظرت عيني ومشت قدمي وهم يريدون ما بقيت وحييت لان الأغلب في أحوال الحي أن تنظر عينه وتمشي قدمه فجعلوا الأغلب كالواجب ومن ذلك قول الشاعر

وَما أنسَ من شَيءٍ تقادمَ عهدُهُ فلستُ بناسٍ ما هدَتْ قدَمِي نعلي
عشيةَ قالتْ وَالدُّمُوعُ بعينها هنيئاً لقلبٍ عنكَ لمْ يُسلهِ مُسلي

وانما أراد إني لا أنسى ذلك ما حييت وكذلك لا يمتنع أن يعلق على هذا المذهب دوام العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والابصار ويعود المعنى الى تعلقه ببقائهم وكونهم أحياء والمرجع فى ذلك الى التأبيد لانه اذا علق العذاب ببقائهم واحيائهم علمنا ان الآخرة لا موت فيها ولا خروج من الحياة وعلمنا تأبيد العذاب •• ونعود الى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر مروان فما يختار له قوله من القصيدة التى قد مضى أولها وتكلمنا عليها

وَضَمُوا الخُدُودَ لدَى سوَاهِمَ جُنَّحٍ تَشكُوا كُلومَ صِفاحها وكَلالَها
طَلَبَت أميرَ المؤْمنينَ فَواصلَتْ بعدَ السُّرَى بغدُوِّها آصالَها
نزَعتْ إليكَ صوَادياً فتقاذَفتْ تطوى الفلاةَ حزُونَها ورِمالَها
يتْبعنَ ناجيةً تَبُزُّ مرَاحَها بعدَ النُّحُولِ تَليلَها وَقذالَها
هوْجاءَ تَدَّرِعُ الرُّبا وَتَشقُّها شقَّ الشُّمُوسِ إذَا يُراعُ جِلالَها
تنجُو إذَا دَفعَ القَطيعُ كما نجتْ خرْجاءُ بادرَتِ الظلامَ رِئالَها
كالقوْسِ ساهِمةً أتتكَ وقدْ ترَى كالبُرْجِ تملأُ رَحلَها وَحِبالَها

وهذه الأبيات فى وصف الرواحل بالسرعة والنحول جيدة الألفاظ مطردة النسج وقد سبق الناس فى هذا المعنى الى ضروب من الاحسان فمن ذلك قول الأخطل

بخُوصٍ كإعطالِ القسيِّ تقلقلَتْ أجنتها من شُقةٍ ودؤوبِ [1]

(١) ـ اعطال القسي ـ التي لا أوتار عليها ـ وتقلقلت ـ تحركت في بطونها من الدأب والسير ـ وأجنتها ـ جمع جنين

إذَا مُعْجَلٌ غَادَرْنَهُ عِنْدَ مَنْزِلٍ ... أُتِيحَ لِجَوَّابِ الفَلَاةِ كَسُوبِ[١]

وَهُنَّ بِنا عُوجٌ كأَنَّ عُيُونَها ... بَقايا قِلَاتٍ قَلَّصَتْ لِنُضُوبِ[٢]

مَسانِيفُ يَطْوِيهامَعَ القَيْظِ والسُّرَى ... تَكالِيفُ طلَّاعِ النِّجادِ رَكُوبِ

قَدِيمٍ تَرَى الأَصْواءَ فِيهِ كأَنَّها ... رِجالٌ قِيامٌ عُصِّبُوا بِسُبُوبِ[٣]

يَعُمْنَ بِنا عَوْمَ السَّفِينِ إذَا انْجَلَتْ ... سَحَابَةُ وَضَّاحِ السَّرَابِ خَبُوب

وقال مسلم بن الوليد الأنصارى

إلى الإمامِ تَهادَيْنا بأَزْمُلِنا ... خَلْقٌ منَ الرِّيحِ في أَشْباحِ ظِلْمَانِ

كأَنَّ إفلاتَها والفَجْرُ يأْخُذُها ... إفلاتُ صادِرَةٍ عن قَوْسِ حَسَّانِ

•• وقال بشار

وإذا المَطِيُّ سَبَحْنَ في أعطافِه ... فاتَ المَطِيَّ بِكاهِلٍ وتَلِيلِ

فَكأَنَّهُ والناجِياتُ يَرِدْنَهُ ... قِدْحٌ يُطَلِّعُ منْ قِداحِ مُجِيلِ

ولبعض الحارثيين

نَهْشُ الهَجائِرُ والظَّهائِرُ لَحْمَها ... حتى تَخَدَّدَ لَحْمُها المُتَظاهِرُ

---

(١) ـ المعجل ـ الجنين الذي يولد لغير تمام ـ وأتيح ـ قدر ـ وجوّاب الفلاة ـ الذئب •• يقول اذا رمت بالمعجل صادفه الذئب

(٢) ـ القلاة ـ جمع قلت وهى النقرة في الجبل تمسك الماء ـ وقلصت ـ أي غارت ـ والنضوب ـ ذهاب الماء •• شبه عظم العين بالصخرة فى الصلابة وبقية العين بما بقى من الماء فى القلت

(٣) ـ الأصواء ـ جمع صُوى وصوى جمع صوة وهي حجارة تنصب ليهتدي بها •• شبه الصوى وقد جللها السراب برجال قيام عصبوا بالسبوب جمع سب وهي شقة كتان رقيقة

حَرْفٌ تناهبها النَّجاء فلاَ نصٌ مِمَّا تَنَجَّل شدقمٌ أوْ ذَاعِرُ
صُبُرٌ اذا عطفت سوالفها البُرى نُمِمت لهنَّ كشا كِشٌ وجراجرُ
ويَخُلن من عِزِّ النفوس وجدِّها جِنًّا وهُنَّ إذا اختُبِرن أباعرُ
إمَّا إذا ما أقبلت فكأنها ذُعرٌ تهادتها الفلاةُ نَوافِرُ
إمَّا إذا ما أعرضت فكأنها كُدْرٌ تَوَرَّدن النِّطاف صوادرُ
إمَّا إذا ما أُبرِكت فكأنها صَرْحٌ مُشيَّدةٌ وهُنَّ ضوامرُ

[قال الشريف] رضي الله عنه . . وإني لأستحسن قول بشامة بن الغدير في وصف الناقة بالسرعة

كأنَّ يديها إذا أرقلت وقد جُرن ثمَّ اهتدين السَّبيلا
يدا سابحٍ خرَّ في غمرةٍ وقد شارف الموتَ إلاَّ قليلا(١)
إذا أقبلت قلت مشحونة أطاعت لها الرِّيحُ قلعًا جفولا(٢)
وإنْ أدبرت قلت مذعورةً من الرُّبْد تتبع هيقًا ذمولا(٣)

---

(١) قوله ـ يدا سابح ـ الخ يروى

يدا عائم خر في غمـرة قد ادركه الموت إلاَّ قليلا

يقول كأن يدي هذه الناقة وقت كلال غيرها من الابل ولزومهن المحجة يدا سابح فهو أشد لتحريكه يديه مخافة على نفسه

(٢) المشحونة ـ المملوأة . . شبهها بسفينة مملوأة لانه أقوم لسيرها وأعدل ـ والقلع ـ الشراع ـ والجفول ـ التي تجفل أي تسرع

(٣) قوله وان أدبرت الخ يروي

اذا أقبلت قلت مذعورة من الرمد تلحق هيقا ذمولا

ومعنى قوله — وقد جرن ثم اهتدين السبيلا — يعني المطايا يقول كن نشيطات يرحن فلا يلزمن لقم الطريق بل يأخذن يميناً وشمالا فلما عضهن الكلال استقمن على المحجة فكأنه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال المطي وكنى عن الكلال بلزوم جادة الطريق حتى تسلكها .. وهذه كناية فصيحة مليحة ومثله قول الآخر

كأنَّ يدَيها حينَ جدَّ نجاؤها يدَا سابحٍ في غمرةٍ يتذرَّعُ

ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ

كأنَّ ذِرَاعيها ذِرَاعا مُدِلَّةٍ بُعيدَ السِّبابِ حاولتْ أنْ تَعذَّرا

مُجَدَّةُ الأعراقِ قالَ ابنُ ضَرَّةٍ عليها كلاماً جارَ فيهِ وأهجرا

ويروى من الربد كما في الأصل وهو جمع ربداء وجعلها مذعورة لانه أشد لسيرها — والرمد — النعام وهي الربد أيضاً — والهيق — ذكر النعام وهي المنكسفة اللون تعلو سوادها كدرة والربدة سواد يكسف الوجه وبغيره يقال لأربدن وجهه والهيق الطويل والأنثى هيقة وهذه الرواية التي في الأصل منكسة فقدم آخرها على أولها وحذف من بينها أربعة أبيات وهي من قصيدة مشهورة أولها

هجرت امامة هجراً طويلا وحملك النأى عبأ ثقيلا

الى ان قال

اذا أقبلت قلت مذعورة من الرمد تلحق هيقا ذمولا
وان أدبرت قلت مشحونة أطاع لها الريح قلعاً جفولا
وان أعرضت خارقها البصير ما لا يكلفه أن يقيلا
يداً سُرُحاً مائراً ضبعها تسوم وتقدم رجلا زجولا
وعوجا تناطحن تحت المطا وتهدى بهن مشاشاً كهولا
تمز المطى جماع الطريق اذا أدلج القوم ليلا طويلا
كأن يديها اذا أرقلت وقد جرن ثم اهتدين السبيلا
يدا عائم خر في غمرة الى آخر القصيدة

شبه ذراعيها وهي تتذرع في سيرها بذراعي امرأة مدلة على أهلها ببراءة ساحتها وقد حكى عنها ابن ضرتها كلاماً أهجر فيه أي أفحش فهي ترفع يديها وتضمهما تعتذر وتحالف وتنصح عن نفسها ٠٠ وقد قيل ان معنى مدلة أنها تدل بحسن ذراعيها فهي تدمن اظهارهما ليرى حسنهما ٠٠ وقوله ـ بعيد الشباب ـ أي في عقب الشبابة قامت تعتذر الى الناس وقوم يروونه بعيد الشباب ومعنى هذه الرواية انها نصف من النساء فهي أقوم بحجتها من الحدثة الغرة ويشهد لهذه الرواية قول الآخر

كأَنَّ يَدَيها حين يَقلَقُ ضَفرُها يدَا نَصَفٍ غيرَى تعذَّرُ من جُرْمِ

وفي قوله ـ حين يقلق ضفرها ـ سر وفائدة لأن الضفر هو الاتساع وانما تقلق اذا جهدها السير فضمرت فكأنه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد والكلال ٠٠ ومثله

كأَنَّ ذِراعَيها ذِراعا بَديَّةٍ مُفجَّعةٍ لاقَتْ ضَرائرَ عن عفرِ

سَمِعنَ لها واستَعجلتْ بكلامها فلا شيء يفري باليدَين كما تفري

ويقاربه قول الآخر

ألا هل تبلغنيهم على اللأواء والظنة

وآة الحصى المعزا ءفي أخفافها رنة

إذَا ماعسفَتْ قُلتَ حَماة فاضحة كَنَّة

ومن شبه سرعة أيدي الابل بأيدي النوائح كعب بن زهير فقال

كأَنَّ أَوْبَ ذِراعَيها إذَا عرِقتْ وقَدْ تلفَّعَ بالقُورِ العَساقِيلُ

وَقالَ للقَومِ حادِيهمْ وقدْجعلتْ وُرْقُ الجنادِبِ يرْكُضْنَ الحصى قيلوا

شدَّ النَّهارِ ذِرَاعاعَيطَلٍ نَصَفٍ قامَتْ فجاوَبها نُكدٌ مثاكِيلُ

نَوَّاحةٌ رَخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ ليس لها لَمَّانعَى بكرَها النَّاعُونَ معقُولُ

العساقيل ـ أول السراب ولا واحد لها من لفظها ٠ أخبر ان ناقته في شدة الحر وانقاد

الظهيرة تمرح في سيرها وتذرع بيديها وشبه ذراعيها بذراعي امرأة نصف تنوح على ابنها وقد نعي اليها فهي تشير بيديها وتوالي تحريكهما ــ والعيطل ــ الطويلة العنق وجعلها نصفاً لانها قد كادت تيأس من الولد فهي أشد لحزنها على ابنها وتفجعها عليه ــ والقور ــ جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل وأراد أن يقول كما تلفعت القور بالعساقيل فلم يمكنه فقلب •• ومثله

وكأنما رفعت يداً نوّاحة ... شمطاء قامت غير ذات خمار

وانما خص الشمطاء لما ذكرناه من اليأس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم

ولا شمطاء لم يترك شقاها ... لها من تسعة إلاّ جنينا

وقد قيل في بيت عمرو بأنه شبه الناقة بشمطاء لما على رأسها من اللغام •• ومثل ما تقدم من المعاني قول الشاعر

يا ليت شعري والمنى لا تنفع ... هل أغدون يوماً وأمري مجمع

وتحت رحلي زفيان ميلع ... كأنها نائحة تفجع

تبكي لميت وسواها الموجع

ــ الزفيان ــ الناقة الخفيفة ــ والميلع ــ السريعة •• وشبه رجع يديها في السير ونشاطها بيدي نائحة تنوح لقوم على ميتهم بأجرة فهي تزيد في الاشارة بيديها ليري مكانها •• ومثله بعينه قول ذي الرمة

مجانيق تضحى وهي عوج كأنها ... بجوز الفلا مستأجرات نوائح

ــ المجانيق ــ اللواتي ضمرن بعد سمن وخص المستأجرات من النوائح للمعنى الذي ذكرناه •• وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى

كأن أوب يديها حين اعجلها ... أوب المراح وقد نادوا بترحال

مقط الكرين على منكوسة زلق ... في ظهر حنّانة النيرين مغوال

معنى ـ أوب ذراعيها ـ أي رجعهما ـ وأوب المراح ـ اذا راح القوم عازب أموالهم ليرحلوا ٠٠ وقد روى أوب المراح بالكسر ومعناه رجع المراح ـ والنشاط ٠ والمقط ـ اللعب بالكرة ـ والكرين ـ جمع كرة ـ والمنكوسة ـ الأرض البراح التي لاشئ فيها ـ والزلق ـ المستوية من الأرض ـ والحنانة ـ الريح ـ والنيران ـ جانبا هذه الأرض ـ وتغول ـ قيل انه من صفات الريح وقيل انه من صفات الأرض وان كان من صفات الريح فمعناها ان الريح تغول الأرض بأسرها أي يملأها واذا كان للأرض فالمعنى انها تغول من سلكها أي تهلكه ٠٠ وتلخيص معنى البيت انه شبه يدى ناقته بيدي ضارب بكرة في الأرض الواسعة في يوم ريح عاصف وهذا من دقيق المعاني وحسن التشبيه والمبالغة ٠٠ ومثل بيت الشماخ قول المسيب بن علس

مرِحَتْ يداها للنَّجاء كأنَّما تكرُو بكفَّي مأقِطٍ في قاعِ[1]

(١) قوله ـ تكرو بكفى مأقط ـ الخ ٠٠ رواية المفضل

مرحت يداها للنجاء كأنما تكروا بكفى لاعب في صاع

قال ابن الانباري ـ النجاء ـ السرعة يمد ويقصر ـ وتكرو ـ كأنما تلعب بالكرة يقال قد كرى يكرو اذا ضرب بالكرة ـ والصاع ـ منهبط من الأرض له مايحفه كهيئة الجفنة ٠٠ ويروى ـ بكفى مأقط في صاع ـ الصاع موضع تكنسه وتلعب فيه بالكرة ـ والمأقط ـ الذي يكرو بالكرة يضرب بها الأرض ترتفع اليه ٠٠ قال أحمد قوله في صاع أراد بصاع وهو الصولجان الذي يلعب به الغلمان أراد بصاع صائع لانه يعطف للضرب به لتصاع الكرة به فكان الصولجان هو يصوعها ٠٠ وهذان البيتان من قصيدة مفضلية روى ان أبا جعفر المنصور مر بالمهدى ابنه وهو ينشد المفضل هذه القصيدة فلم يزل واقفاً من حيث لا يشعر به حتى استوفى سماعها ثم سار وأمر باحضارهما فحدث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب واستحسانه إياها وقال له لو عمدت الى أشعار الشعراء المقلين واخترت لفتاك لكل شاعر أجود ما قال لكان ذلك صواباً ففعل المفضل وعدد القصيدة ٢٦ بيتاً وأولها

أرحلت من أسلمى بغير متاع قبل العطاس ورعتها بوداع

عن غير مقلية وإنَّ حبالها ليست بأرمام ولا أقطاع

فعلَ السَّريعةِ بادَرَتْ جُدَّادَها قَبْلَ المَسَاء تَهمُّ بالإسْرَاعِ

معنى ـ تكرو ـ أى كأنها لاعب بكرة ـ والسريعة ـ يعنى نسّاجة ـ والجداد ـ الغزل الضعيف [١] فأراد انها تسرع الضرب بالخف والنسج قبل المساء وما دامت تبصر فشبه يدى ناقته في تذرعها بيدى هذه النساجة •• وقال الأصمعي الجداد هدب الثوب فيعنى ان هذه النساجة قد قاربت الفراغ من الثوب وبلغت الى هدبه فهي تبادر لتفرغ منه قبل المساء •• وقريب منه قول الآخر

كأنَّ أيديهنَّ بالقاعِ القَرِقْ أيدِي جوارٍ يتعاطَيْنَ الوَرِقْ

فالقرق الخشن الذى فيه الحصى وشبه حذف مناسمها له بحذف جوار يلعبن بدراهم وخص الجواري لانهن أخف يدىً من النساء •• وقال آخرون القرق ههنا المستوى من الأرض الواسع وانما خص بالوصف لان أيدى الابل اذا أسرعت فى المستوى فهو أجهد لها واذا أبطأت فى غيره فهو أجهد لها •• ومن أحسن ما قيل في الاسراع قول المرار بن سعيد

فتناولوا شُعَبَ الرِّحالِ فقلّصتْ سُودُ البُطُونِ كَفَضْلةِ المُتَنَمِّسِ

اذ تستبيك بأصلتيٍّ ناعم قامت لتفتنه بغير قناع
ومهىً يرف كأنه إذ ذقته عانيّة شجت بماء يراع
أو صوب سارية أدرّته الصبا ببزيل أزهر مدمج بسياع
فرأيت ان الحلم مجتنب الصبا فصحوت بعد تشوق ورواع
فتسلّ حاجتها اذا هي أعرضت بخميصة سُرح اليدين وساع
صكاء ذعلبة اذا استدبرتها حرج اذا استقبلتها هلواع
وكأن قنطرة بموضع كورها ملساء بين غوامض الانساع
واذا تعاورت الحصى أخفافها دوّت نواديه بظهر القاع

(١) وقيل الجداد ما بقى من خيوط الثوب وقيل هي خيوط الثوب اذا قطعه

ذكر قوماً سفراً هبوا من رقدتهم الى رحالهم ليسروا • • ويعني بسود البطون الابل — والمتمس — الصائد الذي أخذ ناموساً وهو ما يستتر به ليختل الصيد فشبه المطايا في سرعتها بقطا قد صاد الصائد بعضها وأفلت بعضها فهن يطرن طيراناً شديداً • • ومثل هذا وان كان في وصف الخيل قول النابغة

كالطَّيْرِ تَنْجُو من الشُّؤْبُوبِ ذي البَرَدِ [١]

فأما قول مروان

يَبْرِي مراحهَا بَعْدَ النُّحُولِ تليلها وقذالها

فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السآمة والجهد ما مضى • • وأحسن من قول مروان وأشد فصاحة بالمعنى وإعراباً عنه قول الهذلي

وَمِنْ سَيْرِهَا العَنَقُ المُسْبَطِرُّ ... والعَجْرَفِيَّةُ بَعْدَ الكَلالِ

وانما كان أحسن لانه صرح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يجري هذا المجرى لأن النحول قد يكون عن جهد السفر والتعب ويكون عن غيره • • وأما قوله — كالقوس ساهمة أتتك — البيت فقد أكثرت العرب في وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسي • • وغيرها وقد أحسن كثير في قوله

نَفَى السَّيْرُ عنها كُلَّ داءِ إقامةٍ ... فَهُنَّ رَذَايا بالطَّرِيقِ تَرَائِكُ

وخَيَّلَتِ الحَاجاتُ خُوصاً كأنَّها ... وقد ضُمِّرَتْ صُفْرُ القِسِيِّ المَوَاتِكُ

وقال سلم بن عمرو الخاسر

وكأنَّهُنَّ من الكَلالِ أهلَّةٌ ... أوْ مِثْلُهُنَّ عطائفُ الأقواسِ

قُودٌ طَوَاها ما طَوَتْ من مَهْمَهٍ ... نائي الصُّوَى وَمَنَاهِجٍ أَدْرَاسِ

---

(١) وصدر البيت • والخيل تمزع غرباً في أعنتها • وهو من قصيدته التي أولها

يا دار مية بالعلياء فالسند ... أقوت وطال عليها سالف الأبد

وقال أبو تمام يصف ناقة

أَتينا القادِسيَّةَ وهيَ تَرْنُو إليَّ بِعَينِ شَيطانٍ رَجيمِ
فما بلغتْ بنا عُسفانَ حتَّى رَنَتْ بلِحاظِ لقمانَ الحكيمِ
وَبدَّلها السُّرى بالجهلِ حلماً وَقدَّ أَديمَها قدَّ الاديمِ
أَذابَ سنامَها قَطعُ الفيافي فَفلَّقَ جلدَها نَضحُ الصَّميمِ
بدَتْ كالبَدْرِ وافا لَيلَ سعدٍ وَآبتْ مثلَ عُرجُونٍ قَديمِ

وقال البحترى

وَخدانُ القلاصِ حَولاً إذا قا بَلْنَ حَولاً من أنجُمِ الأسحارِ
يَترقرقنَ كالسَّرابِ وقد خُضْـ ـنَ غماراً منَ السَّرابِ الجاري
كالقِسيِّ المُعطَّفاتِ بلِ الأَسـ ـهُمِ مَبريَّةً بلِ الأوتارِ

وله أيضاً

وَهيَ العيسُ دهرَها في ارتحالٍ من حلولٍ أو فُرقةٍ من جميعِ
رُبَّ مَرتٍ مرَّتْ تُجاذِبُ قُطرَيْـ ـهِ سَراباً كالمنهلِ المَشروعِ
وَسُرىً تَنتحيهِ بالوَخدِ حتَّى يَصدعُ الليلُ عن بَياضِ الصَّديعِ
كالهُوَى في البُرَى ويحسبنَ أحيا ناً نسوعاً مجدولةً في نُسوعِ

مجلس آخر ٤٣

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) الآية.. فقال كيف أضاف الى نفسه اليد وهو ممن يتعالى عن الجوارح .. الجواب قلنا

فى هذه الآية وجوهٌ •• أوّلها أن يكون قوله تعالى (لما خلقت بيدى) جارياً مجرى لما خلقت أنا وذلك مشهور فى لغة العرب يقول أحدهم هذا ما كسبت يداك وما جرّت عليك يداك فاذا أرادوا نفى الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هـذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمشى قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك فى الاثبات ولا يكون للفعل رجوع الى الجوارح فى الحقيقة بل الفائدة فيه النفى عن الفاعل ••وثانيها أن يكون معنى اليد ههنا النعمة ولا إشكال في ان أحد محتملات لفظة اليد النعمة •• فأما الوجه فى تثنيتهما فقد قيل فيه ان المراد نعمة الدنيا ونعـمة الآخرة فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما خلقت لنعمتي وأراد بالباء اللام •• وثالثها أن يكون معـنى اليد ههنا القدرة وذلك أيضاً معروف من محتملات هذه اللفظة يقول القائل مالي بهذا الأمر من يد ولا يدان وما يجري مجرى ذلك والمعنى إنّي لاأقدر عليه ولا أطيقه وليس المراد بذلك اثبات قدرة على الحقيقة بل اثبات كون القادر قادراً ونفى كونه قادراً فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما خلقت وأنا قادرٌ على خلقه فعبر عن كونه قادراً بلفظ اليد الذى هو عبارة عن القـدرة وكل ذلك واضح فى تأويل الآية ونعود الى ما كنا ابتدأنا به من الكلام على شعر مروان •• فمن قصيدته التى تقدم بعضها ووقع الكلام عليه مما يختار قوله

أحيا أميرُ المؤمنين محمدٌ ... سننَ النبى حرامها وحلالها

ملكٌ تفرّع نبعةً من هاشم ... مدّ الإلهُ على الأنام ظلالها

جبلٌ لأمته تلوذُ بركنه ... رادى جبالَ عدوّها فازالها

لم يغشها مما يخافُ عظيمةٌ ... الاّ أجالَ لها الامورَ مجالها

حتى يفرّجها أغرُّ مهذّبٌ ... ألفى أباهُ مفرّجاً أمثالها

ثبتٌ على زلل الحوادث راكبٌ ... من صرفهنّ لكلّ حالٍ حالها

كلتا يديك جعلتَ فضلَ نوالها ... للمسلمين وللعدوّ وبالها

وقمت مواقعها بعفوك أنفسٌ ... أذهبتَ بعد مخافةٍ أوجالها

أمَنْتَ غيرَ مُعاقِبٍ طُرّادَها ... وفككتَ عن أُسَرائها أغلالَها
ونصبتَ نفسكَ خيرَ نفسٍ دُونَها ... وجعلتَ مالَكَ واقياً أموالَها

أما قوله

أحيا أمير المؤمنين محمد ... سنن النبي حرامها وحلالها

فقد طعن عليه وعابه من لا معرفة له بنقد الشعر فقال كيف يكون في سنن النبي عليه الصلاة والسلام حرام وما ذلك بعيب وانما أراد بقوله حرامها وحلالها التحريم والتحليل ومن سنن النبي عليه الصلاة والسلام تحريم الحرام وتحليل الحلال .. وانما المعيب من هذا المعنى قول ابن الرقاع العاملي

ولقد أرادَ اللهُ إذ ولاّكَها ... من أمّةٍ إصلاحَها وفسادَها[1]

ومثل قول مروان قول سلم الخاسر * ولماوليت ذكرت النبي بتحليله وتحريمه * فأما قوله حتى يفرجها أغر مهذب البيت فكثير جداً للمتقدمين والمحدثين والأصل فيه قول زهير

وما كانَ من خيرٍ أتوه فإنّما ... توارَثَهُ آباءُ آبائِهم قبلُ
وهل يُنبِتُ الخطّيَّ إلاّ وشيجُهُ ... وتُغرَسُ إلاّ في منابِتِها النَّخلُ

ومثله قول الآخر

وَحمزَةُ وَالعبّاسُ مِنهم وَمِنهُمُ ... عقيلٌ وَماءُ العُودِ من حيثُ يُعصَرُ

ومثله للربيع بن أبي الحقيق اليهودي

إذا ماتَ منّا سيّدٌ قامَ بعدَهُ ... لهُ خلَفٌ يكفِي السيادَةَ بارِعُ

---

(١) البيت من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك .. ومطلعها

عرف الديار توهماً فاعتادها ... من بعد ماشمل البلى أبلادها
إلاّ رواسيَ كاهنٌ قد اصطلى ... حمراء أشعل أهلها إيقادها
كانت رواحل للقدور فعريت ... منهنّ واستلب الزمان رمادها

مِنْ أَبْنائِهِ والعِرْقُ يَنْظُرُ فَرْعُهُ ... على أصلِهِ والعِرْقُ للعِرْقِ نازِعُ

ومثله له

تَرْجُو الغُلَامَ وقَدْ أعيَاكَ وَالِدُهُ ... وَفِي أَرُومَتِهِ مايَنْبُتُ العُودُ

وأخذ هذا المعنى وبعض هذا اللفظ الكميت فقال

تَجرِي أصاغِرُهُمْ مَجْرَى أكابِرِهِمْ ... وَفِي أَرُومَتِهِ مايَنْبُتُ الشَّجَرُ

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات

يَخْلُفُكَ البِيضُ مِنْ بَنِيكَ كما ... يُخْلَفُ عُودُ النُّضارِ في شُعَبِهْ

ومثله قول نهشل بن جرى

أَرَى كُلَّ عُودٍ نابِتاً في أُرُومةٍ ... أَبَى مَنْبِتُ العِيدانِ أَنْ يَتَغَيَّرا

بَنُوا الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ ومَنْ يَكُنْ ... لِوَالِدِ سُوءٍ يَلْقَهُ حَيْثُ سَيَّرا [1]

ومثله لمسلم بن الوليد الأنصارى

أَلَحَّ على الأيَّامِ يَفْرِي خُطُوبَها ... على مَنْهَجٍ أَلْفَى أَباهُ بِهِ قَبْلُ

ولبشار

على أَعْرَاقِها تَجْرِي الجِيادُ

وللبحترى

---

(١) هذا البيت الثانى من جملة ثلاثة أبيات في الحماسة منسوبة الى جميل بن عبد الله بن معمر وقبله

أبوكَ حُبابٌ سارقُ الضيفِ بردَه ... وجدِّي يا حجاجُ فارسُ شَمَّرا

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن ... لوالد صدقٍ يلقه حيث سيرا

فان تغضبوا من قسمة الله حظكم ... فلله إذ لم يرضكم كان أبصرا

وَمابيَ من خيْرٍ وَشرٍّ فإنَّها ... سجيَّةُ آبائي وَفعلُ جُدُودي

همُ القومُ فرعي منهمُ متفرِّعٌ ... وعودُهمُ عندَ الحوادثِ عُودي

وللبحتري أيضا

واذا أبو الفضلِ استعارَ سجيةً ... للمكرُماتِ فمن أبي يعقوبِ

شرفٌ تتابعَ كابرًا عن كابرٍ ... كالرُّمحِ أنبوبٌ على أنبوبِ

وأرى النَّجابةَ لا يكُونُ تمامُها ... لنجيبِ قومٍ ليسَ بابنِ نجيبِ

وله أيضاً

ماسموا يخلُفُونَ غيرَ أبيهمْ ... كلُّ ساعٍ منا يُريدُ نصابَهْ

•• وله

وَماتابعٌ في المجدِنهجَ عدُوِّهِ ... كمتَّبعٍ في المجدِ نهجَ أبيهِ

وفي هذه القصيدة يقول مروان

هلْ تعلمونَ خليفةً من قبلِه ... أجرَى لغايتِهِ التي أجرَى لها

طلَعَ الدُّرُوبَ مشمِّرًا عن ساقِهِ ... بالخيلِ منْصلتاً يجدُّ نِعالَها

قودٌ تريعُ إلى أغرَّ لِوَجهِهِ ... نورٌ يضيءُ أمامَها وَخلالَها

قصُرَتْ حمائلُهُ عليهِ فقلَّصتْ ... ولقدْ تحفَّظَ قينُها فأطالَها

حتَّى اذا وَرَدَتْ أوائلُ خيلِهِ ... جيحانَ بثَّ على العدُوِّ رعالَها

أحمَى بلادَ المسلمينَ عليهمُ ... وأباحَ سهلَ بلادِهِمْ وَجبالَها

أدمتْ دوابرَ خيلِهِ وشكيمَها ... غاراتُهُنَّ وَالحقتْ آطالَها

لم يبقَ بعدَ مقادِها وطرادِها ... الَّا نحائزُها وَإلَّا آلَها

رَفعَ الخليفةُ ناظري وأراشني ... بيدٍ مُباركةٍ شكرتُ نوالها
وَحُسِدتُ حتى قيلَ أصبحَ باغيا ... في المشيِ مُترفَ شيمةٍ مُختالها
ولقد حذوتُ لمن أطاعَ ومن عصى ... نعلاً ورثتَ عنِ النبي مثالها

أما قوله – قصرت حمائله – البيت .. فالأصل فيه قول عنترة

بَطَلٌ كأنَّ ثيابَهُ في سَرحةٍ ... يُحذي نعالَ السِّبتِ ليسَ بتوأمِ

أو قول الأعشى

إلى ماجدٍ كهلالِ السما ... ءِ أزكى وفاءً ومجداً وخيرا
طويلِ النجادِ رفيعِ العما ... دِ يحمي المُضافَ ويُغني الفقيرا

ومثله

طويلُ نجادِ السيفِ عارٍ جبينُهُ ... كنصلِ اليماني أخلصتهُ صياقلُهْ
إذا همَّ بالمعروفِ لم تجرِ طيرُهُ ... نحوساً ولم تسبقْ نداهُ عواذلُهْ

ومثله قول طريح بن اسمعيل الثقفي

وأشمَّ طلاعِ الثنايا مباركٍ ... يطولُ نجادَ السيفِ وهو طويلُ

ولأبي جويرية العبدي

يمدُّ نجادَ السيفِ حتى كأنَّهُ ... بأعلى سنامَيْ فالجٍ يتطوَّحُ
إذا اعتمَّ في البُردِ اليمانيِّ خلتَهُ ... هلالاً بدا في جانبِ الأفقِ يلمحُ

ولأبي عطاء السندي

وأزهرَ من بني عمرو بنِ عمرٍو ... حمائلُهُ وإنْ طالتْ قِصارُ

ولبعضهم في آل المهلب

رأيتُكمُ أعزَّ الناسِ جاراً ... وأمنعَهمْ إذا عُدُّوا ذِمارا

حَمَائِلُكُمْ وإنْ كانَتْ طِوَالاً ... تَرَاهَا عن شَمَائِلِكُمْ قِصَارَا

ولبعض بني الضبر في معنى الطول

فَجَاءَتْ بِهِ عَبْلَ العِظَامِ كأنّما ... عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرِّحَالِ لِوَاءُ [1]

ولآخر

أَشَمُّ طَوِيلُ السَّاعِدَيْنِ كأنَّما ... تُنَاطُ الى جِذْعٍ طَوِيلٍ حَمَائِلُهْ

ولابن هرمة

تُنَاطُ حَمَائِلُ الهِنْدِيِّ مِنْهُ ... بِعَاتِقِ لاَ أَلَفَّ وَلاَ ضَئِيلِ

وَلَكِنْ يَسْتَقِلُّ بِهِ قُوَاهُ ... على ماضٍ بِقَائِمِهِ ثَقِيلِ

ولسلم الخاسر

يَقُومُ مَعَ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ قَائِماً ... وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نِجَادِ

وللخثعمي

يُوَازِي الرُّدَيْنِيَّ في طُولِهِ ... وَيَقْصُرُ عَنْهُ نِجَادُ الحُسَامِ

وللوالبي

طَوْلٌ وَطُولٌ فَتَرَى كَفَّهُ ... يَنْهَلُّ بالطَّوْلِ انْهِلاَلَ الغَمَامِ

وطُولُهُ يَغْتَالُ يَوْمَ الوَغَى ... وغيرِهِ فَضْلَ نِجَادِ الحُسَامِ

فأما قوله ـ ولقد حذوت لمن أطاع ـ البيت ٠٠ فقد ردد معناه مروان في مواضع من شعره فقال

---

(١) وقبله

فلا تعذلي في جندج ان جندجاً ... وليث عفرّين لدي سواء

حميت عن المهّار أطهار أمه ... وبعض الرجال المدعين جفاء

شبيهُ أبيهِ منظراً وخليقةً ... كما حُذِيَتْ يوماً على أختِها النَّعلُ

وقال فى موضع آخر

احيا لنا سُنَنَ النبي مُحمّدٍ ... قَدّ الشراكِ بهِ قرنت شِراكا

وقال أيضاً

صحيحُ الضميرِ سِرُّهُ مثلُ جهرِهِ ... قياسُ الشراكِ بالشراكِ تقابلُهْ

وقال أيضاً

تَشابَهْتُما حلماً وعدلاً ونائلاً ... وحزماً إذا أمرٌ أقامَ وأقعدا

تنازعتُما تفسيرَ هذي كهذهِ ... على أصلِ عِرقٍ كانَ أفخرَ متلدا

كما قاسَ نعلاً حضرميٌّ فقدَّها ... على أختِها لمْ يألُ أنْ يتجرّدا

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

تنازعَ الأحمدانِ الشبهَ فاتفقا ... خَلْقاً وخُلْقاً كما قُدَّ الشراكانِ

والأصل فى هذا قول ابن أبي ربيعة

فلما تواقفنا اعترفتُ الّذي بها ... كمثلِ الذي بي حذوكَ النعلَ بالنعلِ (١)

---

(١) البيت من قصيدة مطلعها

جرى ناصح بالود بينى وبينها ... فقربني يوم الحصاب الي قتلى

فما أنس ملأشياء لا أنس موقفي ... وموقفها يوماً بقارعة النخل

فلما تواقفنا اعترفت الذي بها ... كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

روي ان ابن أبي ربيعة اجتمع هو وجميل بالأبطح فأنشده جميل لاميته التى أولها

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلى ... بثينة أو أبدت لنا جانب البخل

فأنشده عمر لاميته فقال جميل هيهات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالي وما خاطب النساء مخاطبتك أحد وقام مشمراً

ومثله للسيد الحميري رحمه الله تعالى

يَتلُونَ أخلاقَ النَّبيِّ وَفعلَهُ فالنَّعلُ تُشبِهُ في المِثالِ طِراقَها

وقد تقدم الى هذا المعنى يزيد بن الكسر بن ثعلبة بن سيّار العجلي بقوله في يوم ذي قار يحرض قومه على القتال

من فرَّ منكمْ فرَّ عن حريمهِ وَجارهِ وفرَّ عن نديمهِ

أنا ابنُ سيَّارٍ على شكيمهِ مثلَ الشِّراكِ قدَّ من أديمهِ

* وكلُّهمْ يجري على قديمهِ *

فأما قوله * وحسدت حتى قيل أصبح باغياً * البيت في معناه قول البحتري

ألنتَ لي الأيامَ من بعدِ قسوةٍ وعاتبتَ لي دهري المسيء فأعتبا

والبستني النُّعمى التي غيّرتْ أخي عليَّ فأمسى نازحَ الودِّ أجنبا

ومما يختار لمروان قوله

موفَّقٌ لسبيلِ الرُّشدِ متَّبِعٌ يَزينُهُ كلُّ ما يأتي ويجتنبُ

تسمو العيونُ إليهِ كلما انفرجتْ للناسِ عن وجههِ الأبوابُ والحُجُبُ

لهُ خلائقُ بيضٌ لا يُغيِّرُها صرفُ الزَّمانِ كما لا يصدأُ الذَّهبُ

ووجدت بعض من ينقد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يتمثل به غير هذا البيت الأخير من الثلاثة .. وكأن ابن مناذر إياه أراد بقوله وقد سأل وهو مجاور بمكة عمن ببغداد من الشعراء فقيل له العباس بن الأحنف فقال أنشدوني له فأنشدوه

لو كُنتِ عاتبةً لسكَّنَ عبرَتي أملي رضاكِ وزُرتُ غيرَ مُراقبِ

لكن صددتِ فلم تكنْ لي حيلةٌ صدُّ الملولِ خلافُ صدِّ العاتبِ

فقال ابن مناذر أخلق بمن أدام بحث التراب أن يصيب خرزة .. [قال الشريف

المرتضى] رضى الله عنه ولا شك فى قلة الأمثال فى شعر مروان ولكن ليس الى هذا الحد وهذا المعنى الذى قد تضمنه البيت قد سبق اليه أيضاً .. قال طريح بن اسماعيل

جَوَادٌ اذا جِئْتَهُ راجِياً كَفاكَ السُّؤالَ وانْ عُدْتَ عادَا
خَلاَئِقُهُ كَسَبِيكِ النُّضا رِ لاَ يَعْمَلُ الدَّهرُ فيهِ فَسادَا

ومثله قول الخزيمي

رأيْتُكَ يازَيْدُ زَيْدَ النَّدى وَزَيْدَ الفَخارِ وَزَيْدَ الكَرَمْ
تَزِيدُ على نائِباتِ الخُطُو بِ بَذْلاً وفي سابِغاتِ النِّعَمْ
كَذا الخمرُ والذَّهبُ المَعْدِنيُّ يَجُودُ هذا وذاكَ القِدَمْ

وفى قوله ـ الذهب المعدني ـ فائدة لانه اذا خلص الذهب وصفا لم يفسد واذا امتزج بغيره لم يكن هذا حكمه .. وللأموي

تأوي إلى خُلُقٍ لمْ يَصْدِهِ طَمَعٌ كأنَّ جَوهَرَهُ منْ جَوهَرِ الذَّهبِ

وليعضهم

مَلِكٌ لهُ خُلُقٌ خَليقٌ بالعُلى كَسَبِيكَةِ الذَّهَبِ التي لا تَكلفُ

وقد أخذ الخبزارزى هذا المعنى فى قوله

فلاَ تَعِنْ لِتَحرِيفِ تُكَلِّمُهُ لِصُورَةٍ حُسْنُها الأَصْليُّ يَكْفِيها
إنّ الدّنانيرَ لا تُجْلَى وإنْ عَتُقَتْ وَلا تُزادُ على الحُسْنِ الّذِي فيها

ولجحظة

صَدِيقٌ لِي لهُ أدبٌ صَداقَةُ مثلِهِ حَسَبُ
رعَى لِي فَوقَ مايُرْعى وأوجَبَ فَوقَ مايَجِبُ
وَلَو نُقِدَتْ خَلائِقُهُ لَبَهْرَجَ عِندَها الذَّهبُ

﴿ مجلس آخر ٤٤ ﴾

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك وإذ هم نجوى) الآية .. فقال لم وحّد نجوى وهو خبر عن جمع وما معنى مسحوراً وما جرت عادة مشركي العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك بل عادتهم جارية بقرفه بانه ساحر .. الجواب أما قوله تعالى (وإذ هم نجوى) فان نجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو مقر على لفظه ويجري ذلك مجرى قولهم الرجال صوم والمناهل حمد يعني بصوم صائمون وبحمد محمودون .. وقد قال قوم ان معناه وإذ هم أصحاب نجوى فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ويقال القوم نجي والقوم أنجية فمن وحّد بني على مذهب المصدر ومن جمع جعله منقولا عن المصادر ملحقاً برغيف وأرغفة وما أشبه ذلك .. قال الشاعر في التوحيد

أتاني نَجِيّي بعدَ هَدْءٍ ورَقْدَةٍ ... ولم أكُ فيما قد بلوتُ بكاذبِ[1]

---

(١) قوله ـ أتاني نجيي ـ الخ .. هو لسواد بن قارب الدوسي رضي الله عنه وقيل انه سدوسي وهو صحابي وبعده

ثلاث ليال قوله كل ليلة ... أتاك رسول من لؤي بن غالب

فرفعت أذيال الازار وشمرت ... بي العرمس الوجناء هول السباسب

فأشهد أن الله لا رب غيره ... وانك مأمون على كل غائب

وانك أدنى المرسلين وسيلة ... الى الله يابن الأكرمين الأطايب

فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا ... وان كان فيما جئت شيب الذوائب

وكن لي شفيعاً يوم لاذو قرابة ... بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

روى ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له وهو خليفة كيف كهانتك اليوم فغضب سواد وقال يا أمير المؤمنين ما قالها لي أحد قبلك فاستحيي عمر ثم قال له يا سواد ما كنا عليه من الشرك أعظم من كهانتك ثم سأله عن حديثه في بدء الاسلام وما أتاه

وأنشد الفرّاء في الجمع

ظلّتْ نساؤهمُ والقومُ انجِيَةٌ ... يُعْدَى عليها كما يُعْدَى على الغَنَمِ

فأما قوله تعالى (إن تتبعون إلاّ رجلا مسحوراً) ففيه وجوه . . أولها أن يكون المراد ان تتبعون إلاّ رجلا متغير العقل لأن المشركين كان من مذهبهم عيب النبي صلى الله عليه وسلم وتضعيف أمره وتوهين رأيه وكانوا في وقت ينسبونه الى أنه ساحر وفي آخر يرمونه بالجنون وانه مسحور متغير العقل وربما قذفوه بانه شاعر حوشي من ذلك كله وقد جرت عادة الناس بان يصفوا من يضيفونه الى البله والغفلة وقلة التحصيل بانه مسحور . . وثانيها أن يريدوا بالمسحور المخدوع والمعلل لان ذلك أحد ما يستعمل فيه هذه اللفظة . . قال امرؤ القيس

أرانا موضِعينَ لِحتْمِ غَيْبٍ ... ونُسحَرُ بالطعامِ وبالشَّرابِ(١)

به رئيه من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره انه أتاه رئيه ثلاث ليال متواليات وهو فيها كلها بين النائم واليقظان فقال له قم ياسواد فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لوءي بن غالب يدعو الى الله والى عبادته وأنشد في كل ليلة من الثلاث ليال ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة أولها

عجبت للجن وتطلابها ... وشدها العيس بأقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ... ما صادقُ الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم ... ليس قُدَّاماها كأذنابها

وذكر تمام الخبر وانه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشده الأبيات السابقة

(١) وبعده

عصافيرٌ وذبانٌ ودود ... وأجرأ من مجلحة الذئاب

ويروى وأجر . . وبعده

وكل مكارم الأخلاق صارت ... اليه همتي وبه اكتسابي
فبعض اللوم عاذلتي فإني ... ستكفيني التجارب وانتسابي

وقال أمية بن أبي الصلت

فإنْ تسألينا فيمَ نحنُ فإنَّنا   عصافيرُ من هذا الأنامِ المُسحَّرِ

•• وثالثها ان السحر في اللغة العربية الرئة وما تعلق بها وفيه ثلاث لغات سَحْرٌ وسِحْر وسُحْرٌ •• وقيل ان السحر ما لصق بالحلقوم والمرئ من أعلا الجوف وقيل انه الكبد فكان المعنى على هذا إن يتبعون إلاَّ رجلا مسحوراً ذا سحر خلقه الله بشراً كخلقتكم •• ورابعها أن يكون معنى مسحوراً أى ساحراً وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل قال الله تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) أى ساتراً والعرب تقول للمعسر ملقح[1] ومعناه مُلقح لان ماضيه ألقح فجاؤا بلفظ المفعول وهو للفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشؤمٌ على فلان وميمون ويريدون شائم ويامن لانه من شامهم ويمنهم ••[قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه ورأيت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الأخير ويقول العرب لا تعرف فلان مشؤم على فلان وانما هذا من كلام أهل الأمصار وانما تسمي العرب من لحقه الشؤم مشؤماً •• قال علقمة بن عبدة

ومنْ تعرَّضَ للغِرْبانِ يزجرُها   على سلامتهِ لا بُدَّ مشؤمُ[2]

الى عرق الثرى وشجت عروقي   وهذا الموت يسلبني شبابي

الى آخر الأبيات

(١) قوله ملقحٌ هكذا في الاصل ووردت كذلك في بعض الكتب •• والصحيح ملفج بالفاء والجيم وهو من الأوصاف التي وردت على أفعل فهو مفعل أي استغنى بصيغة اسم المفعول فيها عن اسم الفاعل وهي ألفج الرجل فهو ملفج أى ذهب ماله وأسهب فهو مسهب أى كثر كلامه وأحصن فهو محصن وأهتر فهو مهتر وزاد بعضهم اجرأشت الابل فهي مجرأشة

(٢) قال الضبي هذا لايمانه بالطيرة يقول من يزجر الطير وان سلم فلا بد أن يصيبه شؤم وأنهد

والوجوه الثلاثة الأول أوضح وأشبه .. ومما يختار لمروان بن أبي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني أولها

أَرَى القلبَ أمسَى بالأوانسِ مُولَعا ... وَإنْ كانَ من عهدِ الصِّبى قد تَمتَّعا

يقول فيها

ولما سرى الهمُّ الغريبُ قَرَيتهُ ... قِرى من أزالَ الشكَّ عنهُ وأزمعا

عزَمتُ فعجَّلتُ الرَّحيلَ ولمْ أكُنْ ... كَذي لَوثةٍ لا يُطلِعُ الهمَّ مَطلَعا

فأمَّتْ رِكابِي أرضَ معنٍ ولمْ تزَلْ ... إلى أرضِ معنٍ حيثُ ما كانَ نُزَّعا

نَجائبُ لولا أنَّها سخِّرَتْ لنا ... أبتْ عزَّةً من جهلِها أنْ تُورَّعا

كَسَونا رِحالَ الميسِ منها غواربًا ... تَدارَكَ فيها النيُّ صيفًا ومَربَعا

فما بلغتْ صنعاءَ حتى تواضعتْ ... ذُراها وَزالَ الجهلُ عنها وأقلَعا

يقول فيها

وما الغيثُ إذْ عمَّ البلادَ بصَوبِهِ ... على الناسِ من معروفِ معنٍ بأوسَعا

تداركَ معنٌ قُبَّةَ الدِّين بعدَما ... خشِينا على أوتادِها أنْ تُنزَّعا

أقامَ على الثَّغرِ المخوفِ وهاشمٌ ... تَساقَى سِمامًا بالأسنَّةِ مُنقَعا

إمام كان لقمان بن عاد ... أشار له بحكمته مشير

تعلم انه لا طير إلاّ ... على متطير وهو الثبور

بلى شئٌ يوافق بعض شئٍ ... أحايينا وباطله كثير

قال الرستمي يقول الغربان يتشاءم بها فمن تعرض لها يزجرها ويطردها خوفاً أن يصيبه الشؤم فلا بد أن يقع بما خاف ويحذر وبيت علقمة من قصيدته المشهورة التى مطلعها

هل ما علمت وما استودعت مكتوم ... أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

مُقامَ امرِىءٍ يأبَى سوى الخُطةِ التى تكُونُ لدَى غِبِّ الأحاديثِ أنقما
وَما أحجَمَ الأعداءُ عنكَ بقيةً عليكَ ولكنْ لم يروا فيكَ مَطمَعا
رأوا مُخدِرًا قدْ جرَّبوهُ وعاينُوا لدَى غيلهِ منهمْ مجرًّا ومَصرَعا
وليسَ بثانيهِ إذا شدَّ أنْ يرَى لدَى نحرهِ زُرقَ الأسنةِ شُرَّعا
لهُ رَاحتانِ الحتفُ والغيثُ فيهما أبَى اللهُ إلاّ أنْ تضرَّ وتنفعا
لقدْ دوَّخَ الأعداءَ منْ فأصبحُوا وأمنعُهمْ لاَ يدفعُ الذلَّ مَدفَعا
نجيبُ مناجيبٍ وسيِّدُ سادةٍ ذُرَى المجدِ منْ فرعَى نزارٍ تفرَّعا
لبانتْ خصالُ الخيرِ فيهِ وأُكملتْ وما كَمُلتْ خمسٌ سنوهُ وأربَعا
لقدْ أصبحتْ في كلِّ شرقٍ ومغربٍ بسيفكَ أعناقُ المُريبينَ خُضَّعا
وطئتَ خدُودَ الحضرميينَ وطأةً لها هدَّ رُكنٌ منهمُ فتضعضعا
فأقعوا على الأذنابِ إقعاءَ معشرٍ يرَونَ لزُومَ السلْمِ أبقَى وأودَعا
فلوْ مُدَّتِ الأيدِي إلى الحربِ كُلُّها لكفُّوا وما مدُّوا إلى الحربِ إصبَعا

أما قوله — فما بلغت صنعاء حتى تواضعت — البيت •• فقد ردده في موضع آخر فقال

فما بلغتْ حتّى حماها كلالُها إذا عريتْ أصلابُها أنْ تُقيّدا

وهذا كثير في الشعر القديم والمحدث •• فمنه قول جرير

إذَا بلغُوا المنازلَ لمْ تُقيَّدْ وفِي طُولِ الكلالِ لها قيُودُ

وروى انه قيل لنصيب لك بيت نازعك فيه جرير أيكما فيه أشعر فقال ماهو فقيل قولك

أضرَّ بها التهجيرُ حتّى كأنّها بقايا سلالٍ لم يدعْها سلالُها

وأنشد بيت جرير الذي تقدم فقال قاتل الله ابن الخطفي فقيل له قد فضلته عليك فقال

هو ذاك .. وأخذ هذا المعنى بعينه المؤمل بن أميل المحاربي فقال

كانَتْ تُقَيَّدُ حينَ تَنْزِلُ منزلاً　　فاليَومَ صارَ لَها الـكَلالُ قُيُودَا

ولأبي نخيلة

قَيَّدَها الجَهْدُ ولم يُقَيَّدِ　　فَهِيَ سَوامٍ كالقَنا المُسَنَّدِ

ومالَها مُعَلَّلٌ من مِزْوَدِ　　مِنْها ولا مِنْ شاحِطٍ مُسْتَبْعَدِ

ومعنى قوله ــ سوام ــ أي هي رافعة رؤسها وشبهها بالقنا لأن القنا اذا ركز مال قليلا مع الريح فيقول في أعناقها ميل من الضعف كما قال الشماخ

فأَضْحَتْ تَفالى بالسِّتارِ كأنَّها　　رِماحٌ نَحاها وِجْهَةَ الرِّيحِ راكِزُ

وكما قال حميد بن ثور الهلالي

بمَثْوَى حَرامٍ والمطِيُّ كأنَّها　　قَنًا مُسْنَدٌ هبَّتْ لهُنَّ خَرِيقُ

ــ الخريق ــ ريح شديدة تخرق من كل جهة .. ومعنى قول أبي نخيلة ــ من مزود ــ أي من ثميلة تجترها من الاجترار وانه لا شيء في أجوافها تعلل به ــ والمستبعد ــ ما بعد من المرعى .. وأنشد أبو العباس ثعلب

إذا بَلَغُوا المَنازِلَ لم تُقَيَّدْ　　وَلم تُشْدَدْ رَكائِبُهُمْ بِعَقْلِ

فَهُنَّ مُقَيَّداتٌ مُطْلَقاتٌ　　تُقَضِّمُ ما تَشَذَّبُ في المَحَلِّ

والأصل في هذا قول امرىء القيس

مَطَوْتُ بِهِمْ حتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُمْ　　وَحتَّى الجِيادُ مايُقَدْنَ بِأَرْسانِ

ولعباد بن أنف الكلبي الصيداوي

فتَمْشي لا أُقَيِّدُها بِحَبْلٍ　　بِها طُولُ الضَّرارَةِ وَالـكَلالِ

ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الابل

بَدَأْنا بِها مِنْ سِيفِ رَمْلِ كُهَيْلَةٍ　　وَفِيها نَشاطٌ مِنْ مِراحٍ وَعَجْرَفُ

فما بلغت حتى تقارب خطوها ... وبادت ذراها والمناسم رعف

وحتى قتلنا الجهل عنها وغودرت ... إذا ما أنيخت والمدامع ذرف

وحتى مشى الحادي البطي يسوقها ... لها بخص دام ودئي مجلف

ـ البخص ـ لحم الخف الذي [1] يطأ عليه ـ والدئى ـ فقار الظهر ـ والمجلف ـ المقشور

وحتى تنشاها وما في يد لها ... اذا حل عنها رمة وهي رسف

ـ الرمة ـ الحبل .. وأراد انها يزيف كما تزيف المقيد وان لم يكن في يدها قيد

إذا ما نزلنا قاتلت عن ظهورها ... حراجيج أمثال الأهلة شسف

ـ الحراجيج ـ الطوال من الابل ـ والشسف ـ اليابسة من الجهد والكلال .. ومعنى قتالها للغربان انها اذا عريت ظهورها فتقع الغربان عليها لتأكل دبرها فالابل تدفع الغربان بأفواهها عن ظهورها فذلك قتالها

اذا ما أرينا ها الأزمة أقبلت ... الينا بحرات الخدود تصدف

فأفني مراح الداهرية خوضها ... بنا الليل إذ نام الدثور الملفف

ويروي أرقلت .. ومن أحسن ما قيل في وصف الابل بالنحول من الكلال والجهد بعد السمن قول الشاعر

وذات مائين قد غيضت جمتها ... بحيث يستمسك الأرواح بالحجر

ردت عواري غيطان الفلا ونحت ... بمثل إبالة من حائل العشر

قوله ـ ذات مائين ـ يعنى سمناً على سمن وقيل بل عنى أنها رعت كلأ عامين .. وقوله

---

(١) وقيل البخص ما ولى الأرض من تحت أصابع الرجلين وتحت مناسم البعير والنعام وقيل هو لحم يخالطه بياض من فساد يحل فيه والدئى بكسر الدال والهمزة جمع دأية وهى فقر الكاهل والظهر أو غراضيف الصدر أو ضلوعه في ملتقاه وملتقى الجنب

ـ قد غيضت جمتها ـ يعني انه أتعبها بالسير حتى ردها هزلى بعد سمن فكأنه غيض بذلك ماءها . . ومعنى ـ بحيث يستمسك الأرواح بالحجر ـ يعني الفلاة حيث لا يكون فيها الماء فيقتسم الركب الماء الذي يكون معهم بالحجر الذي يقال له المقلة فتمسك أرماقهم . . وقوله ـ ردت عواري غيطان الفلا ـ أي مارعت من كلأ هذه الأماكن وسمنت عنه كان كعارية عندها فردته حيث جهدها السير وأهزلها ـ والإيبالة ـ الحزمة من الحطب اليابس . . وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال

رَعَتْهُ الفَيَافِي بعدَ أنْ كانَ حقبةً رَعاهَا وماءُ المُزْنِ يَنْهَلُّ ساكِبُهْ[1]

فكمْ جَزْعِ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةَ غارِبٍ وَمِنْ قبلُ كانتْ أنهكتْهُ مذاهِبُهْ

فأما قوله ـ فما أحجم الأعداء عنك بقية ـ البيت فأخوذ من قول الأول

فَما بُقْيا عَلَيَّ تَرَكْتُمانِي ولكنْ خِفْتُما صَرَدَ النِّبالِ[2]

---

(١) هذان البيتان من قصيدته المشهورة التي مدح بها عبد الله بن طاهر لما قدم خراسان حكى انه لما أنشده إياها وبلغ الى قوله

وقلقل نأي من خراسان جأشها فقلت اطمأني انضر الروض عازبه
وركب كأطراف الأسنة عرجوا على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

صاح الشعراء بالأمير ما يستحق هذا الشعر غير الأمير أعزه الله . . وقال شاعر منهم يعرف بالرياحي لي عند الأمير أعزه الله جائزة وعدني بها وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير فقال له بل نضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار فلقطها الغلمان ولم يمس منها شيئاً فوجد عليه عبد الله وقال يترفع عن برى ويتهاون بما أكرمته به فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك

(٢) قوله ـ فما بقيا علي ـ الخ . . البُقيا بالضم الرحمة والشفقة ـ وصرد ـ السهم من باب فرح من الاضداد اذا نفذ واذا نكل فيكون المعنى على النفوذ انكما خفتما نفوذ سهامي فيكما أي هجائي وعلى معنى النكول أي خفتما أن لا تنفذ سهامكما في فعجزتما عني وهو

وقريب منه قول الآخر

لَعَمْرُكَ ماالنَّاسُ اثنَوْا عليكَ ... وَلاَ قَرَّظُوكَ وَلاَ عَظَّمُوا

ولوْ أَنَّهُمْ وَجدُوا مطْعَنًا ... إلى أَنْ يَعِيبُوكَ ماأَحْجَمُوا

فانْتَ بِفَضلِكَ الجأْتَهُمْ ... إلى أَنْ يُجِلُّوا وَأَنْ يُعْظِمُوا

ومثله

أما لوْرَأَى فيكَ العَدُوُّ نَقيصةً ... لخَبَّ بتَصْرِيفِ العُيُوبِ وَأَوضَعا

وَلَـكنهُ لما رَءاكَ مبرءًا ... مِنَ العَيْبِ غَطَّى رَأْسَهُ وَتَقَنَّعا

ومثله

قدْ طَلَبَ العَاذِلُ عيْبًا فَما ... أَصابَ عيْبًا فانثَنَى عاذِرَا

وللبحترى فى معنى قول مروان ... * فما أحجم الأعداء عنك بقية *

من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الأسد

غداةَ لقيتَ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ خادِرٌ ... يُحَدِّدُ نَابًا بِاللِّقَاءِ وَمِخْلَبَا

شَهِدتُ لقدْ أَنصفتَهُ يومَ تنبَرِي ... لهُ مُصْلِتًا عَضبًا من البيضِ مِقْضَبَا

أول أبيات لّلعين المنقري يهجو بهما جريراً والفرزدق وبعده

فدونكما الطرا أهجوت أم لا ... فذوقا فى المواطن من نبالي

وما كان الفرزدق غير قين ... لئيم خاله للؤم تالي

ويترك جده الخطفى جرير ... ويندب حاجباً وبني عقال

وكان اللعين تعرض لجرير والفرزدق فقال

سأقضي بين كلب بني كليب ... وبين القين قين بني عقال

بأن الكلب مرتعه وخيم ... وأن القين يعمل فى سفال

فلم يجبه أحد منهما فقال الأبيات المتقدمة

فلمْ أرَ ضِرْغامينِ أصدَقَ منكُما ... عِراكاً إذا الهيَّابةُ النِّكسُ كذَّبا

هِزَبْرٌ مشى يبغي هِزَبْراً واغلبٌ ... من القومِ يمشي باسلَ الوجهِ أغلبا

أدلَّ بِشغْبٍ ثمَّ هالتْهُ صولةٌ ... رآكَ لها أمضى جَناناً وأشغبا

فاحجَمَ لمَّا لم يجدْ فيكَ مطمَعاً ... واقدمَ لمَّا لم يجدْ عنكَ مهرَبا

فلم يُنجهِ أنْ كرَّ نحوكَ مقبلاً ... ولم يُنجهِ أنْ حادَ عنكَ منكِّبا

حملتَ عليهِ السَّيفَ لاعزمُكَ انثنى ... ولا يدُكَ ارتدَّتْ ولا حدُّهُ نبا

وكُنتَ متى تجمعْ يمينكَ تهتكِ ال ... ضَّريبةَ أوْلا تُبقِ للسَّيفِ مضرَبا

ومن سائر كلام مروان ورائقه وما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسج قوله

بنو مطرٍ يومَ اللقاءِ كأنَّهمْ ... أُسودٌ لها في غيلِ خفَّانَ أشبُلُ

هُمُ يمنعونَ الجارَ حتى كأنَّما ... لجارِهمُ بينَ السِّماكينِ منزِلُ

لَهاميمُ في الإسلامِ سادُوا ولم يكنْ ... كأوَّلهمْ في الجاهليَّةِ أوَّلُ

همُ القومُ إنْ قالوا أصابُوا وإنْ دُعوا ... اجابُوا وإنْ اعطَوا أطابُوا وأجزَلُوا

وما يستطيعُ الفاعلونَ فعالَهمْ ... وإنْ احسنُوا في النائباتِ واجملُوا

ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حُباهمُ ... وأحلامُهمْ منها لدى الوزنِ اثقلُ

ومن جيد قوله في قصيدة يمدح بها معناً

ما منْ عدوٍّ يرى معناً بساحتهِ ... إلاَّ يظنُّ المنايا تسبقُ القدَرا

يلقى اذا الخيلُ لم تُقدِمْ فوارسُها ... كالليثِ يزدادُ إقداماً إذا زُجِرا

أغرُّ يُحسبُ يومَ الرَّوعِ ذا لِبَدٍ ... ورَداً ويُحسبُ فوقَ المنبرِ القمرا

وله من قصيدة يصف يوماً حاراً

وَيوْمٍ عَسُولِ الآلِ حامٍ كأنّما   لَظَى شَمْسِهِ مَشْبُوبُ نارٍ تَلَهَّبُ
نَصَبْنا لهُ منّا الوُجُوهَ وَكِنُّها   عَصَائِبُ أسْمَالٍ بها يُتَعَصَّبُ

ويشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشنفري

وَيوْمٍ منَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعابُهُ   أفاعِيهِ فِي رَمْضائِهِ تَتملْمَلُ (١)
نَصَبْتُ لهُ وجهِي ولكنّ دُونهُ   وَلا سِتْرَ الا الأتْحَميُّ المُرَعْبَلُ (٢)

ولمروان من أبيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدى ويذكر فيها نخلها وشجرها أجاد فيها

نَوَاضِرُ عَلْياءُ قد تَدانَتْ رُؤُسُها   منَ النَّبْتِ حتّى ما يَطيرُ غُرابُها
تَرَى البَاسِقاتِ العُمَّ فِيها كأنّها   ظَعائِنُ مَضْرُوبٌ عَلَيْها قِبابُها
تَرَى بابَها سَهْلاً لِكُلِّ مدفّع   اذا أيْنَعَتْ نَخْلٌ فأُغْلِقَ بابُها
يَكُونُ لَنا مانَجْتَنِي مِنْ ثِمارِها   رَبيعاً إذَا الآفاقُ قَلَّ سَحابُها

---

(١) البيتان من قصيدته المشهورة المسماة الشنفرية ولامية العرب ـ الشعرى ـ هي الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر ـ وذاب ـ الشئ نقيض جمد ـ ولعابه ـ ولوابه واحد ٠٠ ولعابه هنا ما تراه من شدة الحر مثل نسج العنكبوت ـ والأفاعى ـ جمع أفعى وهي الحية ـ والرمض ـ شدة وقع الشمس على الرمل وغيره والأرض رمضاء أى أصابها الرمض ـ والتململ ـ التحرك على الفراش اذا لم تستقر عليه من الوجع كأنه على ملة والملة الرماد الحار ٠ ٠ والواو فى ويوم واو رب ومن لبيان الجنس والتقدير ويوم من الأيام التى تطلع فيها الشعرى ومن الشعرى صفة يوم ويذوب نعت ليوم أيضاً أى ذائب لعابه وأفاعيه مبتدأ وتململ خبره وفى رمضائه متعلق بتململ

(٢) ـ النصب ـ الاقامة تقول نصبت وجهي للحر أقمته ـ والكن ـ الستر والجمع أكنان ـ والأتحمي ـ برد معروف ـ والمرعبل ـ الممزق فقوله نصبت هو جواب رب

حَظَائِرُ لمْ يُخْلَطْ بأثمانها الرِّبي ... ولم يَكُ من أخذِ الدِّياتِ اكتسابُها

وَلكن عطاء الله من كلِّ مِدْحةٍ ... جَزِيلٍ منَ المُستخلفِينَ ثوابُها

وَمنْ رَكضِنا بالخَيلِ في كلِّ غارةٍ ... حلالٌ بأرضِ المُشركينَ نهابُها

حوَتْ غنمَها آباؤنا وَجُدُودُنا ... بِصُمِّ العوالي والدِّماء خِضابُها

فأما قوله

حَظائرُ لم يُخْلَطْ بأثمانها الرِّبي ... وَلم يَكُ من أخذِ الدِّياتِ اكتسابُها

فكأن ابن المعتز نظر اليه في قوله

لَنا إبلٌ ما وَفّرَتْها دِياتُنا ... وَلا ذَعرَتْها في الصَّباحِ الصَّوائحُ

وفي ضد هذا قول أبي تمام

كَثُرَتْ فيهمُ المَسارِحُ إلاّ ... أنّها من مَناكِحٍ وَدِياتِ

ومثل الأول قول حسان يهجو قوماً من قريش

وَمالكُمُ لا من طِرادِ فوارسٍ ... ولكنْ منَ التَّرفيحِ بِاشرِّ مالِكِ

﴿ مجلس آخر ٤٥ ﴾

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن معنى قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) .. وقوله تعالى (إنما نطعمكم لوجه الله) .. وقوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وما شاكل ذلك من آي القرآن المتضمنة لذكر الوجه .. الجواب قلنا الوجه ينقسم في اللغة العربية الى أقسام . فالوجه المعروف المركب فيه العينان من كل حيوان . والوجه أيضاً أول الشيء وصدره ومن ذلك قوله تعالى (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) أي

أوّل النهار .. ومنه قول الربيع بن زياد

مَنْ كانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مالِكٍ   فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنا بِوَجْهِ نَهارِ

أي غداة كل يوم ..وقال قوم وجه نهار اسم موضع .والوجه القصد بالفعل من ذلك قوله تعالي (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله) .. وقال الفرزدق

وَاسلَمتُ وَجْهِي حِينَ شُدَّتْ رَكائِبِي   إلي آلِ مَرْوانٍ بَناتِ المَكارِمِ

أى جعلت قصدي وإرادتي لهم .. وأنشد الفراء

استَغْفِرُ اللهَ ذَنْبا لَسْتُ مُحْصِيَهُ   رَبَّ العِبادِ إليهِ الوَجهُ وَالعَمَلُ

أى القصد .. ومنه قولهم في الصلاة وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض أي قصدت قصدى بصلاتى وعملي وكذلك قوله تعالي (فأقم وجهك للدين القيم) .والوجه الاحتيال في الأمرين من قولهم كيف الوجه لهذا الأمر وما الوجه فيه أى ما الحيلة .والوجه الذهاب والجهة والناحية .. قال حمزة بن بيض الحنفى

أيُّ الوُجُوهِ انتَجَعتَ قُلتُ لَهُمْ   لِأيِّ وَجْهٍ إلاَّ إلى الحَكَمِ

مَتَى يَقُلْ صاحِبا سُرادِقِهِ   هذا ابْنُ بَيْضٍ بالبابِ يَبْتَسِمِ

.والوجه القدر والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عريض وفلان أوجه من فلان أى أعظم قدراً وجاهاً ويقال أوجهه السلطان اذا جعل له جاهاً .. قال امرؤ القيس

وَنادَمتُ قَيصَرَ فِي مُلكِهِ   فأوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ البَرِيدَا[1]

---

(١) وقبله

أأذكرت نفسك ما لن يعودا   فهاج التذكر قلباً عميدا
تذكرت هنـداً وأترابهـا   فأصبحت أزمعت منها صدودا
ونادمت قيصر في ملكه   فأوجهني وركبت البريدا
اذا ما ازدحمنا على سـكة   سبقت الفرانق سبقاً شديدا

يقال حمل فلان فلاناً على البريد اذا هيأ له في كل مرحلة مركوباً ليركبه فاذا وصل الى المرحلة الأُخرى نزل عن المعي وركب المرفه وهكذا الى ان يصل الى مقصده . والوجه الرئيس المنظور اليه يقال فلان وجه القوم وهو وجه عشيرته ووجه الشئ نفسه وذاته .. قال أحمد بن جندل

وَنَحْنُ حَفَزْنَا الحَوْفَزَانَ بِطَعْنَةٍ ... فَافْلَتَ مِنْهَا وَجْهُهُ عَتَدٌ بَهْدُ (١)

(١) هكذا بالاصل وفسرها بهامش النسخة أي ضخم ..وقوله قال أحمد بن جندل الخ المعروف ان البيت لسوار بن حبان المنقري قاله يوم جدود والرواية المشهورة

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة ... سقته نجيعاً من دم الجوف أشكلا

وروى ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة ... تمج نجيعاً من دم الجوف أشكلا

وبعده وحمران أدته الينا رماحنا ... ينازع غلا في ذراعيه مقفلا

ونسب ابن قتيبة البيتين لجرير وسمي الحوفزان حوفزاناً لأن قيس بن عاصم التميمي حفزه .. قال الجوهري وأما قول من قال انما حفزه بسطام بن قيس فغلط لانه شيباني فكيف يفتخر به جرير وأما قول الآخر

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة ... سقته نجيعاً من دم الجوف آنيا

فهو الأهتم بن سمي المنقري وأول الشعر

لما دعتني للسيادة منقر ... لدى موطن أضحى له النجم باديا

شددت لها أزري وقد كنت قبلها ... أشد لاحناء الأمور إزاريا

ولنعد الى حديث يوم جدود روى عن أبي عبيدة قال قيس بن عاصم هو الذى حفز الحوفزان بن شريك الشيباني طعنه في استه يوم جدود وكان من حديث ذلك اليوم ان الحارث بن شريك بن عمرو الصاب بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام كانت بينه وبين بني يربوع موادعة ثم هم بالغدر بهم فجمع بني شيبان وبني ذهل واللهازم وقيس بن ثعلبة وتيم الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بني يربوع فنذر به عتيبة بن الحارث ابن شهاب بن شريك فنادى في قومه بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريك على بني مقاعس واخوتهم بني ربيع فلم يجيبوهم فاستصرخوا بني منقر فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يوم شديد

أراد أهلكه ونجاه ومنه قولهم انما أفعل ذلك لوجهك ويدل أيضاً على ان الوجه يعبر به عن الذات قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة) .. وقوله تعالى (وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية) لان جميع ما أضيف الى الوجوه في ظاهر الآى من النظر والظن والرضا لا يصح اضافته على الحقيقة اليها وانما يضاف الى الجملة فمعنى قوله تعالى (كل شئ هالك إلا وجهه) أي كل شئ هالك إلاّ إياه فكذلك قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) لما كان المراد بالوجه نفسه لم يقل ذى كما قال (تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام) لما كان اسمه غيره .. ويمكن في قوله تعالى (كل شئ هالك إلاّ وجهه)

الحر فما شعر الحوفزان إلاّ بالأهتم بن سمى بن سنان بن خالد بن منقر واسم الأهتم سنان وهو واقف على رأسه فوثب الحوفزان الى فرسه فركبه وقال للأهتم من أنت فانتسب له وقال هذه منقر قد أتتك فقال الحوفزان فأنا الحارث بن شريك فنادى الأهتم يا آل سعد ونادى الحوفزان يا آل وائل وحمل كل واحد منهما على صاحبه ولحقت بنو منقر فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه ونادت نساء بنى ربيع يا آل سعد فاشتد قتال بنى منقر لصياحهن فهزمت بكر بن وائل وخلوا ما كان فى أيديهم من بنى مقاعس وما كان فى أيديهم من أموالهم وتبعتهم بنو منقر بين قتل وأسر فأسر الأهتم حمران بن عمرو وقصد قيس بن عاصم الحوفزان ولم يكن له همة غيره والحارث على فرس له قارح يدعى الزبد وقيس على مهر فخاف قيس أن يسبقه الحارث فحفزه بالرمح في استه فتحفز به الفرس فنجا فسمى الحوفزان وأطلق قيس أموال بنى مقاعس وبنى ربيع وسباياهم وأخذ أموال بكر بن وائل وأساراهم وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات وفى هذا اليوم يقول قيس بن عاصم

جزى الله يربوعاً بأسوء فعالها ... اذا ذكرت فى النائبات أمورها

ويوم جدود قد فضحتم ذماركم ... وسالمتموا والخيل تدمى نحورها

ستخطم سعد والرباب أنوفكم ... كما خز فى أنف القضيب جريرها

وجه آخر وقد روى عن بعض المتقدمين وهو أن يكون المراد بالوجه ما يقصد به الى الله تعالى ويوجه به اليه نحو القربة اليه جلّت عظمته فيقول لا تشرك بالله ولا تدع إلهاً غيره فان كل فعل يتقرب به الى غيره ويقصد به سواه فهو هالك باطل وكيف يسوغ للمشبهة أن يحملوا هذه الآية والتي قبلها على الظاهر أو ليس ذلك يوجب انه تعالى يفنى ويبقى وجهه وهذا كفر وجهل من قائله .. فأما قوله تعالى (انما نطعمكم لوجه الله) وقوله (إلاّ ابتغاء وجه ربّه الأعلى) وقوله (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله) فمحمول على ان هذه الأفعال مفعولة له ومقصود بها ثوابه والقربة اليه والزلفة عنده فأما قوله تعالى (فأينما تولوا فثم وجه الله) فيحتمل أن يراد به فثم الله لا على معنى الحلول ولكن على معنى التدبير ..والعلم ويحتمل أيضاً أن يراد به فثم رضى الله وثوابه والقربة اليه ويحتمل أن يكون المراد بالوجه الجهة ويكون الاضافة بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه عز وجل قال (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) أي ان الجهات كلها لله وتحت ملكه وكل هذا واضح بيّن بحمد الله .. أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيي الصولي قال انحدرنا مع المكتفي بالله في آخر سفرة سافرها للصيد من الموضع المعروف بجبة الى تكريت في خراقة [1] فكانت تجنح كثيراً فيشتد فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت أشدهم فزعاً وكان في الخراقة سواي من الجلساء يحيي بن عليّ المنجم ومتوّج بن محمد بن مروان والقاسم المعروف بابن حيابة وكان يضحك لفزعنا ويقول لقد قسم الله لكم حظاً من الشجاعة جزيلا فقلت له ان البحتري يقول شعراً يصف فيه مثل حالنا ويمدح فيه أحمد بن دينار بن عبد الله وقد غزا الروم في مراكب أوله

أَلَمْ تَرَ تَغْلِيسَ الرَّبِيعِ المُبَكِّرِ ۞ وَمَا حَاكَ مِنْ وَشْيِ الرِّيَاضِ المُنَشَّرِ

فقال له أنشدني الموضع الذي قال هذا فيه منها وكان جيّد العلم بالأشعار حافظاً للأخبار

---

(١) ـ الخراقة ـ سفينة صغيرة فيها الشموع والنار .. وقيل انها من الخرق لانها تخرق الماء .. كذا بهامش الأصل

فأنشده

غَدَوْتَ على الميمونِ صُبْحاً وَإنّما ... غَدَا المَرْكَبُ الميمونُ تحتَ المُظفَّرِ

إذَا زَجَرَ النوبيُّ فوقَ علاتِهِ ... رَأَيْتَ خَطيباً في ذُؤَابَةِ مِنْبَرِ

يَغُضُّونَ دُونَ الإشتيامِ عيونَهُمْ ... وَفَوْقَ السِّماطِ للعظيمِ المُؤَمَّرِ

إذَا ما عَلَتْ فيهِ الجَنُوبُ اعْتَلَى لهُ ... جَنَاحُ عُقَابٍ في السَّماءِ مُهَجِّرِ

إذَا ما انكفَى في هَبْوَةِ الماءِ خِلْتَهُ ... تَلَفَّعَ في أثناءِ بُرْدٍ مُحَبَّرِ

وَحَوْلَكَ رَكَّابُونَ لِلْهَوْلِ عاقروا ... كُؤُوسَ الرَّدَى من دارِعينَ وَحُسَّرِ

تَميلُ المَنَايا حَيْثُ مالَتْ أكُفُّهُمْ ... إذَا اصطَلَوا حَدَّ الحَديدِ المُذَكَّرِ

اذَا أرْشَقُوا بالنارِ لم يَكُ رشقُهُمْ ... لِيُقْلِعَ إلاّ عنْ شِوَاءٍ مُقَتَّرِ

صَدَمْتَ بهِمْ صُهْبَ العثَا بينِ دُونَهُمْ ... ضِرَابٌ كإيقادِ اللّظَى المُتَسَعِّرِ

يَسُوقُونَ إسطُولاً كأنَّ سَفِينَهُ ... سَحَائبُ صَيفٍ من جَهَامٍ وَمُمْطِرِ

كأنَّ ضَجِيجَ البَحْرِ بينَ رِماحِهِمْ ... إذَا إختَلَفَتْ تَرْجيعُ عُودٍ مُجَرْجِرِ

تَقَارَبُ من زَحْفَيْهِمُ فكأنَّمَا ... تألَّفَ من أعْنَانِ وَحْشٍ مُنَفَّرِ

على حينَ لا نَقْعٌ تُطَوِّحُهُ الصَّبا ... وَلا أرْضَ تُلْفَى للصَّريعِ المُقَطَّرِ (١)

فَما رِمْتَ حتّى اجْلَتِ الحَرْبُ عن طُلًى ... مُقَصَّصَةٍ فيهم وَهامٍ مُطَيَّرِ

وكُنْتَ ابنَ كِسْرَى قبلَ ذاكَ وَبعْدَهُ ... مَلِيًّا بأنْ تُوهِي صَفاةَ ابْنِ قَيْصَرِ

جَدَحْتَ لهُ المَوْتَ الذعافَ فعافَهُ ... وَطَارَ على ألْوَاحِ شَطْبٍ مُسَمَّرِ

---

(١) ـ المقطّر ـ الملقى على أحد جانبيه .. كذا في هامش الأصل

سَمَيٍ وهوَمُوْلِي الرَّبيعِ يَشكُرُ فَضلَهَا عليهِ وَمَن يُولِي الصَّنيعةَ يُشكَرِ

قال فاستجاد المكتفي بالله قوله — على حين لا نقع نطوحه الصبا — فقال له يحيى بن على أنشدني ابن الرومي شعراً له في هذا المعنى

وَلم أَتَعَلَّمْ قَطُّ مِنْ ذِي سِبَاحَةٍ سِوَى الغَوْصِ وَالمَضْعُوفُ غيرُ مُغالِبِ

وَلِمْ لا وَلَوْ أُلْقِيتُ فِيهَا وَصَخْرَةً لَوَافَيْتُ مِنْهَا القَعْرَ أَوَّلَ رَاسِبِ

وَأَيْسَرُ إِشْفَاقِي مِنَ المَاءِ أَنَّنِي أَمُرُّ بِهِ فِي الكُوزِ مَرَّ الأَجَانِبِ

واخشَى الرَّدَى منهُ على كلِّ شاربٍ فكيفَ بِأَمْنِيهِ على نَفسِ رَاكِبِ

فقلت له انما أخذ ابن الرومي بيته الثالث من قول أبي نواس فقال المكتفي بالله فما قال قلت حدثني علىّ بن سراج المصرى قال حدثني أبو وائل الانخمي قال حدثني ابراهيم بن الخصيب قال وقف أبو نواس بمصر على النيل فرأى رجلا قد أخذه التمساح فقال

اضمَرْتُ لِلنِّيلِ هِجرَانًا وَمَقلِيَةً مُذْ قِيلَ لى إنَّمَا التِّمسَاحُ فِي النِّيلِ

فَمَنْ رَأَى النِّيلَ رَأْيَ العَيْنِ مِنْ كَثَبٍ

فَمَا أَرَى النِّيلَ إِلاَّ فِي البَوَاقِيلِ

قال الصولي — والبواقيل — سفن صغار . . ثم أجري المكتفي بعد ذلك ذكر الشيب فقال العرب تقول أظلم من شيب وقد شبت وظلمني المشيب وشبت يا صولي فقلت جواب عبدك في هذا جواب معن بن زائدة الشيباني لجدك المنصور وقد قال له كبرت يامعن فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين قال وانك لتتجلد قال على أعدائك قال وفيك بحمد الله بقية قال لخدمتك فنزع المكتفي عمامته فاذا شيبتان في مقدم رأسه قال لقد غمني طلوع هاتين الشيبتين فقلت له انما يعيش الناس في الشيب فأما السواد فلا يصحب الناس خالصاً أكثر من أربعين سنة الى الخسين وقد يعاش في البياض الذي لا سواد فيه ثمانون سنة فأنشده يحيى بن علىّ في معنى طول العمر مع المشيب قول امرئ القيس

ألا إنَّ بعدَ العُدْمِ للمرءِ قنوةً وبعدَ المشيبِ طُولَ عُمْرٍ ومَلْبَسا[1]

وأنشدته أنا أيضاً أبياتاً أنشدها اسحق بن ابراهيم الموصلي لبعض القيسيين

لمْ يَنتقصْ منّي المَشيبُ قُلامةً الآنَ حينَ ابدا لبٌّ وأكيسُ

وَالشّيبُ إنْ يَظهرْ فإنّ وَرَاءهُ عُمْرًا يكونُ خلالَهُ مُتنفّسُ

٠٠ [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه أما قول البحتري — مضى وهو مولى الريح — فقد كرر معناه في قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري

أشلى على منويلَ أطرافَ القنا فَنجى عتيقَ عتيقةٍ جرداءِ

فلوَ انّهُ ابطالهنّ هنيئةً لَصدرْنَ عنهُ وهُنّ غيرُ ظماءِ

وَلئنْ تَبقّاهُ القضاءُ لوقتهِ فلقدْ عممْتَ جنُودَهُ بفناءِ

---

(١) هو من قطعته التي أولها

تأوبني دائي القديم فغلسا أحاذر أن يرتد دائي فأنكسا

٠٠ ومنها

فإما تريني لا أغمض ساعة من الليل إلاّ أن أكب فأنعسا

فيارب مكروب كررت وراءه وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا

وما خفت تبريح الحياة كما أرى تضيق ذراعي أن أقوم فألبسا

فلو أنها نفس تموت جميعةً ولكنها نفس تساقط أنفسا

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة لعل منايانا تحولن أبؤسا

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسني من دائه ما تلبسا

وسبب هذه القطعة ان امرأ القيس استنجد قيصر ملك الروم في حربه لبني أسد المشهورة فأمده بجيش عظيم فلما انفصل عنه وشى به رجل من بني أسد يقال له الطماح الى قيصر فبعث اليه بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب فلما وصلت اليه لبسها واشتد سروره بها فأسرع فيه السم وسقط جلده فلذلك سمي ذا القروح فقال هذه القطعة

وأظنه أخذ هذا المعنى من قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر فتح الخرمية

لولاَ الظَّلاَمُ وَقُلَّةٌ عَلِقُوا بِها　　باتَتْ رِقابُهم بِغَيْرِ قِلاَلِ

فَلْيَشْكُرُوا جُنْحَ الظَّلاَمِ ودَرْوَزًا　　فَهُمُ لِدَرْوَزَ والظَّلاَمِ موَالِي

وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت أبي نواس بان البواقيل سفن صغار لأن البواقيل جمع بوقال وهو آلة على هيئة الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيره .. وهذا مثل قول ابن الرومي

أمُرُّ به في الكُوزِ مرَّ المُجَانِبِ

وانما أراد انني لا أمر بماء النيل إلاّ اذا أردت شربه في كوز أو بوقال وما أشبه ذلك وأظن انه استمر عليه الوهم من جهة قوله فما أرى النيل وصرف ذلك الى انه أراد النيل على الحقيقة وانما أراد ماء النيل وما علمت ان السفن الصغار يقال لها بواقيل إلاّ من قول الصولي هذا ولو كان ما ذكره صحيحاً من ان ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت أبي نواس بما ذكرناه أشبه وأليق وأدخل في معنى الشعر وكيف يدخل شبهة في ذلك مع قوله - فمن رأي النيل رأى العين من كثب - ومن رأى النيل في السفن فقد رآه من كثب ومن رأى ماءه في الآنية على بعد فلا يكون رائياً له من كثب .. فأما مدح الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس وأكثروا فما تقدم من ذلك قول رؤبة بن العجاج ويقال ان رؤبة لم يقل من القصيدة إلاّ هذين البيتين

أيُّها الشَّامِتُ المُعَيِّرُ بالشَّيْـ　　ـبِ أقِلَّنَّ بالشَّبابِ افتخارا

قد لَبِستُ الشَّبابَ غَضًّا جَدِيدًا　　فوَجَدْتُ الشَّبابَ ثوْبا مُعارا

ولعلي بن جبلة

جفى طرَبَ الفتيانِ وَهو طَرُوبُ　　واعقَبَهُ قُرْبَ الشَّبابِ مَشِيبُ

تَجافَتْ عيُونُ البِيضِ عنه ورُبَّما　　مَدَدْنَ اليهِ الوَصْلَ وَهوَ حَبِيبُ

لعمري لنعم الصاحب الشيب واعظا ... وإن كان منه للعيون نكوب
خليط نهى منباة حلم وإنه ... على ذاك مكروه الخلاط مريب

ولآخر

وتنكرت شيبي فقلت لها ... ليس الشباب بناقص عمري
سيان شيبي والشباب إذا ... ما كنت من عمري على قدر

ولآخر

إن أكن قد زرت أسود كالفحم ... واعقبت مثل لون النعامة
فلقد أسعف الكريم واحبو ... أهله بالندى وآبى الظلامة
غير أن الشباب كان رداء ... خاننا فيؤه كفي الغمامة

ولآخر

إن المشيب رداء الحلم والأدب ... كما الشباب رداء الجهل واللعب
تعجبت أن رأت شيبي فقلت لها ... لا تعجبي من يطل عمر به يشب

ولابن الجهم

حسرت عني القناع ظلوم ... وتولت ودمعها مسجوم
أنكرت ما رأت برأسي فقالت ... أمشيب أم لؤلؤ منظوم
قلت شيب وليس عيبا فأنت ... أنه يستثيرها المهموم
شد ما انكرت تصرم عهد ... لم تدم لي وأي حال يدوم

ولابي هفان

تعجبت در من شيبي فقلت لها ... لا تعجبي فطلوع الشيب في السدف

وَزَادَهَا عَجَباً لما رَأَتْ سَمَلِي ... ومادَرَتْ دُرُّأنَّ الدُّرَّفي الصَّدَفِ[1]

وقد أحسن أبو تمام غاية الاحسان فى قوله

أَبْدَتْ أَسىً إِذْ رَأَتْنِي مُخْلِسَ القَصَبِ ... فآلَ ما كانَ من عُجْبٍ الى عَجَبِ

سِتٌّ وعِشْرُونَ تَدْعُونِي فأتْبَعُهَا ... إلى المَشِيبِ ولمْ تَظْلِمْ ولمْ تَحُبِ

فلاَ يُؤَرِّقكِ إِيمَاضُ القَتِيرِ بهِ ... فإنَّ ذَاكَ ٱبْتِسَامُ الرَّأْيِ والأَدَبِ

وللبحتري

عيَّرَتْنِي المَشيبَ وَهْيَ بَدَتْهُ ... في عِذَارِي بالصَّدِّ والإجْتِنَابِ

لاَ تَرَيْهِ عاراً فماهُوَ بالشَّيْـ ... ـبِ وَلَكِنَّهُ جلاءُ الشَّبَابِ

وَبَيَاضُ البَازِيِّ اصْدَقُ حُسْناً ... إنْ تأمَّلْتَ من سَوَادِ الغُرَابِ[2]

---

(١) السمل محركة الثوب الخلق ويقال أيضا ثوب أسمال فمن النحويين من جعل أسمالا مفردا لانه صفة ثوب والصحيح انه على التأويل بالجمع أى أنواع الثوب اسمال ومثل ذلك برمة أعشار لان أفعالا لم يثبت فى المفرد وانما هو جمع

(٢) الابيات من قصيدة يمدح بها اسماعيل بن شهاب مطلعها

ماعلى الركب من وقوف الركاب ... فى مغاني الصبا ورسم التصابي

أين أهل القباب بالاجرع الفر ... د تولوا لا أين أهل القباب

سقم دون أعين ذات سقم ... وعذاب دون الثنايا العذاب

وكمثل الاحباب لو يعلم العا ... ذل عندي منازل الاحباب

فاذا ما السحاب كان ركاماً ... فسقى بالرباب دار الرباب

واذا هبت الجنوب يسقيا ... فعلى رسم دارها والجناب

عيرتني المشيب .. الابيات الثلاثة .. وبعده

عذلتني في قومها واسترابت ... جيئتي في سواهم وذهابي

ورأت عند غيرهم من مديحي ... مثل ما كان عندهم من عتابي

وله

هاهوَ الشَّيبُ لاَ ثُمافاً فيقي ... وَاتْرُكيه إنْ كانَ غيرَ مفيقِ

فلقدْ كفَّ عنْ عناءِ المُعَنَّي ... وتلافَي من إشتياقِ المشُوقِ

عذلتنا في عشقِها أمُّ عمرٍو ... هلْ سمعتمْ بالعاذلِ المعشُوقِ

وَرَأَتْ لمةً ألمَّ بها الشَّيـ ... ـبُ فريعتْ من ظُلمةٍ في شرُوقِ

وَلعمرِي لوْلاَ الأقاحِي لأبصرْ ... تَ أنيقَ الرِّياضِ غيرَ أنيقِ

وَسوَادُ العيُونِ لوْ لمْ يكمَّلْ ... ببياضٍ ما كانَ بالموْمُوقِ

وَمزَاجُ الصهْباءِ بالماءِ أوْلي ... بصبُوحٍ مُستحْسَنٍ وَغبُوقِ

أيُّ ليلٍ يبهي بغيرِ نجُومٍ ... أوسماءٍ تندَى بغيرِ برُوقِ

ويشبه ان يكون أخذ قوله ــ أي ليل يبهي بغير نجوم من قول الشاعر

أشيبُ وَلمْ أقضِ الشَّبابَ حقُوقهُ ... ولمْ يمضِ منْ عهدِ الشَّبابِ قديمُ

رَأتْ وَضحاً في مفرِقِ الرَّأسِ رَاعها ... وَشتَّانَ مبيضٌّ بهِ وَبهيمُ

ليس من غضبة عليهم ولكن ... هو نجم يعلو مع الكتاب

شيمة الـودد القريب واخوا ... ن التصافي واخـوة الآداب

هم أولو المجد إن سالت فان كا ... ثرت كانوا هم أولى الالباب

ومتي كنت صاحبا لذوى الـوُد ... د يوما فانهـم أصحابي

وكفاني إذ الحوادث أظلمـ ... ـن شهابا بغـرة بن شـهاب

سبب أول على جـود اسما ... عيل أغنى عن سائر الاسباب

لاسـتهلت سماؤه فطـرنا ... ذهبا فى انهلال ذاك الذهاب

لا يزور الوفاء غبا ولا يمـ ... ـشق غدر الفعال عشق الكعاب

مستعبد على اختلاف الليالى ... لسمقا من خـلائق أتراب

تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِي الشَّبَابِ لَوَامِعٌ ... وَمَا حُسْنُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نُجُومُ

ولمحمود الوراق في مثل هذا المعنى قوله

ما الدُّرُّ مَنْظُوماً بِأَحْسَنَ مِنْ ... شَيْبٍ يُحَلِّلُ هامَةَ الكَهْلِ

فَكَأَنَّهُ فِيهَا النُّجُومُ إِذَا ... جَدَّ المَسِيرُ بِهَا عَلَى مَهْلِ

لا تَبْكِيَنَّ على الشَّبَابِ إِذَا ... بَكَى الجَهُولُ عَلَيْهِ لِلْجَهْلِ

واشْكُرْ لِشَيْبِكَ حُسْنَ صُحْبَتِهِ ... فَلَقَدْ كَسَاكَ جَلَالَةَ الفَضْلِ

ولآخر في مدح الشيب

لَا يَرُعْكِ المَشِيبُ يَا ابْنَةَ عَبْدِ اللهِ فَالشَّيْبُ حِلْيَةٌ وَوَقَارُ

إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا ... ضَحِكَتْ فِي خِلَالِهَا الأَنْوَارُ

•• [قال الشريف رحمه الله] ولي في هذا المعنى من قصيدة

جَزِعَتْ لِوَخَطَاتِ المَشِيبِ وَإِنَّمَا ... بَلَغَ الشَّبَابُ مَدَى الكَمَالِ فَنَوَّرَا

وَالشَّيْبُ إِنْ فَكَّرْتَ فِيهِ مَوْرِدٌ ... لَا بُدَّ يُورِدُهُ الفَتَى إِنْ عُمِّرَا

يَبْيَضُّ بَعْدَ سَوَادِهِ الشَّعَرُ الَّذِي ... إِنْ لَمْ يَزُرْهُ الشَّيْبُ وَارَاهُ الثَّرَى

وممن عدل بين الشباب والشيب ومدح كل واحد منهما طريح بن اسمعيل الثقفي فقال

وَالشَّيْبُ لِلحُكَمَاءِ مِنْ سَفَهِ الصِّبَا ... بَدَلٌ يَكُونُ لِذِي الفَضِيلَةِ مَقْنَعُ

وَالشَّيْبُ غَايَةُ مَنْ تَأَخَّرَ حَيْنُهُ ... لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَهُ مَنْ يَجْزَعُ

إِنَّ الشَّبَابَ لَهُ لَذَاذَةُ جِدَّةٍ ... وَالشَّيْبُ مِنْهُ فِي المَغَبَّةِ أَنْفَعُ

لَا يُبْعِدِ اللهُ الشَّبَابَ فَمَرْحَباً ... بِالشَّيْبِ حِينَ أَوَى إِلَيْهِ المَضْجَعُ

ومثله لآخر

وَكَانَ الشَّبَابُ الغَضُّ لِي فِيهِ لَذَّةٌ ... فَزَحْزَحَنِي عَنْهُ المَشِيبُ وَأَدَّبَا

فَسَقْياً وَرَعْياً للشَّبَابِ الَّذِي مَضَى ‏ ‏ وَأَهْلاً وَسَهْلاً بالمَشِيبِ وَمَرْحَبا

مجلس آخر ٤٦

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني) الآية •• فقال كيف ضمن الاجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب •• الجواب قلنا في ذلك وجوه •• أولها أن يكون المراد بقوله تعالى (أجيب دعوة الداعي) أي أسمع دعوته ولهذا يقال للرجل دعوت من لا يجيب أي من لا يسمع وقد يكون أيضاً يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن حمده يراد به أجاب الله من حمده •• وأنشد ابن الاعرابي

دَعَوْتُ اللّهَ حتَّى خِفْتُ أَن لا ‏ ‏ يكُونَ اللّهُ يَسْمَعُ ما أَقُولُ

أراد يجيب ما أقول •• وثانيها انه تعالى لم يرد بقوله تعالى قريب من قرب المسافة بل أراد انى قريب باجابتي ومعونتي ونعمتي أو لعلمي بما يأتي العبد ويذر وما يسر ويجهر تشبيهاً بقرب المسافة لأن من قرب من غيره عرف أحواله ولم يخف عليه ويكون قوله تعالى أجيب على هذا تأكيداً للقرب فكأنه أراد إني قريب قرباً شديداً وإنى بحيث لا يخفى على أحوال العباد كما يقول القائل اذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله أنا بحيث أسمع كلامك وأجيب نداءك أو ما جرى هذا المجرى •• وقد روى ان قوماً سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا له ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى هذه الآية •• وثالثها أن يكون معنى هذه الآية إنى أجيب دعوة الداعي اذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء وهو أن يدعو باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال لانه ان كان صلاحاً فعل ما دعا به وان لم يكن صلاحاً لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو أيضاً مجاب الى دعائه •• ورابعها أن يكون معنى دعاني أي عبدني وتكون

الاجابة هي الثواب والجـزاء على ذلك فكأنه تعالى قال إني أثيب العباد على دعاءهم لي وهذا مما لا اختصاص فيه ٠٠ وخامسها ما قاله قوم من ان معنى الآية ان العبد اذا سأل الله تعالى شيئاً في إعطائه صلاح فعل به وأجابه اليه وان لم يكن في إعطائه إياه في الدنيا صلاحٌ وخير لم يعطه ذلك في الدنيا وأعطاه إياه في الآخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال ٠٠ وسادسها انه تعالى اذا دعاه العبد لم يخل من أحد أمرين إمّا أن يجاب دعاؤه وإمّا أن يجاب له بصرفه عما سأل ودعا لحسن اختيار الله له يقوم مقام الاجابة فكأنه يجاب على كل حالٍ وهذا الجواب يضعف لأن العبد ربما سأل مافيه صلاحٌ ومنفعة له في الدنيا وان كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطي ذلك لأمر يرجع اليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجاباً مع المنع الذي لايرجع اليه منه شئٌ من الصلاح اللهم إلاّ أن يقال انه دعاء مشروط بأن يكون صلاحاً ولا يكون فساداً وهـذا مما تقدم ومعنى قوله تعالى (فليستجيبوا لي) أي فليجيبوني وليصدقوا رسلي ٠٠ قال الشاعر

وَدَاعٍ دَعَا يامنْ يجيبُ إلى النَّدى ... فلمْ يَستَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجيبُ

فقلتُ ادْعُ أُخرَى وارْفعِ الصَّوْتَ ثانياً ... لعلَّ أبِي المغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ[1]

(١) قوله ـ لعل أبي المغوار ـ بجرابي على لغة عقيل فان لعل عندهم تجر في أربع لغات من لغاتها أي ثابتة الأول ومحذوفته مفتوحة الآخر ومكسورته وأما بقية لغات لعل فلا يجر بها عندهم وأبو المغوار بكسر الميم وسكون الغين المعجمة اسمه شبيب وروى • فقلت ادع أُخرى وارفع الصوت دعوة • بالنصب على التعليل وروى أبو المغوار بالنصب على أصله وهذان البيتان من قصيدة لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه شبيباً أولها

تقول سليمي مالجسمك شاحباً ... كأنك يحميك الطعام طبيب

فقلت ولم أعي الجواب لقولها ... وللدهر في صم السلام نصيب

تتابع احداث تخرّمنَ اخوتي ... وشيبن رأسي والخطوب تشيب

لعمري لئن كانت أصابت مصيبة ... أخي والمنايا للرجال شعوب

لقد كان أما حلمه فروح ... علينا وأما جهله فعزيب

أى لم يجبه ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وإذ كنا قد ذكرنا في المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرفاً من الشعر فى تفضيل الشيب وتقديمه والتعزّي عنه والتسلي عن زواله فنحن متبعوه بطرف مما قيل في ذمّه والتألم به والجزع منه ٠٠ فمن ذلك قول أبي حيّة النميرى

تَرَحَّلَ بالشَّبابِ الشَّيبُ عنَّا ... فليتَ الشَّيبَ كانَ بهِ الرَّحيلُ

وَقدْ كانَ الشَّبابُ لنا خليلاً ... فقدْ قضَّى مآرِبَهُ الخليلُ

لعمرُ أبي الشَّبابِ لقدْ تولَّى ... حميدًا ما يُرادُ بهِ بديلُ

إذِ الأيَّامُ مقبلةٌ علينا ... وظلٌّ أراكةِ الدُّنيا ظليلُ

وقال الفرزدق

أرَى الدَّهرَ أيامُ المشيبِ أمرُّهُ ... علينا وأيامُ الشَّبابِ أطايبهْ

وَفي الشَّيبِ لذَّاتٌ وقُرَّةُ أعيُنٍ ... وَمن قبلِهِ عيشٌ تملَّلَ جاذبُهْ

إذا نازَلَ الشَّيبُ الشَّبابَ فاصلتا ... بسيفيهما فالشَّيبُ لا شكَّ غالبُهْ

---

٠٠ ومنها

فان تكن الأيام أحسنّ مرة ... اليّ فقد عادت لهن ذنوب

الى ان قال

وداع دعا يامن يجيب الى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة ... لعلّ أبي المغوار منك قريب

يجبك كما قد كان يفعل إنه ... نجيب لأبواب العلاء طلوب

قال أبو عليّ القالي فى الأمالي بعض الناس يروى هذه القصيدة لكعب بن سعد الغنوي وهو من قومه وليس بأخيه والمرثى بهذه القصيدة يكنى أبا المغوار واسمه هرم وبعضهم يقول اسمه شبيب ويحتج ببيت روى فى هذه القصيدة * أقام وخلى الظاعنين شبيب *

فياخيرَ مهزومٍ ويا شرّ هازمٍ ... إذا الشيبُ وافت للشباب كتائبُهْ
وليس شبابٌ بعد شيبٍ براجعٍ ... مدى الدهر حتى يُرجع الدَّرَّ حالبُهْ
وما المرءُ منفوعاً بتجريبِ واعظٍ ... إذا لم تعظْهُ نفسُهُ وتجاربُهْ

وأنشد اسحاق الموصلي

لعمري لئن حُلِّئتُ عن منهل الصبا ... لقد كنتُ ورّاداً لمشربه العذبِ
ليالي أمشي بين بُرديَّ لاهياً ... أميسُ كغصن البانة الناعم الرطبِ
سلامٌ على سير القلاص مع الركبِ ... ووصل الغواني والمُدامة والشربِ
سلامُ امرىءٍ لم تبقَ منهُ بقيّةٌ ... سوى نظر العينين أو شهوة القلبِ

ولمنصور النمري

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزعٌ ... اذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ
بان الشبابُ ففاتتني بشرّته ... صروف دهر وأيام لها خدعُ
ما كنتُ أوفي شبابي كنهَ غرّته ... حتى انقضى فاذا الدنيا له تبعُ (١)

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الرشيد روى انه دخل عليه وكان عنده الكسائي فقال له الرشيد أنشدني فأنشده قوله * ما تنقضي حسرة * البيت فتحرك الرشيد ثم أنشده حتى انتهى الى قوله

ما كنت أوفي شبابي كنه غرته ... حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

فطرب الرشيد وقال أحسنت والله وصدقت لا والله لا يتهنى أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب وأمر له بجائزة سنية ومن أبياتها الحسان قوله

أي امرىء بات من هارون في سخط ... فليس بالصلوات الخمس ينتفع
ان المكارم والمعروف أودية ... أحلك الله منها حيث تتسع

ولمحمد بن أبي حازم

عهدَ الشبابِ لقدْ أبقيتَ لي حزَنا ... ماجدَّ ذكرُكَ الاَّ جدَّلي ثُكلُ
سقيا ورعيا لايَّام الشبابِ وإنْ ... لمْ يبقَ منكَ له رَسْمٌ ولاَ طَلَلُ
جرَّ الزمانُ ذُيولاً في مفارقهِ ... وللزمانِ على إحسانه عِللُ
وربَّما جرَّ اذيالَ الصبا مرَحا ... وبينَ بُرْديه غُصنٌ ناعِمٌ خضِلُ
لاَ تكذبنَّ فما الدُّنيا بأجمعها ... منَ الشبابِ بيومٍ واحدٍ بدَلُ
كفاكَ بالشيبِ عيبا عندَ غانيةٍ ... وبالشبابِ شفيعا أيُّها الرَّجلُ

اذا رفعت امرأ فالله يرفعه ... ومن وضعت من الأقوام متضع
نفسي فداؤك والأبطال معلمة ... يوم الوغى والمنايا صابها فزع

روى ان البيدق دخل على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع ويزيد بن مزيد وبين يديه خوان لطيف عليه جرمان ورغيفان سميد ودجاجتان فقال لي أنشدني قال البيدق فأنشدته قصيدة النمري العينية فلما بلغت الى قوله

* أي امرئ بات من هارون في سخط * الأبيات الأربعة قال فرمي بالخوان بين يديه وصاح وقال هذا والله أطيب من كل طعام وكل شئ وبعث اليه بسبعة آلاف دينار قال البيدق فلم يعطني منها مايرضيني وشخص الى رأس العين فأغضبني وأحفظني فأنشدت هرون قوله

ساد من الناس راتع هامل ... يعللون النفوس بالباطل

فلما بلغت الى قوله

ألا مساعير يغضبون لها ... بسلة البيض والقنا الزابل

قال أراه يحرض علي ابعثوا اليه من يجيء برأسه فكلمه فيه الفضل بن الربيع فلم يغن كلامه شيئاً وتوجه اليه الرسول فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودفن وروى من غير هذا الوجه ان العتابي سئل عن سبب غضب الرشيد عليه فقال استقبلت منصور

ولأبي نواس

كانَ الشَّبابُ مَطيَّةَ الجَهلِ ... وَمُحَسِّنَ الضَّحِكاتِ وَالهَزلِ
كانَ الجَميلَ إِذا ارتَدَيتُ بِهِ ... وَمَشَيتُ أَخطُرُ صَيِّتَ النَّعلِ
كانَ البَليغَ إِذا نَطَقتُ بِهِ ... وَأَصاخَتِ الآذانُ لِلمُملي
كانَ المُشَفَّعَ في مَآرِبِهِ ... عِندَ الحِسانِ وَمُدرِكَ التَّبلِ
والباعِثي وَالنّاسُ قَد هَجَعوا ... حَتّى أَتَيتُ حَليلَةَ البَعلِ

النمري يوماً من الأيام فرأيته مغموماً واجماً كئيباً فقلت له ما خبرك فقال تركت امرأتي تطلق وقد عسر عليها ولادها وهي يدي ورجلي والقيمة بأمري وأمر منزلي فقلت له لم لا تكتب على فرجها هرون الرشيد قال ليكون ماذا قال لتلد على المكان قال وكيف ذاك قلت لقولك

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله ... أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

فقال لي يا كشمحان والله لئن تخلصت امرأتي لأذكر قولك هذا للرشيد فلما ولدت امرأته خبر الرشيد بما كان بيني وبينه فغضب لذلك وأمر بطلبي فاستترت عند الفضل بن الربيع فلم يزل يسئل فيَّ حتى أذن لي في الظهور فلما دخلت عليه قال لي قد بلغني ما قلته للنمري فاعتذرت اليه حتى قبل ثم قلت والله يا أمير المؤمنين ما حمله على التكذب عليَّ إلاَّ وقوفي على ميله للعلوية فان أراد أمير المؤمنين ان أنشده شعره في مديحهم فعلت فقال أنشدني فأنشدته قوله

شاء من الناس راتع هامل ... يعللون النفوس بالباطل

حتى بلغت الى قوله

الا مساعير يغضبون لهم ... بسلة البيض والقنا الزابل

فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال للفضل بن الربيع احضره الساعة فبعث الفضل في ذلك فوجده قد توفي فأمر بنبشه ليحرقه فلم يزل الفضل يلطف له حتى كف عنه

وَالآمِري حتَّى اذا عَزَمتْ نَفسي أعانَ عليَّ بالفِعْلِ
فالآنَ صِرتُ الى مُقارَبةٍ وَحَطَطْتُ عن ظَهرِ الصِّبا رحلي

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وعلى هذا الكلام حسن طلاوة ومسحة من اعرابي ليستا لغيره .. ولبشار

الشَّيبُ كُرْهٌ وكُرْهٌ أنْ يفارقَني أعجِبْ بشيءٍ على البغضاءِ موْدُودِ
يَمضي الشبابُ ويأتي بعدَهُ خَلَفٌ والشَّيبُ يَذهبُ مفقودًا بمفقودِ

وهذا البيت الأخير يروي لمسلم بن الوليد الأنصاري .. ومما أحسن فيه مسلم في هذا المعنى قوله

طَرَفتُ عيونَ الغانياتِ وَربما أملنَ إليَّ الطَّرْفَ كلَّ مميلِ
وما الشَّيبُ إلا شَعرةٌ غيرَ أنَّهُ قليلٌ قَذاةِ العَينِ غيرُ قليلِ

ولآخر

أهلاً بوافدةٍ للشَّيبِ واحدةٍ وإنْ تَراءتْ بشخصٍ غيرِ موْدُودِ
لا أجمعُ الحلمَ والصَّهباءَ قد سكنَتْ نفسي الى الماءِ عنْ ماءِ العَنا قيدِ
لم ينهَني كِبَرٌ عنها ولا فَنَدٌ لكنْ صَحَوتُ بغُصنٍ غيرِ ممدُودِ
أوفِي بي الحِلمَ واقتادَ النُّهى طَلَقًا شأوي وعفتُ الصِّبا من غيرِ تفنيدِ

ولقد أحسن دعبل في قوله يصف الشباب والشيب

كانَ كحلاً لمآقيها فقدْ صارَ بالشَّيبِ لعينَيها قذَا

ولغيره

رَأتْ طالِعًا للشَّيبِ أغفلتُ أمرَهُ فلَمْ تتعهَّدهُ أكُفُّ الخَوَاضِبِ
فقالتْ أشيبٌ ما أرَى قلتُ شامةٌ فقالتْ لقد شامتكَ عندَ الحَبائبِ

ولمحمود الورّاق ويروى لمحمد بن أبي حازم

أليسَ عجيباً بأنَّ الفتى ... يُصابُ ببعضِ الذي في يديه

فمِن بينِ باكٍ له موجَعٍ ... وبينَ معزٍّ مُعزٍّ اليه

ويَسلُبُهُ الشيبُ شَرْخَ الشبابِ ... فليسَ يعزّيهِ خلقٌ عليه

ولأبي دُلَف

في كلِّ يومٍ أرى بيضاءَ طالعةً ... كأنّما طلعتْ في أسودِ البصَرِ

لئنْ قصصتُكِ بالمقراضِ عن بصَري

لما قصصتُكِ عن همّي وعن فِكَري

وليحيى بن خالد بن برمك ويروى لغيره

الليلُ شيبٌ والنهارُ كلاهما ... رأسي بكثرةِ ماتدورُ رحاهما

يتناهبانِ نفوسَنا ودماءَنا ... ولحومَنا عمداً ونحنُ نراهما

والشيبُ إحدى الميتتينِ تقدّمتْ ... أولاهما وتأخّرتْ أخراهما

وقد أتى الفحلان المبرزان أبو تمام وأبو عبادة في هذا المعنى بكل غريب عجيب .. فمن ذلك قول أبي تمام

لئنْ جزِعَ الوحشيُّ منها لرؤيتي لإنسيُّها من شيبِ رأسي أجزعُ

غدا الهمُّ مختطّاً بفوديَّ خطّةً ... طريقُ الردى منها إلى الموتِ مهيَعُ

هوَ الزورُ يُجفى والمعاشرُ يُجتوى ... وذو الإلفِ يُقلى والجديدُ يُرقَّعُ

له منظرٌ في العينِ أبيضُ ناصعٌ ... ولكنّهُ في القلبِ أسودُ أسفعُ

ونحنُ نُزجّيهِ على السخطِ والرِّضى ... وأنفُ الفتى من وجهِهِ وهوَ أجدعُ

أصبحتْ روضةُ الوصالِ هشيماً ... وغدتْ ريحهُ البليلُ سَمُوما

شعلةٌ في المفارقِ استودعتني ... في صميمِ الفؤادِ ثكلاً صميما

تستثيرُ الهمومُ ما اكتنَّ منها ... صعُدًا وهي تستثيرُ الهموما

غرّةٌ غرّةٌ ألاَ إنما كنْـ ... ـتُ أغرَّا أيامَ كنتُ بهيما

دقّةٌ في الحياةِ تُدعى جلالاً ... مثلَ ما سُمّيَ اللديغُ سليما

حلّمتني زعمتمُ وأراني ... قبلَ هذا التحلمِ كنتُ حليما

•• وله

لعبَ الشيبُ بالمفارقِ بلْ ... جدَّ فأبكي تُماضرًا ولعوبًا

خضبتْ خدَّها إلى لؤلؤِ العقْـ ... ـدِ دماً أنْ رأتْ شواتي خضيبا

كلُّ داءٍ يُرجى الدواءُ لهُ إلاّ الـ ... ـفظيعينِ منيّةً ومشيبا

يا نسيبَ الثغامِ ذنبُكَ أبقى ... حسناتي عندَ الحسانِ ذنوبا

ولئنْ عبنَ ما رأينَ لقدْ ... أنكرنَ مستنكرًا وعبنَ معيبا

أو تصدَّعنَ عن قِليً لكفى با الـ ... ـشيبِ بيني وبينهنَّ حسيبا

لوْ رأى اللهُ أنَّ للشيبِ فضلاً ... جاورتهُ الأبرارُ في الخلدِ شيبا

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه •• وجدت الآمدى يذكر ان قوماً ادعوا المناقضة على أبي تمام فى هذه الابيات بقوله * فابكا تماضرا ولعوبا * وقوله

خضبت خدها الى لؤلؤ العقـ ... ـد دماً أن رأت شواتي خضيبا

يا نسيب الثغام ذنبك أبقى ... حسناتي عند الحسان ذنوبا

وقوله * ولئن عبن ما رأين لقـد * قالوا كيف يبكين دماً على شيبه ثم يعبنه •• قال الآمدي وليس ههنا تناقض لأن الشيب انما أبكى تماضرا ولعوب أسفاً على شبابه والحسان

اللواتي عبنه غير هاتين المرأتين فيكون من أشفق عليـه من الشيب منهن وأسف على شبابه بكى كما قال الأخطل

لمّا رَأتْ بَدلَ الشَّبابِ بكَتْ لهُ ... إنَّ المَشيبَ لأَرْذَلُ الأَبْدَالِ

ولم يكن هذه حال من عابه قال وهذا مستقيم صحيح ٠٠[قال الشريف المرتضى]رضي الله عنه وليس يحتاج في العذر لأبي تمام الى ما تكلفه الآمدي بل المناقضة زائلة عنه على كل حال ٠٠ وان كان من قد بكي شبابه وتلهف عليه من النساء هن اللواتي أنكرن مشيبه وعبنه به وما المنكر من ذلك وكيف يتناقض أن يبكي على شبابه وتزول شبيبه منهن من رأى الشيب ذنباً وعيباً منكراً وفي هـذا غاية المطابقـة لانه لا يبكي الشيب ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلاّ من رآه منكراً ومعيباً ٠٠ وقال أبو تمام

رَاحتْ غوَاني الحيِّ عنْكَ غوَانيا ... يَلْبَسْنَ نأْياً تارَةً وَصُدُودَا

منْ كلِّ سابغةِ الشَّبابِ إذَا بدَتْ ... تَركتْ عَميدَ القَرْيَتيْنِ عَميدَا

أرْبَيْنَ بالمُرْدِ الغَطارِفِ بُدَّنا ... غِيدَا ألِفْنَهُمُ لِداناً غِيدَا

أحلَى الرِّجالِ منَ النِّساءِ مَوَاقِعاً ... منْ كانَ أشْبهَهُمْ بهِنَّ خُدُودَا

اوقوله ــأربين بالمردــ من أرب بالشيء اذا لزمه وأقام عليه يقال أربّ وألبّ بالمكان اذا أقام فيه ولزمه يريد انهن لزمن هوى المرد وأقمن عليه ٠٠ورواه قوم أربين بالمرد من الرّبا الذي معناه الزيادة يقال قد أربا الرجل اذا ازداد فيقول أربين بالمرد أي ازددن علينا بهم وجعلن المرد زيادة اخترنها علينا ٠٠ويقال انه أخذ قوله ــأحلى الرجال من النساءــ البيت من قول الأعشى

وأرَى الغَوَاني لا يُوَاصِلنَ امرَأً ... فقدَ الشَّبابَ وقدْ يَصِلنَ الأَمرَدَا[1]

---

(١) وقبله

أثوى وقصّر ليـله ليزوّدا ... فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

ولمنصور النمري قوله

كرهن من الشيب الذي لو رأينه ... بهن رأيت الطرف عنهن أزورا

وقول الآخر

أرى شيب الرجال من الغواني ... كموقع شيبهن من الرجال

•• وقال أبو تمام

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس إلا من فضل شيب الفؤاد

وكذاك القلوب في كل بؤس ... ونعيم طلائع الأجساد

طال إنكاري البياض وإن عمرت شيئا أنكرت لون السواد

زادني شخصه بطلعة ضيم ... عمرت مجلسي من العواد

نال رأسي من ثغرة الهم داء ... لم ينله من ثغرة الميلاد

ومعنى البيت الأخير ان الثغرة وهي الفرجة والثلمة تكون في الشيء ولذلك سمي كل بلد جاور عدواً ثغراً كأن معناه مكشوف للعدو ويجوز أن يكون أصله من ثغر الانسان لأنه أول ما يقابلك من اسنانه وأول ما يظهر عند الكلام وأول ما يسقط فيرى مثلوماً فيشبه الثغر الذي هو البلدة به ويقال أثغر الصبي وأتغر وتسمى تلك الفرجة فيموضع

يجحدن ديني بالنهار واقتضى ... ديني اذا وقذ النعاس الرقدا

وأرى الغواني الخ•• روي عن اسحاق الموصلي قال حدثني أبي قال غنيت بين يدي الرشيد وستارته منصوبة

وأرى الغواني لا يواصلن امرأ ... فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فطرب واستعاده وأمر لي بمال فلما أردت ان أنصرف قال لي ياعباس كذا وكذا أتغنى بهذا الصوت وجواري من وراء ستارة يسمعنه لولا حرمتك لضربت عنقك فتركته والله حتى أنسيته

السن ثغرة وفي كل موضع منفرج ومنه ثغرة النحر وأراد بقوله
* نال رأسي من ثغرة الهم * أي وجد الشيب من الهم فرجة دخل على رأسي منها لأن الهم يشيب لا محالة ٠٠ وقوله * مالم ينله من ثغرة الميلاد * أراد بثغرة الميلاد الوقت الذي يهجم عليه فيه الشيب من عمره لانه يجد السبيل في ذلك الوقت الى الحلول برأسه فجعله ثغرة من هذا الوجه فأراد ان الشيب حل برأسه من جهة همومه وأحزانه مالم يبلغ السن التي يوجب حلوله به من حيث كبره ٠٠ [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه ورأيت الآمدي يطعن على قوله * عمرت مجلسي من العواد * ويقول لا حقيقة لهذا ولا معنى لانا مارأينا ولا سمعنا أحداً جاءه عواده يعودونه من الشيب ولا أن أحداً أمرضه الشيب ولا عزاه المعزون عن الشباب وهذا من الآمدي قلة بصر في نقد الشعر وضعف بصره بدقيق معانيه التي يغوص عليها حذاق الشعراء ولم يرد أبو تمام بقوله * عمرت مجلسي من العواد * العيادة الحقيقية التي يغشى فيها العوّاد مجالس المرضى وذوي الأوجاع وانما هذه استعارة وتشبيه واشارة الى الغرض خفية فكأنه أراد ان شخص الشيب لما زارني كثر المتوجعون لي والمتأسفون على شبابي والمتفجعون من مفارقته فكأنهم في مجلسي عواد لي لان من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع وكنى بقوله * عمرت مجلسي من العواد * عن كثرة من تفجع وتوجع من مشيبه وهذا من أبي تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن وما المعيب إلاّ من عابه وطعن عليه ونحن نذكر في المجلس الآتي ما للبحتري في هذا المعنى بمشيئة الله وعونه ان شاء الله

﴿ مجلس آخر ٤٧ ﴾

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجرٌ فيه تسيمون) ٠٠ فقال اذا كان الشجر ليس ببعض للماء كما كان الشراب بعضاً له فكيف جاز أن يقول تعالى ومنه شجر بعد قوله منه شراب وما معنى تسيمون وهل الفائدة في هذه اللفظة هي الفائدة في قوله تعالى (والخيل المسوّمة)

وقوله تعالى (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسوّمة عند ربك) •• الجواب قلنا في قوله تعالي (منه شجر) وجهان •• أحدهما أن يكون المراد ومنه سقي شجر وشرب شجر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليـه مقامـه وذلك كثير في لغـة العرب ومثله قوله تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل) أي حب العجل •• والوجه الآخر أن يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سـقيه وإنباته شجر فحذف الأول وخلفه الثاني كما قال عوف بن الخرع

أمِنْ آلِ ليلى عرفتَ الدِّيارَا   بجَنْبِ الشَّقِيقِ خلاءً قِفَارَا

أي من ناحية آل ليلى •• وقال زهير

أمِنْ امِّ أوفي دِمْنَةٌ لم تكلّمِ   بحَوْمانةِ الدَّرَّاجِ فالمُتَثلَّمِ

أراد من ناحية أم أوفى •• وقال أبو ذؤيب

أمِنْكِ البَرْقُ أرْقُبُهُ فهاجا   فبتُّ إخالُهُ دهْماً خِلاجا

•• وقال أيضاً

أمِنْكِ بَرْقٌ أبيتُ الليلَ أرْقُبُهُ   كأنّهُ في عِراصِ الشَّامِ مِصْبَاحُ

••وقال الجعدى

لِمَنِ الدِّيارُ عفَوْنَ بالتَّهْطَالِ   بَقِيَتْ على حِجَجٍ خَلَوْنَ طِوَالِ

أراد بقيت على مر حجج وتكرار حجج ••فأما قوله تعالى (فيـه تسيمون) فمعناه ترعون وترسـلون أنعامكم يقـال أسام الابل يسيمها اسامة اذا أرعاها وأطلقها فرعت متصرفة حيث شاءت وسومها أيضاً يسومها من ذلك وسامت هي اذا رعت فهي تسوم وهي ابل سائمة ويقال سمتها اذا قصرتها على مرعى بعينه وسـمتها الخسف اذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل لمن أذل وأضيم واهتضم سيم فلان الخسف وسيم خطة الضيم •• قال الكميت بن زيد في الاسامة التى هي الاطلاق في الرعي

رَاعِياً كانَ مُسْيِماً فَفَقَدْنا   هُ وَفَقْدُ المُسِيمِ هُلْكُ السَّوَامِ

•• وقال آخر

وَأَسْكُنُ ما سَكَنْتَ بِبَطْنِ وادٍ　　　وَأَظْعَنُ ما ظَعَنْتَ فلا أُسِيمُ

وذهب قوم الى ان السوم في البيع من هذا لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه الى مايهواه كما تذهب سوام الابل من المواشي حيث شاءت •• وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم على ان الابل وغيرها لا تسام قبل طلوع الشمس لئلا تنتشر وتفوت الراعي ويخفى عليه مقاصدها وحمله آخرون على ان السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروه لأن السلعة المبيعة تستتر عيوبها أو بعضها فيدخل ذلك في بيوع الغرر المنهي عنها •• وأما الخيل المسومة فقد قيل انها المعلمة بعلامات مأخوذة من السيماء وهي العلامة •• وروى عن الحسن البصري في قوله تعالى (والخيل المسوّمة) قال سوّمت نواصيها وأذنابها بالصوف •• وقيل أيضاً ان المسوّمة هي الحسان وروى عن مجاهد في قوله تعالى (والخيل المسوّمة) قال هي المطهمة الحسان •• وقال آخرون بل هي الراعية وقد روى ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى أصل واحد وهو معنى العلامة لأن تحسين الخيل يجري مجرى العلامة فيها التي تعرف بها وتميز لمكانها وقد قيل ان السوم من الراعي يرجع الى هذا المعنى أيضاً لأن الراعي يجعل في المواضع التي يرعاها علامات أو كالعلامات بما يزيله من نباتها ويعفوه من آثارها فكأن الأصل في الكل متفق غير مختلف •• وقال لبيد في التوسيم الذي هو التعليم

وَغَداةَ قاعِ القُرنَتَينِ أَتَينَهم　　　رَهْوًا يلوحُ خِلالَها التَّوسِيمُ

أراد التعليم •• وأما قوله في الملائكة (مسوّمين) فالمراد به معلمين •• وكذلك قوله تعالى (حجارة من سجيل منضود مسوّمة) أي معلمة وقيل انها كان عليها كأمثال الخواتيم وقال في الملائكة مسوّمين أي معلمين •• [قال المرتضى] رضي الله عنه ونعود الى ما كنا وعدنا به من ذكرنا للبحتري في ذم الشيب والتألم من فقد الشباب فمن ذلك قوله

وكُنتُ أُرَجّي في الشَّبابِ شَفاعةً　　　فَكَيْفَ لِباغي حاجةٍ بِشَفيعِهِ

مَشيبُ كَتْمِ السِّرِّ أعيي بحمْلهِ · مُحدِّثهُ أوضاق صدرُ مذيعهِ

تلاحقَ حتى كادَ يأتي بطيئهُ · لِحثِّ الليالي قبلَ آتي سريعهِ

وما أحسن هذا من كلام وأبلغه وأطبعه .. وقال أيضاً

رُدّي عليَّ الصبا إنْ كُنتِ فاعلةً · إنَّ الصبا ليسَ من شأني ولا أربي

جاوزتُ حدَّ الشبابِ النّضرِ ملتفتاً · إلى بناتِ الصبا يركُضنَ في طلبي

والشيبُ مهربُ من جاري منيَّتهُ · ولا نجاءَ لهُ من ذلكَ الهربِ

والمرءُ لوْ كانتِ الشعرى لهُ وطَناً

صبَّتْ عليهِ صروفُ الدّهرِ من صببِ [1]

---

(١) الأبيات من قصيدة له يمدح بها اسماعيل بن بلبل مطلعها

اليك ما أنا من لهو ولا طرب · منيت مني بقلب غير منقلب

ردي على الصبا إن كنت فاعلة · ان الهوى ليس من شأني ولا أربي

جاوزت حد الشباب النضر ملتفتاً · الى بنات الصبا يركضن في طلبي

والشيب مهرب من جاري منيته · ولا نجاء له من ذلك الهرب

والمرء لو كانت الشعرى له وطناً · حطت عليه صروف الدهر من صبب

قد أقذف العيس من ليل كأن له · وشياً من النَوْر أو أرضاً من العشب

حتى اذا ما انجلت أخراه عن أفق · مضمخ بالصباح الورد مختضب

أوردت صادية الآمال فانصرفت · بريها وأخذت النجح من كثب

هاتيك أخلاق اسماعيل في تعب · من العلى والعلى منهن في تعب

أتعبت شكري فأضحى منك في نصب · فاذهب فمالي في جدواك من أرب

لا أقبل الدهر نيلا لا يقوم به · شكرى ولو كان مسديه الي ابي

لما سألتك وافاني نداك على · أضعاف ظني فلم أخفق ولم أخب

ويروى ـ حطت عليه صروف ـ .. وقال البحتري

لَا بِسٌ من شبيبةٍ أمْ ناضٍ ... وَمُليحٌ من شَيبه أمْ رَاضي

وَإذَا ما امتُعِضْتُ من ولَع الشَّيْـ ... ـبِ برأسي لم يُغْنِ ذاكَ امتعاضي

ليسَ يَرْضَى عن الزَّمانِ مرؤٌ ... فيه إلاَّ عن غفلةٍ أو تغاضي

وَالبَوَاقي منَ اللَّيالي وَإنْ خا ... لَفْنَ شيئًا مشبِهاتٌ المَواضي

نَاكَرَت لِمَّتي ونا كَرتُ منها ... سُوءَ هذي الأَبدَالِ والأَعوَاضِ

شَعَرَاتٌ أُقصّهنّ وَيَرْجِعْـ ... ـنَ رُجُوعَ السِّهامِ في الأَغرَاضِ

وَأَبتْ تَرْكِيَ الغُدَيَّاتُ والآ ... صالُ حتّى خضبْتُ بالمقرَاضِ

غيرَ نفعٍ إلاَّ التَّعلُّلَ من شخْـ ... ـصٍ عدوٍّ لم يعْدُهُ إبغاضي

وَرَوَاء المشيبِ كالبحص في عيْـ ... ـني فقُلْ فيه في العيُونِ المراضِ

طبتُ نفسًا عن الشّبابِ ومَا سَـ ... ـوَّدَ من صبغِ بُردِهِ الفضفاضِ

فهلِ الحادِثاتُ يابنَ عُوَيفٍ ... تارِكاتي وَلُبْسَ هذا البَياضِ

وقال أيضاً

تَعيبُ الغانِيَاتُ عليَّ شَيْبي ... ومَنْ لي أنْ أمتَّعَ بالمَعِيبِ

لم يخط مأبض خلسات تعمدها ... فتك ذا الشعبة الطولى فلم يصب

لأشكرنك إن الشكر نائله ... أبقى على حاله من نائل النشب

بكل شاهدة للقوم غائبة ... عنهم جيماً ولم تشهد ولم تغب

مرصوفة باللآلي من نوادرها ... مسبوكة اللفظ والمعنى من الذهب

ولم أحابك في مدح تكذبه ... بالفعل منك وبعض المدح من كذب

وَوجدِي بالشَّبابِ وَإنْ توَلىّ حَميداً دُونَ وَجدِي بالمشِيبِ

وقال أيضاً

أُرْثيتهُ من بعدِ جثْلٍ فاحِمٍ جَوْنَ المفَارِقِ بالنَّهار خَضيباً

فَعَجبتُ من حالَين خالفَ فيهما صَرْفَ الزَّمانِ وما رَأيتُ عَجيبا

إنَّ الزَّمانَ إذَا تتَابعَ خَطوُهُ سبَقَ الطَّلُوبَ وأدْركَ المطلُوبا

وقال أيضاً

رَأتْ فلتَاتِ الشَّيبِ فابتسمتْ لها وَقالَتْ نُجُومٌ لوْ طَلَعْنَ بأسعُدِ

أعاتِكُ ما كانَ الشَّبابُ مُقرِّبي إليكِ فألحى الشَّيبَ إذْ كانَ مُبعدِي

وقال أيضاً

غشَتْ كَبدِي قسوَةٌ منكِ ما إنْ تزَالُ تُجَدِّدُ فيها نُدُوبَا

وَحُمِّلْتُ عنكِ ذنبَ المشيبِ حتَّى كأنِّي ابتدعتُ المشيبَا

ومَنْ يطلعْ شرَفَ الأربعينَ يُحيِّ من الشَّيبِ زَوْرًا غريبا

[قال الشريف المرتضى]رحمه الله • • ولي في هذا المعنى

قلنَ لمَّا رَأينَ وخطاً منَ الشَّيبِ برأسِي أعيَ علي مجهُودِي

كَسنا بارقٍ تعرّضَ وَهناً في حواشي بعضِ الليالي السُّودِ

أبياضٌ مُجدَّدٌ من سوَادِ كانَ قدماً لا مرحباً بالجديدِ

يالحاكُنَّ من رماكُنَّ بالحُسْنِ لتقهرْننا بغيرِ جنُودِ

ليسَ بيضٌ منِّي فأجرِي عليهِنَّ صدُوداً أو لَيسَ فيكنَّ سُود

قلنَ ماضرَّكُنَّ من شعراتٍ كُنَّ يوماً على الوقارِ شهُودي

وقال البحتري أيضاً

خَلِّيَاهُ وَجِدَّةَ اللَّهْوِ مادَا … مَ رِدَاءُ الشَّبابِ غَضًّا جَدِيدَا
إنَّ أَيَّامَهُ مِنَ البِيضِ بِيضٌ … مارَأَيْنَ المَفارِقَ السُّودَ سُودَا

وقال أيضاً

تَرَكَ السَّوادَ للابِسِيهِ وَبَيَّضَا … وَنَضَا مِنَ السِّتِّينَ عَنْهُ مانَضَا
وَسَباهُ أغْيَدُ في تَصَرُّفِ لَحْظِهِ … مَرَضٌ أعَلَّ بِهِ القُلُوبَ وَأمْرَضَا
فَكأَنَّهُ وَجَدَ الصِّبا وَجَدِيدَهُ … دَيْنًا دَنَا مِيقَاتُهُ أنْ يُقْتَضَى
أَسْيانُ أثْرِي مِنْ جَوًى وَصَبابَةٍ … وَأَسافَ مِنْ وَصْلِ الحِسانِ وَأنْفَضَا(١)

ويروى ـ اسوان ـ •• وقال أيضاً

هَلْ أنْتَ صارِفُ شَيْبَةٍ إنْ غَلَّسَتْ … في الوَقْتِ أوْ عَجِلَتْ عَنِ المِيعادِ
جاءَتْ مُقَدِّمَةً أمامَ طَوالِعٍ … هٰذِي تُراوِحُنِي وَتِلْكَ تُغادِي
وَأَخُو الغَبِينَةِ تاجِرٌ في لِمَّةٍ … يَشْرِي جَدِيدَ بَياضِها بِسَوادِ
لاَ تَكْذِبَنَّ فَمَا الصِّبا بِمُخَلَّفٍ … لَهْوًا وَلاَ زَمَنُ الصِّبا بِمُعادِ
وَأَرَى الشَّبابَ عَلى غَضارَةِ حُسْنِهِ … وَجَمالِهِ عَدَداً مِنَ الأَعْدادِ

وقال أيضاً

أَيُثَنِّي الشَّبابُ أَمْ مَا تَوَلَّى … مِنْهُ في الدَّهْرِ دَوْلَةٌ ما تَعُودُ
لاَ أَرَى العَيْشَ وَالمَفارِقُ بِيضٌ … إِسْوَةَ العَيْشِ وَالمَفارِقُ سُودُ
وَأَعُدُّ الشَّقِيَّ جِدًّا وَلَوْ اعْـ … ـطِيَ غُنْمًا حَتَّى يُقالَ سَعِيدُ

---

(١) ـ أساف ـ الرجل اذا هلكت ابله

مَنْ عَدَتْهُ العُيُونُ وَانْصَرَفَتْ عَنْهُ إِلْتِفَاتًا الى سِوَاهُ الخُدُودُ

وقال أيضاً

قَدِمَتْ فَمَا جَرَى السُّقْمُ إِلَّا ... في ضُلُوعٍ علي جَوَى الحبِّ تُحْنَى

لَوْ رأتْ حَادِثَ الخِضَابِ لَأَنَّتْ ... وَأَرَنَّتْ مِنْ احْرَارِ اليَرَنَّى

كَافُ البِيضِ بِالمُمَرِّ قَذْراً ... حِينَ يَكْلَفْنَ وَالمصَفَّرِ سِنا

يَتَشَاغَفْنَ بِالغَرِيرِ المُسَمَّى ... مِنْ تَصَابٍ دُونَ الجَلِيلِ المُكَنَّى

وقال أيضاً

أَخَيَّ إِنَّ الصِّبَا أَسْتَمَرَّ بِهِ ... سَيْرُ اللَّيَالِي فَأَنْهَجَتْ بُرُدُهْ

تَصُدُّ عَنِّي الحِسَانُ مُبْعَدَةً ... إِذْ أَنَا لَا قُرْبُهُ وَلَا صَدَدُهْ

شَيْبٌ عَلَى المَفْرِقَيْنِ يَارِضُهُ ... يُكَثِّرُنِي أَنْ أُبِينَهُ عَدَدُهْ

تَطْلُبُ عِنْدِي الشَّبَابَ ظَالِمَةً ... بَعْدَ خَمْسِينَ حِينَ لَا تَجِدُهْ

لَا عَجَبٌ إِنْ مَلِلْتِ خُلَّتَنَا ... فَافْتَقَدَ الوَصْلَ مِنْكِ مُفْتَقِدُهْ

مَنْ يَتَطَاوَلْ عَلَى مُطَاوَلَةِ العَيْشِ تَقَعْقَعُ مَنْ مَلَّهُ عَمَدُهْ

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ‥ ورأيت الآمدي وقد أخطأ في معنى البيت الأخير لانه قال معني يتقعقع من مله عمده أى عظامه يجيء لها صوت اذا قام وقعد من كبره وضعفه قال وقوله ــ من مله ــ أى من ملّ العيش يريد طوله ودوامه ومنه تمليت حبيبك والأمر بخلاف ما توهمه ومعنى ــ تقعقع من مله عمده ــ أى من تطاول عمره تعجل ترحله وانتقاله من الدنيا وكنى عن ذلك بتقعقع العمد وهذا مثل معروف للعرب يقولون من يجمع يتقعقع عمده يريدون أن التجمع داعى التفرق وان الاجتماع يعقب ويورث مايدعو الى الانتقال الذى يتقعقع معه العمد ‥ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه والآمدى مع كثرة مايدعيه من التنقيب والتنقير على علوم العرب ان كان لم

يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف وان كان قد سمعه وجهل ان مصدق بيت البحتري يطابقه فهو أطرف • • فأما قوله — من مله — فانما أراد به من ملل وملة فعلة من الملل وكيف يكون من تملى العيش ولم يسمع في تمليت مله وهذا خطأ على خطأ • • وقال البحتري

مَا كَانَ شَوْقِي بِبِدْعٍ يَوْمَ ذَاكَ وَلاَ دَمْعِي بِأَوَّلِ دَمْعٍ فِي الهَوَى سُفِحَا
وامَّةٍ كُنْتُ مَشْغُوفاً بِجِدَّتِهَا فَا عَفَى الشَّيْبُ عَنْهَا لاَ وَلاَ صَفَحَا

وقال أيضاً

وَمَا أَنْسَ لاَ أَنْسَ عَهْدَ الشَّبَابِ وَعَلْوَةَ إِذْ عَيَّرَتْنِي الكِبَرْ
كَوَاكِبُ شَيْبٍ عَلِقْنَ الصِبَا فَقَلَّلْنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرْ
وَإِنِّي وَجَدْتُ وَلاَ يَكْذِبَنَّ سَوَادَ الهَوَى فِي بَيَاضِ الشَّعَرْ
وَلاَبُدَّ مِن تَرْكِ إِحدَى اثنَتَين إِمَّا الشَّبَابَ وَإِمَّا العُمُرْ

قال الآمدي وعليه في قوله — ولا بد من ترك إحدى اثنتين — معارضة وهو أن يقال ان من مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر فهو تارك لهما معاً ومن شاب فقد فارق الشباب وهو مفارق للعمر لا محالة فهو أيضاً تارك لهما جميعاً • • وقوله إما وإمّا لا توجب الا أحدهما قال والعذر للبحتري أن يقال انه من مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر وحده لانه لا يعمر فيكون مفارقاً للعمر ألا ترى انهم يقولون عمّر فلان اذا أسن وفلان لم يعمّر اذا مات شاباً ومن شاب وعمّر ثم مات لم يكن مفارقاً للشباب في حال موته لانه قد قطع أيام الشباب وتقدمت مفارقته له وانما يكون في حال موته مفارقاً للعمر وحده فالى هذا ذهب البحتري وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التي يعمرها الانسان وانما أراد بالعمر ههنا الكبر كما قال زهير

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَى فَمَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه • • وما رأيت أشد تهافتاً في الخطأ منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى البيت غير ما توهمه وهو أظهر من

أن يخفى حتى يحتاج فيه الى هذا التعليل والتعسف وانما أراد البحتري ان الانسان بين حالتين إمّا أن يفارق الشباب بالشيب أو العمر بالموت فمن مات شاباً وان كان قد خرج من العمر وخرج بخروجه عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فانه لم يفارق الشباب وحده وانما فارق العمر الذي فارق بمفارقته الشباب وغيره وقسمة الرجل تناولت أحد الأمرين إمّا مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولا يكون ذلك إلاّ بالشيب أو مفارقة العمر بالموت وتلخيص كلامه إنه لابد للحي من شيب أو موت فكأن الشيب والموت متعاقبان والبحتري انما جعل قوله العمر مقام قوله الحياة والبقاء وانما قال العمر لأجل القافية مع انه مبين عن مراده ولو قال ولا بد من ترك الحياة أو ترك الشباب لقام مقام قوله العمر ٠٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن محمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال من معاني ابن الرومي التي فتقها قوله يذم من جعل مصيبة غيره مصيبة له وعاب من تعلل بالتأسي بما نال غيره وهو يرثي شبابه وأحسن

يا شبابي وأين مني شبابي ... آذنتني أيامه بانقضاب

لهف نفسي على نعيمي ولهوي ... تحت أفنانه اللدان الرطاب

ومعزٍّ عن الشباب مؤسٍّ ... بمشيب اللدات والأصحاب

قلتُ لمّا انتحى بعيدَ أساةٍ ... بمصابِ شبابهُ كمصابِ

ليس تأسو كلومُ غيري كلومي ... ما بهِ ما بهِ وما بيَ ما بي

ولابن الرومي

لهفي على الدنيا وهل لهفة ... تنصفُ منها إن تلهفتُها

قبحاً لها قبحاً على أنها ... أقبحُ شيء حين كشّفتُها

وقد يعزّيني شبابٌ مضى ... ولذّةٌ للعيشِ أسلفتُها

فكرتُ في خمسين عاماً مضتْ ... كانتْ أمامي ثمّ خلّفتُها

جَهِلْتُها إذ هِيَ مَوْفُورَةٌ ... ثُمَّ مَضَتْ عَنِّي فعرَّفتُها

فَفَرْحَةُ المَوْهُوبِ أعدمتُها ... وَتَرْحَةُ المَسْلُوبِ ألحقتُها

لَوْ أنَّ عُمْرِي مائةٌ هدَّنِي ... تذكُّرِي أنِّي تنصَّفتُها

وله في هذا المعنى وقد تقدمت هذه الأبيات في الأمالي السالفة وقد أحسن فيها كل الإحسان

كفى بسراجِ الشَّيْبِ للرَّأسِ هاديا ... لمنْ قدْ أضلَّتْهُ المنايا لياليا

أمِنْ بعدِ إبداءِ المَشيبِ مقاتلي ... لِرامِي المنايا تحسبيِّني ناجيا

غدا الدَّهرُ يرميني فتدنو سهامُهُ ... لِشخصي أخلقْ أنْ يُصبنَ سواديا

وكانَ كرامي اللَّيلِ يرمي ولا يَرَى ... فلمَّا أضاءَ الشَّيْبُ شخصِي رمانيا

مجلس آخر ٤٨

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) •• فقال كيف جاءت أو بعد ما لا يجوز أن يعطف عليه وما الناصب لقوله تعالى (أو يتوب عليهم) وليس في ظاهر الكلام ما يقتضي نصبه •• الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه •• أولها أن يكون قوله تعالى (أو يتوب عليهم) معطوفاً على قوله ليقطع طرفاً والمعنى انه تعالى عجل لكم هذا النصر ومنحكم به ليقطع طرفاً من الذين كفروا أي قطعة منهم وطائفة من جمعهم أو يكبتهم ويغلبهم ويهزمهم فيخيب سعيهم وتكذب فيكم ظنونهم أو يغلبهم ما يرون من تظاهر آيات الله تعالى الموجبة لتصديق نبيه عليه الصلاة والسلام فيتوبوا ويؤمنوا فيقبل الله تعالى ذلك منهم ويتوب عليهم أو يكفروا بعد قيام الحجج وتأكيد البينات والدلائل فيموتوا أو يقتلوا كافرين فيعذبهم الله تعالى باستحقاقهم النار ويكون على هذا الجواب قوله

تعالى (ليس لك من الأمر شئ) معطوفاً على قوله تعالى (وما النصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم) أى ليس لك ولا لغيرك من هـذا الأمر شئ وانمـا هو من الله عزوجل •• والجواب الثاني أن يكون أو بمعنى حتى وإلاّ أن والتقدير ليس لك من الأمر شئ حتى يتوب عليهم وإلاّ أن يتوب عليهم كما قال امرؤ القيس

بكى صاحبي لمارأى الدَّرْبَ دُونهُ ... وَأيقنَ أنا لاحقَان بقيصَرا [1]

فقلتُ لهُ لاتبْكِ عينَاكَ إنّما ... نُحاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَموتَ فنُعْذَرا

أراد إلاّ أن نموت فنعذرا وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لأن لقائل أن يقول ان أمر الخلق ليس الى أحد سوى الله قبل توبة العباد وعقابهم وبعـد ذلك فكيف يصح أن يقول ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهـم أو يعذبهم حتى كأنه اذا كان أحد الأمرين كان اليه من الأمر شئ •• ويمكن أن ينصر ذلك بأن يقال قد يصح الكلام اذا حمل على المعنى وذلك ان قوله (ليس لك من الأمر شئ) معناه ليس يقع ماتريده وتؤثره من ايمانهم وتوبتهـم أو ماتريده من استئصالهم وعذابهم على اختلاف الرواية في معنى الآية وسبب نزولها إلاّ أن يلطف الله تعالى لهم في التوبة فيتوب عليهـم أو يعذبهم وتقدير الآية ليس يكون ماتريده من توبتهم أو عذابهم بك وانمـا يكون ذلك بالله تعالى •• والجواب الثالث أن يكون المعنى ليس لك من الأمر شئ أو من أن يتوب الله عليهم فأضمر من اكتفاء بالأول وأضمر أن بعدها لدلالة الكلام عليها أو اقتضائه لها وهي مع الفعل الذى بعدها بمنزلة المصدر وتقـدير الكلام ليس لك من الأمر شئ ومن توبتهم وعذابهم •• [قال المرتضى] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم

---

(١) قوله بكى صاحبي الخ •• هو من قصيدته المشهورة ومطلعها

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا ... وحلت سليمى بطن قوّ فعرعرا

قالها لما ذهب الى قيصر يستنجده على بنى أسد بعد قتلهم أباه وعنى بقوله صاحبي عمرو ابن قميئة من قيس بن ثعلبة بن مالك رهط طرفة وهو قديم جاهلى كان مع حجر أبي امرئ القيس فلما خرج امرؤ القيس الى الروم صحبه

يطعن على هـذا الجواب ويستبعده قال لان الفعل لا يكون محمولا على اعراب الاسم الجامد الذي لا تصرف له على إضمار أن مع الفعل لانه ليس في كلام العرب عجبت من أخيك ويقوم على معـنى عجبت من أخيك ومن أن يقوم لأن أخاك اسم جامد محض لا يعطف عليه إلاّ ما شاكله قال هـذا انما يستقيم ويصلح في رد الفعل الى المصـدر كقولهم كرهت غضبك ويغضب أبوك على معـنى كرهت غضبك وان يغضب أبوك فيطرد هذا في المصادر لانها تؤل بأن فيقول النحويون يعجبني قيامك وتأويله يعجبني أن تقوم قال والاسم الجامد لا يمكن مثل هذا فيه ٠٠[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وليس ما ذكره مستبعداً وان لم يضعف هذا الجواب إلاّ من حيث ذكر فليس بضعيف وذلك ان انما امتنع منه مثل الذي أجازه لانه قد أجاز ذلك في المصادر وان لم يجزه في غـيرها وقوله تعالى (ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم) فيـه دلالة الفعل لان الأمر مصـدر أمرت أمراً فكأنه تعالى قال ليس لك من أمرتهم أو تأمرهم شئ ولا من أن يتوبوا وجرى ذلك مجرى قولهم كرهت غضبك ويغضب أبوك في رد الفعل الى المصدر والوجه الأول أقوى الوجوه والله أعلم بما أراد

[تأويل خبر] ٠٠ إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه ٠٠ الجواب قيل له أما النجش فهو المدح والاطراء ٠٠ قال نابغة بني شيبان يذكر الخمر

وَتُرْخِي بالَ مَنْ يَشْرَبُها ... وَتُفَدِّي كَرْمَها عندَ النَّجَشْ[1]

---

(١) هو من قصـيدة له مشهورة روى ان أبا كامل مولى الوليد بن يزيد غنى يوماً بحضرته

أمدح الكاس ومن أعملها ... واهجُ قوماً قتلونا بالعطش

فسأل الوليد عن قائل هذا الشعر فقيل نابغة بني شيبان فأمر باحضاره فاستنشده القصيدة فأنشده إياها وظن ان فيها مدحاً له فاذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم فقال له الوليد لو سعد جدك لكانت مدحاً فينا لا في بني شيبان ولسنا نخليك على ذلك من حظ ووصله

أي عند مدحها ومنه النجش في البيع وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير ارادة لشرائها بل ليقتدى بالزائد في زيادته غيره وأصل النجش استخراج الشئ والتسعير عنه .. قال بعض الفقعسيين

أجْرِشْ لها يابنَ أبي كِبَاشِ ... فما لها اللَّيلَةَ من إنفاشِ

غيرَ السُّرَى وسائقٍ نجَّاشِ ... اسمَرَ مثلَ الحيَّةِ الخُشْخاشِ

ويروى الخشخاش ـ والنجاش ـ هو المستثير لسيرها والمستخرج لما عندها منه ومعنى ـ أجرش لها ـ أي أحد لها لتسمع الحداء فتسير وهو مأخوذ من الجرش وهو الصوت ومعنى

والصرف .. وأول هذه القصيدة قوله

حل قلبي من سليمى نبلها ... إذ رمتنى بسهام لم تطش

طفلة الأعطاف رؤددمية ... وشواها بخترى لم يحش

وكأن الدر في أخراصها ... بيض كحلاء أقرته بعش

ولها عينا مهاة في مهي ... ترتعي نبت خزامي وقش

حرة الوجه رخيم صوتها ... رطب تجنيه كف المنتقش

وهي من الليل اذا ماعونقت ... منية البعل وهمُّ المفترش

.. ومنها

أيها الساقي سقته مزنة ... من ربيع ذى أهاضيب وطش

أمدح الكاس ومن أعملها ... وأهج قوماً قتلونا بالعطش

انما الكاس ربيع باكر ... فاذا ماغاب عنّا لم نعش

وكأن الشرب قوم مُوِّتوا ... من يقم منهم لأمر يرتعش

خرس الألسن مما نالهم ... بين مصروع وصاح منتعش

من حميا قرقف حصية ... قهوة حولية لم تمتحش

ينفع المزكوم منها ريحها ... ثم تنفي داءه إن لم تنش

كل من يشربها يألفها ... ينفق الأموال فيها كل هش

ـ الأنفاش ـ أراد انها لاتترك ترعى ليلا والنفش أن ترعى الابل ليلا وقد أنفشتها اذا أرسلتها ليلا ترعى ـ والخشخاش ـ الخفيف الحركة السريع التقلب •• والنجش في البيوع يرجع معناه الى هذا أيضاً من الزيادة لان الناجش يستثير بزيادته في الثمن ومدحه السلعة الزيادة في ثمنها فيكون معنى الخبر على هذا لا تناجشوا أي لا يمدح أحدكم السلعة فيزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيده وقد يجوز أيضاً أن يريد بذلك لا يمدح أحدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعي منفعته ويستثير فائدته وهذا المعنى أشبه بأن يكون مراده عليه الصلاة والسلام لأن قوله ولاتدابروا أشد مطابقة له •• ومعنى ـ لا تدابروا ـ أي لا تهاجروا ويولي كل واحد منكم صاحبه دبر وجهه •• قال الشاعر

وأوصى أبو قيس بأنْ تتواصلوا وأوصى أبوكمْ ويحكمْ أنْ تدابروا

فكأنه قال عليه الصلاة والسلام لا تمادحوا ولا تتواصلوا بالمدح الذى ليس بمستحق ولا تهاجروا وتتقاطعوا •• فأما قوله عليه الصلاة والسلام ـ كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه ـ فقد ذهب قوم الى أن عرض الرجل انما هو سلفه من آبائه وأمهاته وما جرى مجراهم وذهب ابن قتيبة الى أن عرض الرجل نفسه واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر أهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوّطون انما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك أي من ابدانهم قال ومنه قول أبي الدرداء أقرض من عرضك اليوم من قذفك أراد من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به ودع ذلك قرضاً لك عليه ليوم الجزاء والقصاص •• واحتج أيضاً بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان اذا خرج من منزله قال اللهم إني قد تصدّقت بعرضي على عبادك قال فمعناه قد تصدقت بنفسي وأحللت من يغتابني فلو كان العرض الاسلاف ماجاز أن يحل من سب الموتى لان ذلك اليهم لا اليه •• قال ويدل على ذلك أيضاً حديث سفيان بن عيينة لو أن رجلا أصاب من عرض رجل شيئاً ثم تورّع من بعده فجاء الى ورثته بعد موته فأحلوه لم يكن ذلك

كفارة له ولو أصاب من ماله شيئاً ثم دفعه الى ورثته لكنا نرى ان ذلك كفارة له قال ويدل على ان عرض الرجل نفسه قول حسان

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فأَجَبْتُ عنهُ ... وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ[1]

فإنَّ أبي ووالدَه وعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ منكُمْ وِقاءُ

أتهجُوهُ ولستَ لهُ بكُفْءٍ ... فشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِداءُ

أراد ان أبي وجدّي ونفسي وقاء لنفس محمد صلى الله عليه وسلم •• وقال آخرون وهو الصحيح العرض موضع المدح والذّم من الرّجل فاذا قيل ذكر عرض فلان فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ويمدح أو يذم به وقد يدخل في ذلك ذكر الرجل نفسه وذكر آبائه وأسلافه لان كل ذلك مما يمدح به ويذم والذي يدل على هذا ان أهل اللغة لا يفرقون في قولهم شتم فلان عرض فلان بين أن يكون ذكره في نفسه بقبيح الأفعال أو شتم سلفه وآباءه ويدل عليه قول مسكين الدارمي

رُبَّ مهزُولٍ سَمِينٍ عِرْضُهُ ... وسَمِينِ الجسمِ مهزُولِ الحسبْ[2]

---

(١) روي انه لما انتهى الى هذا البيت قال له النبي صلى الله عليه وسلم جزاؤك على الله الجنة يا حسان ولما انتهى الى قوله * فان أبي ووالده وعرضي * الخ قال صلى الله عليه وسلم وقاك الله يا حسان حر النار ولما انتهى الى قوله * أتهجوه ولست له بكفء * الخ قال من حضر هذا أنصف بيت قالته العرب •• وقوله ـ فشركما لخيركما الفداء ـ قال السهيلي في ظاهر هذا اللفظ شناعة لأن المعروف أن لا يقال هو شرهما إلاّ وفي كلاهما شر وكذلك خير منه ولكن سيبويه قال تقول مررت برجل شر منك اذا نقص عن أن يكون مثله وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول ونحو منه قوله عليه الصلاة والسلام شر صفوف الرجال آخرها يريد نقصان حظهم عن حظ الصف الأول كما قال سيبويه ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشر والله أعلم

(٢) ذكر أبو عليّ القالي العرض بأنواعه فتركنا كل ما لا تعلق له بموضع البحث

فلو كان العرض نفس الانسان لكان الكلام متناقضاً لان السمن والهزل يرجعان الى

فقال والعرض أيضاً ماذم من الانسان أو مدح يقال فلان نقي العرض أى هو بريء من أن يشتم أو يعاب واختلف فيه فقال أبو عبيدة عرضه آباؤه وأسلافه وخالفه ابن قتيبة فقال عرضه جسده واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في صفة أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون انما هو عرق يجرى من اعراضهم مثل المسك يعني من أبدانهم ونصر شيخنا أبو بكر بن الانباري أبا عبيدة فقال ليس هذا الحديث حجة له لان الاعراض عند العرب المواضع التي تعرق من الجسد قال والدليل على غلط ابن قتيبة في هذا التأويل وصحة تأويل أبي عبيدة قول مسكين الدارمي

رب مهزول سمين عرضه　　وسمين الجسم مهزول الحسب

فمعناه رب مهزول البدن والجسم كريم الآباء قال وأما احتجاجه ببيت حسان بن ثابت

فان أبي ووالده وعرضي　　لعرض محمد منكم وقاء

في أن العرض الجسم فليس كما ذكر لان معناه فان أبي ووالده وآبائي فأتى بالعموم بعد الخصوص ذكر الأب ثم جمع الآباء كما قال الله جل وعز (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) فخص السبع ثم أتي بالقرآن العام بعد ذكره إياها والذي قاله ابن قتيبة قد قاله غيره ويمكن أن ينصر ابن قتيبة بيت مسكين ومعناه رب مهزول الجسم سمين الحسب أي عظيم الشرف وسمين الجسم مهزول الحسب أى ضعيف الشرف اه قلت وبعد بيت مسكين المتقدم

أكسبته الورق البيض أباً　　ولقد كان ولا يدعى لأب

ـ الورق ـ بفتح الواو وكسر الراء وهي الدراهم المضروبة وكذلك الرقة والهاء عوض عن الواو وقوله ـ ولا يدعى لأب ـ أي ولا ينتسب من الدعوة بكسر الدال .. المعنى انه كان مجهول النسب ولم يكن له أب يدعي اليه فلما أعطي مالا ظهر له نسب واشتهر له أب يدعى اليه .. وقوله ـ ولقد كان ـ الواو للحال واللام للتأكيد وقد للتحقيق وكان تامة فلا تحتاج الى خبر .. وقوله ـ ولا يدعى لأب ـ جملة وقعت حالا أيضاً وهي مضارع منفي جاء بالواو وهو قليل والأكثر مجيئه بلا واو

شيء واحد وانما أرادت مهزول كريمة أفعاله أو كريم آباؤه وأسلافه ٠٠ وقد قال ابن عبدل الأسدي

وَإِنّي لأَستغني فما أَبطرُ الغنى   وابذُلُ مَيسُوري لِمَنْ يَبتغي قَرْضي
واعسرُ أحيانا فتشتدُّ عُسْرَتي   وادرِكُ مَيسُورَ الغِنى وَمَعي عِرْضي

ولا يليق ذلك إلاّ بما ذكرناه ٠٠ [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وجدت أبا بكر ابن الانباري قد رد على ابن قتيبة هذا وطعن على ما احتج به فقال في الحديث المروي عنه عليه الصلاة والسلام في وصف أهل الجنة ان المراد بالاعراض مغابن الجسد ٠٠ وحكى عن الأموي انه قال الاعراض المغابن التي تعرق من الجسد نحو الابطين وغيرهما وقال في حديث أبي الدرداء معناه من عابك وذكر أسلافك فلا تجازه ليكون الله تعالى هو المثيب لك ٠٠ وقال في قول أبي ضمضم معناه انه أحل من أوصل اليه أذى بذكره وذكر آبائه فلا يحل إلاّ من أمره اليه ٠٠ وقال في قول حسان المراد بعرضه أيضاً أسلافه فكأنه قال ان أبي ووالده وجميع أسلافي الذين أمدح وأذم من جهتهم وقاءله عليه الصلاة والسلام فأتى بالعموم بعد الخصوص كما قال الله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) فأتي بالعموم بعد الخصوص ولم أجده ذكر في خبر سفيان ابن عيينة شيئاً وتأويله يقرب من تأويل خبر أبي ضمضم لأن من آذى رجلا بسبه في نفسه أو سب سلفه وأدخل عليه بذلك وضعاً ونقصاً لم يكن الى ورثته بعد موته الاحلال من ذلك لأن الأذى لم يدخل عليهم ولو كان داخلا عليهم أيضاً مع دخوله على المسبوب لكان إحلالهم مما يرجع الى غيرهم لم يصح على ان الاحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه وهل يسقط باسقاط مستحقه أم لا فيه كلام ليس هذا موضعه وقد ذكرناه في مواضع ٠٠ وبعد فلو سلم لابن قتيبة ان المراد بالعرض في كل المواضع التي ذكرناها النفس دون السلف أو سلم له ذلك في بيت حسان خاصة فانه أقرب الى أن يكون المراد به ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه لانا لم نقل ان العرض مقصور على سلف الانسان بل ذكرنا انه موضع الذم والمدح من الانسان ولا فرق

بين سلفه ونفسه فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعناً علينا وانما ينفع ابن قتيبة أن يأتي بما يدل على ان العرض لا يستعمل إلاّ في النفس دون السلف وكل شيء ورد مما المراد بالعرض فيه النفس أوالمراد به السلف فهو مؤكد لقولنا في ان هذه اللفظة مستعملة في موضع الذم والمدح من الانسان وانما يكون ما استشهدنا به وما جرى مجراه مما يدل على استعمال لفظة العرض في السلف حجة على ابن قتيبة لانه قصر معناها على النفس والذات دون السلف وهذا واضح بحمد الله •• أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة معمر بن المثنى صفرياً وكان يكتم ذلك فأنشد لعمران بن حطان [1]

أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ ... مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ

إِمَّا تَكُنْ ذُقْتَ كَأْساً دَارَ أَوَّلُهَا ... عَلَى القُرُونِ فَذَاقُوا نَهْلَةَ الكَاسِ

قَدْ كُنْتُ أَبْكِيكَ حِيناً ثُمَّ قَدْ يَئِسَتْ ... نَفْسِي فَمَا رَدَّ عَنِّي عَبْرَتِي يَاسِي

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا الاسناباذاني قال قال الثوري كنت اذا أردت ان أبسط أبا عبيدة ذكرته بأخبار الخوارج فابعج منه ثبج بحر لجته يوماً وهو مطرق ينكث في الأرض في صحن المسجد وقد قربت منه الشمس

(١) وهو أحد بني ذهل بن ثعلبة وكان رأس القعدة من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم وهذه الأبيات يرثي بها أبا بلال وهو مرداس بن ادية وهي جدته وأبوه حدير وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة ورواية أبي العباس

يا عين بكي لمرداس ومصرعه ... يارب مرداس اجعلني كمرداس

تركتني هائماً أبكي لمرزائي ... في منزل موحش من بعد إيناس

أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يامرداس بالناس

إمّا شربت بكأس دار أوّلها ... على القرون فذاقوا جرعة الكاس

فكل من لم يذقها شارب عجلا ... منها بأنفاس ورد بعد أنفاس

فسلمت عليه فلم يرد فتمثلت

وَما لِلْمَرْءِ خَيْرٌ في حَيَاةٍ ... إذا ماعُدَّ مِنْ سَقَطِ المَتَاعِ

والبيت لقطري بن الفجاءة فنظر الىّ ثم قال ويحك أندري من يقوله قلت قطري قال اسكت فض الله فاك فإلاّ قلت أمير المؤمنين أبو نعامة ثم انتبه فقال اكتمها علىّ يانوري فقلت هي ابنة الأرض فأنشدني

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ جاشَتْ حياءً ... مِنَ الأَبْطَالِ وَيْحَكِ لا تُرَاعِي

فإِنَّكِ لوْ طَلَبْتِ حَيَاةَ يوْمٍ ... على الأَجَلِ الَّذِي لَكِ لنْ تُطَاعِي

فَصَبْرًا في مَجَالِ المَوْتِ صَبْرًا ... فما نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ

وَما طُولُ الحَيَاةِ بِثَوْبِ مَجْدٍ ... فَيُطْوَى عنْ أَخِي الخَنَعِ اليَرَاعِ

سَبِيلُ المَوْتِ مَنْهَجُ كُلِّ حَيٍّ ... وَدَاعِيهِ لأَهْلِ الأَرْضِ دَاعِي

وَمَنْ لم يَغْتَبِطْ يُسأَمْ وَيَهْرَمْ ... وَيُفْضِ بِهِ القَضَاءُ إلى انْقِطَاعِ

وَما لِلْمَرْءِ خَيْرٌ في حَيَاةٍ ... إذَا ماعُدَّ منْ سَقَطِ المَتَاعِ[1]

---

(١) رواية الحماسة

أقول لها وقد طارت شعاعاً ... من الأبطال ويحك لن تراعي

فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذى لك لم تطاعى

فصبراً في مجال الموت صبراً ... فما نيل الخلود بمستطاع

وما ثوب الحياة بثوب عز ... فيطوى عن أخى الخنع اليراع

سبيل الموت غاية كل حى ... فداعيه لأهل الأرض داعى

ومن لا يغتبط يسأم ويهرم ... وتسلمه المنون الى انقطاع

وما للمرء خير فى حياة ... اذا ما عُدّ من سقط المتاع

فكتبتها وقت لا أصرف فقال اقعد ثم أنشدني

إلى كم تُمَازِبني السيوفُ ولا أرى مُمَازاتها تدعو إليَّ حِمامِيا
أُقارِعُ عن دار الخلود ولا أرى بقاءً على حالٍ لمَنْ ليس باقيا
ولو قرَّبَ الموتَ القِراعُ لقد أنى لموتي أنْ يدنو لطول قِراعيا
أُغادي جِلادَ المُعلمين كأنني على العَسَلِ الماذيّ أُصبِحُ غاديا
وأدعو الكُماةَ للنِزالِ إذا القنا تحطَّمَ فيما بيننا من طعانيا
ولستُ أرى نفساً تموتُ وإن دنَتْ من الموتِ حتى يبعثَ اللهُ داعيا

فقال ابن دريد وهذا الشعر أيضاً لقطرى .. أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال جئت أبا عبيدة يوماً ومعي شعر عروة بن الورد فقال فارغ حمل شعر فقير ليقرأه على فقير فقلت ما معي غيره فأنشدني أنت ماشئت فأنشدني

يارُبَّ ظِلِّ عُقابٍ قد وقيتُ به مُهري من الشمس والأبطالُ تجتلدُ
ورُبَّ يومٍ حمى أرعى عقوتَه خيلي اقتساراً وأطرافُ القنا قِصَدُ
ويومِ لهوٍ لأهلِ الخفضِ ظلَّ به لهوي اصطلاءَ الوغا إذ نارُه تقِدُ
مُشَهَّراً موقفي والحربُ كاشفةٌ عنها القناعَ وبحرُ الموتِ يطَّرِدُ
ورُبَّ هاجرةٍ تغلي مراجلُها مخرتُها بمطايا غارةٍ تخِدُ
تجتابُ أوديةَ الأفزاعِ آمنةً كأنها أُسُدٌ يقتادُها أسَدُ
فإنْ أمتْ حتفَ نفسي لا أمتْ كمداً
على الطِّعانِ وقصرُ العاجزِ الكمَدُ
ولم أقلْ لم أساقِ القتلَ شاربَهُ في كأسِه والمنايا شُرَّعٌ وُرُدُ

ثم قال لي هذا الشعر لا ما تعللون به نفوسكم من أشعار المخانيث والشعر لقطري ٠٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة يأنس اليّ في أول ما اختلفت اليه ويسألني عن خوارج سجستان لانه كان يطنق على رأيهم وكنت أوهمه أني منهم فالتقي منه لذلك عناية خاصة فكان كثيراً ينشدني أشعارهم ثم يتمثل

أولئك قومٌ إنْ بنوا أحسنوا البنا ... وإنْ عاهدوا أوفوا وإنْ عقدوا شدّوا

قال وأنشدني يوماً لرجل من طيء من الخوارج

لا كابن ملحان منْ شار أخي ثقة ... أو كابن علقمة المستشهد الشاري

من صادقٍ كنتُ أصفيه مخالصتي ... فباعَ داري بأغلى صفقة الدّار

إخوانُ صدقٍ أُرجّيهم وأحذرهم ... اشكو الى الله إخواني وإحذاري

فصرتُ صاحبَ دُنيا لستُ أملكُها ... وصارَ صاحبَ جنّاتٍ وأنهارِ

﴿ مجلس آخر ٤٩ ﴾

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّتْ أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) ٠٠ فقال ما اليد التي أضافتها اليهود الى الله تعالى وادّعوا انها مغلولة فما نرى ان عاقلا من اليهود ولا غيرهم يزعم ان لربه يداً مغلولة واليهود تتبرأ من أن يكون منها قائل بذلك وما معنى الدعاء عليهم بغلت أيديهم وهو تعالى ممن لا يصح أن يدعو على غيره لانه تعالى قادر على أن يفعل ما يشاء وانما يدعو الداعي بما لا يتمكن من فعله طلباً له ٠٠ الجواب قلنا يحتمل أن يكون قوم من اليهود وصفوا الله تعالى بما يقتضي تناهي مقدوره فجرى ذلك مجرى أن يقولوا ان يده مغلولة لان عادة الناس جارية بان يعبروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة

عن كذا وكذا ويده لا تنبسط الي كذا اذا أرادوا وصفه بالفقر والقصور ويشهد بذلك قوله تعالى في موضع آخر (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) ثم قال تعالى مكذباً لهم (بل يداه مبسوطتان) أي انه لا يعجزه شيء وثنى اليدين تأكيداً للأمر وتفخيماً له ولان ذلك أبلغ في المعني المقصود من أن يقول بل يده مبسوطة .. وقد قيل أيضاً ان اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطئوا فضله ورزقه وقيل انهم قالوا على سبيل الاستهزاء ان إله محمد الذي أرسله يداه الى عنقه إذ ليس يوسع عليه وعلى أصحابه فرد الله قولهم وكذبهم بقوله (بل يداه مبسوطتان) واليد ههنا الفضل والنعمة وذلك معروف في اللغة متظاهر في كلام العرب وأشعارهم ويشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) ولا معنى لذلك إلا الأمر بترك امساك اليد عن النفقة في الحقوق وترك الاسراف الى القصد والتوسط ويمكن أن يكون الوجه في تثنية النعمة من حيث أريد بها نعم الدنيا ونعم الآخرة لان الكل وان كانت نعماً لله فمن حيث اختص كل واحد من الأمرين بصفة تخالف صفة الآخر صارا كأنهما جنسان وقبيلان ويمكن أيضاً أن يكون في تثنية النعمة لانه أريد بها النعم الظاهرة والباطنة .. فأما قوله تعالى (غُلَّتْ أيديهم) ففيه وجوه .. أولها أن لا يكون ذلك على سبيل الدعاء بل على وجه الاخبار منه عز وجل عن نزول ذلك بهم وفي الكلام ضمير وقد قيل قوله (غُلَّتْ أيديهم) وموضع غُلَّت نصب على الحال كأنه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا في حال ماغل الله تعالى أيديهم ولعنهم أو حكم بذلك فيهم ويسوغ إضمار قد ههنا كما ساغ في قوله عز وجل (إن كان قميصه قُدَّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قُدَّ من دبر فكذبت) والمعني فقد صدقت وقد كذبت .. وثانيها أن يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلت أيديهم أو وغلت أيديهم فأضمر تعالى الفاء والواو لان كلامهم تم واستؤنف بعده كلام آخر ومن عادة العرب أن تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع من ذلك قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً) أراد فقالوا أتتخذنا هزواً فأضمر تعالى الفاء لتمام كلام موسى عليه الصلاة والسلام

ومنه قول الشاعر

لمَّا رَأَيْتُ نَبَطا أَنصارَا   شَمَّرْتُ عن رُكْبَتِيَ الإِزَارَا

كُنْتُ لَها منَ النَّصارَى جارَا

أراد وكنت لها فأضمر الواو ‥ وثالثها أن يكون القول خرج مخرج الدعاء إلاّ أن معناه التعليم من الله تعالى لنا والتأديب فكأنه تعالى وقفنا على الدعاء عليهم وعلمنا ما ينبغي أن نقول فيهم كما علمنا الاستثناء في غير هذا الموضع بقوله (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وكل ذلك واضح والمنّة لله

[تأويل خبر] ‥ ان سأل سائل عن الخبر الذي روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده ‥ الجواب قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس فالخوارج تتعلق به وتدعى ان القطع يجب في القليل والكثير ويستشهد على ذلك بظاهر قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) ويتعلق بهذا الخبر أيضاً الملحدة والشكاك ويدعون انه مناقض للرواية المتضمنة انتفاء القطع إلاّ في ربع دينار ونحن نذكر ما فيه ‥ فأول ما نقوله ان الخبر مطعون فيه عند أصحاب الحديث وعلى اسناده أيضاً طعن وقد حكى ابن قتيبة في تأويله وجهاً عن يحيى بن أكثم طعن عليه وضعفه وذكر عن نفسه وجهاً آخر نحن نذكرهما وما فيهما ونتبعهما بما نختاره ‥ قال ابن قتيبة كنت حضرت يوماً مجلس يحيى بن أكثم بمكة فرأيته يذهب الى ان البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر الرأس في الحرب وان الحبل من حبال السفن قال وكل واحد من هذين يبلغ ثمنه دنانير كثيرة ‥ قال ورأيته يعجب بهذا التأويل ويبدى فيه ويعيد ويرى انه قطع بحجة الخصم ‥ قال ابن قتيبة وهذا انما يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام وليس هذا موضع تكثير لما يأخذه السارق فيصرفه الى بيضة تساوى دنانير وحبل لا يقدر السارق على حمله ولا من عادة العرب والعجم أن يقولوا قبح الله فلاناً عرض نفسه للضرر في عقد جوهر وتعرض لعقوبة الغلول في جراب مسك وانما العادة جارية

بان يقال لعنه الله تعرض لقطع اليد فى حبل رث أو أداوة خَلَق أو كبة شعر فكل ما كان من ذلك حقيراً كان أبلغ •• قال والوجه في الحديث ان الله تعالى لما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم (والسارق والسارقة) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده على ظاهر ما أنزل عليه في ذلك الوقت ثم أعلمه الله تعالى بعدُ ان القطع لا يكون إلاّ في ربع دينار فما فوقه ولم يكن عليه الصلاة والسلام يعلم من حكم الله تعالي إلاّ ما أعلمه الله تعالي ولا كان الله يعرفه ذلك جملة بل يبين له شيئاً بعد شيء •• [قال المرتضي] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر الانبارى يقول ليس الذى ذكر ابن قتيبة على تأويل الخبر بشيء قال لأن البيضة من السلاح ليست علماً في كثرة الثمن ونهاية علو القيمة فتجري مجرى العقد من الجوهر والجراب من المسك الذين يساويا الألوف من الدنانير والبيضة من السلاح ربما اشتريت بأقل مما يجب فيه القطع وانما أراد عليه الصلاة والسلام انه يكتسب قطع يده بما لا غناء له به لان البيضة من السلاح لا يستغنى بها أحد والجوهر والمسك فى اليسير منهما غناء •• [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه والذى نقوله ان ماطعن به ابن الانباري على كلام ابن قتيبة متوجه وليس فى ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظن فيشبه العقد والجراب من المسك غير انه يبقى فى ذلك أن يقال أي وجه لتخصيص البيضة والحبل بالذكر وليس هما النهاية فى التقليل وان كان كما ذكره ابن الانبارى من ان المعنى انه يسرق مالا يستغنى به فليس ذكر ذلك بأولي من غيره فلا بد من ذكر وجه في ذلك •• وأما تأويل ابن قتيبة فباطل لان النبى عليه الصلاة والسلام لا يجوز أن يقول ماحكاه عند سماع قوله تعالي (والسارق والسارقة) لان الآية مجملة مفتقرة الى بيان ولا يجوز أن يحملها أو يصرفها الي بعض محتملاتها دون بعض بلا دلالة على ان أكثر من قال ان الآية مجملة وان ظاهر القول يقتضي العموم ويذهب الي ان تخصيصها بسارق دون سارق لم يتأخر عن حال الخطاب بها فكيف يصح ماقاله ابن الانباري ان الآية تقدمت ثم تأخر تخصيص السارق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتأخر ناسخاً للأول وعلى تأويله هذا يقتضي أن يكون كل الخبر منسوخاً واذا أمكن تأويل أخباره عليه الصلاة والسلام على مالايقتضي

رفع أحكامها ونسخها كان أولى ٠٠ والأشبه أن يكون المراد بهذا الخبران السارق يسرق الكثير الجليل فتقطع يده ويسرق الحقير القليل فتقطع يده فكأنه تعجيز له وتضعيف لاختياره من حيث باع يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره ٠٠ وقد حكى أهل اللغة ان بيضة القوم وسطهم وبيضة الدار وسطها وبيضة السنام شحمته وبيضة الصيف معظمه وبيضة البلد الذى لا نظير له وان كان قد يستعمل ذلك في المدح والذم على سبيل الاضداد واذا استعمل في الذم فمعناه ان الموصوف بذلك حقير مهين كالبيضة التى تفسدها النعامة فتتركها ملقاة ولا تلتفت اليها فما جاء من ذلك في المدح قول أخت عمرو ابن عبد ود ترثيه [١] وتذكر قتل أمير المؤمنين عليه السلام إياه وقيل ان الأبيات لامرأة من العرب غير أخته

لَوْ كانَ قاتِلُ عَمْرٍو غيرَ قاتِلِهِ ... لَكُنْتُ أَبْكِي عليهِ آخِرَ الأَبَدِ

لَكِنَّ قاتِلَهُ مَنْ لا يُعابُ بِهِ ... قَدْ كانَ يُدْعَى قَدِيماً بَيْضَةَ البَلَدِ

(١) عمرو بن عبد ود هذا من بني عامر بن لؤى خرج فى فرسان من قريش منهم عكرمة بن أبى جهل وهبيرة بن أبى وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب فى غزوة الخندق فتيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين سلع والخندق وخرج على بن أبي طالب رضى الله عنه في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التى اقتحموا منها خيلهم فقال لعمرو بن عبد ود ياعمرو إنك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين إلاّ أخذت منه احداهما قال أجل قال له على فإنى أدعوك الى الله عزوجل والى رسوله والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فإني أدعوك الى النزال قال ولم يابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك قال على ولكنى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه ثم أقبل على على فتنازلا وتجاولا فقتله على عليه السلام وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو منبه بن عثمان الدارى ونوفل بن عبد الله بن المغيرة

وقال آخر فى المدح

كانَتْ قُرَيْشا بَيْضَةٌ فتفلَّقَتْ　　　فالمُخُّ خالِصة لِعَبْدِ مَنافِ

وقال آخر فى الذم

تأبى قُضاعةُ أنْ تعرِفَ لكُم نَسَبا　　　وَابنا نِزارٍ فأنتم بَيْضَةُ البَلَدِ

أراد أن تعرف فأسكن •• وقال آخر في ذلك

لكنَّهُ حَوْضُ مَنْ أوْدَى بإخْوَتِه　　　رَيْبُ الزَّمانِ فأمسي بَيْضَةَ البَلَدِ (١)

فقد صار معنى البيضة كله يعود الى التفخيم والتعظيم •• وأما الحبل فيذكر على سبيل المثل والمراد المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القائل ما اعطاني فلان إلا عقالا وما ذهب من فلان عقال ولا تساوى كذا نقيرا كل ذلك على سبيل المثل والتقليل وليس الغرض بذكر الحبل الواحد من الحبال على الحقيقة واذا كان على هذا تأويل الخبر زال عنه المناقضة التى ظننت وبطلت شبهة الخوارج فى ان القطع يجب فى القليل والكثير •• أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أبو عبيد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني أبو وهب عليّ بن ثابت قال قال الأصمعي تصرفت بالأسباب على باب الرشيد مؤملا بالظفر به والوصول اليه حتى إني صرت لبعض حرسه خدينا فإني فى ليلة قد نثرت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج خادم فقال أما بالحضرة أحد يحسن الشعر فقلت الله أكبر رب قيد مضيقه قد حله التيسير فقال لي الخادم ادخل فلعلها أن تكون ليلة تعرس في صباحها بالغنى ان فزت بالحظوة عنده

---

(١) وقبله

لو كان حوض حمار ماشربت به　　　إلا باذن حمار آخر الأبد

لكنه حوض من أودى باخوته　　　ريب الزمان فأمسى بيضة البلد

لوكان يشكي الى الأموات مالقى الا　　　احياء بعدهم من شدة الكمد

فدخلت فواجهت الرشيد في بهوة والفضــل بن يحيى الى جانبه فوقف بي الخــادم بحيث يسمع التسـليم فسـلمت فرد عليّ الســلام ثم قال ياغلام أرجه قليـلا ليفرخ روعه ان كان قد وجد للروعة حساً فدنيت قليلا ثم قلت يا أمير المؤمنين إضاءة مجدك وبهاء كرمك مجيران لمن نظر اليك من اعتراض أذية فقال ادن فدنوت فقال أشاعر أم راوية فقلت راوية لكل ذى جد وهزل بعد أن يكون محسـناً فقال تالله مارأيت ادعاء أعم فقلت أنا على الميدان فأطلق من عناني يا أمير المؤمنين فقال قد أنصف القارة من راماها ثم قال مامعنى هـذه الكلمة بديا قال قلت فيهـا قولان القارة هي الحرّة من الأرض وزعمت الرواة ان القارة كانت رماة للتبابعة والملك إذ ذاك أبو حسان فواقف عسكره عسكر السغد فخرج فارس من السـغد قد وضع سهمه في كبد قوسه فقال أين رماة العرب فقالت العرب قد أنصف القارة من راماها[1] فقال لي الرشيد أصبت ثم قال

---

(١) القارة قبيلة وهم عضل والديش أبناء الهون بن خزيمة وانمـا سـموا قارة لالتفافهم واجتماعهم لما أراد الشداخ أن يفرقهم في بني كنانة وقريش قال شاعرهم

دعونا قارة لاتنفـرونا فنجفل مثل إجفال الظليم

وهم رماة الحدق في الجاهلية وهم اليوم في اليمن ويزعمون ان رجلين إلتقيا أحـدهما قاري والآخر أسـدي فقال القاري ان شئت صارعتك وان شئت سابقتك وان شئت راميتك فقال الآخر قد اخترت المراماة فقال الأسـدي قـد اخترت المراماة فقال القاري قد أنصفتني وأنشد

قد أنصف القارة من راماها إنّا اذا ما فئـة نلقاها

* نرد أولاها على أخراها *

ثم انتزع له سهماً وشك فؤاده ، ، وانما قيل أنصف القارة من راماها في حرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناف بن كنانة وكانت كنانة مع قريش وهم قوم رماة فلما التق الفريقان راماهم الآخرون فقيل قد أنصـفهم هؤلاء اذ ساووهم في العمل الذي هو شأنهم وصناعتهم

أتروي لرؤبة بن العجاج والعجاج شيئاً فقلت هما شاهـدان لك بالقوافي وان غيبا عن بصرك بالأشخاص فأخرج من ثني فرشه رقعة ثم قال أنشدني

أَرَّقَنِي طارِقُ هَمٍّ طَرَقا

فمضيت فيها مضي الجواد في متن ميدانه تهدر بها أشداقي فلما صرت الى مديحه لبني أمية ثنيت لساني الى امتداحه للمنصور في قوله

قُلْتُ لِزِيرٍ لم تَصِلْهُ مَرْيَمُهْ

فلما أراني قد عدلت من أرجوزة الى غيرها قال أعن حيرة أم عن عمد قلت عن عمد تركت كذبه الى صدقه فيما وصف به المنصور من مجد فقال الفضل أحسنت بارك الله عليك مثلك يؤهل لهـذا المجلس فلما أتيت على آخرها قال لي الرشيد أتروي كلمة عدي بن الرقاع

عَرَفَ الدِّيارَ تَوَهُّماً فاعْتادَها

قلت نعم قال هات فمضيت فيها حتى صرت الى وصف الجمل قال لي الفضل ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أمتعنا به السهر من ليلتنا هـذه بصفة جمل أجرب فقال له الرشيد اسكت فالابل هي التي أخرجتك من دارك واستلبت تاج ملكك ثم ماتت وعملت جلودها سياطاً ثم ضربت بها أنت وقومك فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب الحمد لله فقال الرشيد أخطأت الحمد لله على النعم ولو قلت أستغفر الله كنت مصيباً ثم قال لي امض في أمرك فأنشدته حتى اذا بلغت الى قوله

تُزْجِي أَغَنَّ كأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصابَ مِنَ الدَّواةِ مِدادَها

استوى جالساً ثم قال لي أتحفظ في هذا ذكراً قلت نعم ذكرت الرواة ان الفرزدق قال كنت في المجلس وجرير الى جانبي فلما ابتدأ عدي في قصيدته قلت لجرير مسراً اليه هلم نسخر من هذا الشامي فلما ذقنا كلامه يئسنا منه فلما قال

تُزْجِي أَغَنَّ كأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

وعدى كالمستريح فقال جرير اذاً تراه يستلب بها مثلا فقال الفرزدق يالكع انه يقول

قلم أصابَ منَ الدَّواةِ مِدَادَها

فقال جرير كأنّ سمك مخبو فى صدره فقال لي اسكت شغلنى سبُّك عن جيد الكلام[1] فلما بلغ الى قوله

ولقدْ أرادَ اللهُ إذ ولاّكَها   منْ أمّةٍ إصلاحَها وَرَشَادَها

قال الأصمعي قال لي الرشيد ماتراه قال حين أنشده الشاعر هذا البيت فقلت قال كذلك أراد الله فقال الرشيد ما كان فى جلالته يقول هذا أحسبه قال ماشاء الله قال وكذا جاءت الرواية فلما أتيت على آخرها قال لى أتروي لذي الرمة شيئاً قلت الأكثر قال فماذا أراد بقوله

ممرٌّ أمرّتْ فتلهُ أسديّةٌ   ذِرَاعيّةٌ حلاّلةٌ بالمَصانعِ

قلت وصف حمار وحش أسمنه بقل روضة تواشجت أصوله وتشابكت فروعه عن مطر سحابة كانت بنوء الأسد فى الذراع فقال الرشيد أرح فقد وجدناك ممتعاً وعرفناك محسناً ثم قال إني لأجد ملالة ونهض فأخذ الخادم يصلح عقب النعل فى رجله وكانت عربية فقال الرشيد عقرتنى ياغلام فقال الفضل قاتل الله الأعاجم أما انها لو كانت سندية لما احتيجت الى هذه الكلفة فقال الرشيد هذه نعلي و نعل آبائي كم تعارض فلا تترك من جواب ممض ثم قال ياغلام تأمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم

(١) وقال أبو العباس يروي ان جريراً دخل الى الوليد وابن الرقاع العاملي عنده ينشده القصيدة التى يقول فيها

غلب المساميحَ الوليدُ سماحة   وكفى قريش المعضلات وسادها

قال جرير فحسدته على أبيات منها حتى أنشد فى صفة الظبية * تزجي أغن كأن إبرة روقه * الخ قال فقلت فى نفسى وقع والله ما يقدر أن يقول أو يشبه به قال فقال * قلم أصاب من الدواة مدادها * قال فما قدرت حسداً له أن أقيم حتى انصرفت

على هذا الرجل فى ليلته هـذه ولا يحجب فى المستأنف فقال الفضل لولا انه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيـه غيره لأمرت لك بمثل ما أمر لك به وقـد أمرت لك به إلا ألف درهم فتلق الخادم صباحاً •• قال الأصمعي فما صليت من غد إلاّ وفى منزلى تسعة وخمسون ألف درهم

مجلس آخر ٥٠

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى (أللّه ولىّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) •• فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضى انه هو الفاعل للايمان فيهم لأن النور ههنا كناية عن الايمـان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي ولا معنى لذلك غير ماذكرناه واذا كان مضيف الاخراج اليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين وهذا خلاف مذهبكم •• الجواب قلنا إن النور والظلمة المذكوران في الآية جائز أن يكون المراد بهما الايمان والكفر وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب فقد تصح الكناية عن الثواب والنعيم فى الجنة بانه نور وعن العقاب فى النار بانه ظلمة فاذا كان المراد بهما الجنـة والنار ساغت اضافة اخراجهم من الظلمات الى النور اليـه تعالى لانه لا شبهة فى انه جل وعز هو المدخل للمؤمن الجنة والعادل به عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه أشبه لانه يقتضى ان المؤمن الذى ثبت كونه مؤمناً يخرج من الظلمة الى النور ولو حمل على الايمان والكفر لتناقض المعنى ولصار تقدير الكلام انه يخرج المؤمن الذى قد تقدم كونه مؤمناً من الكفر الى الايمان وذلك لا يصح واذا كان الكلام يقتضى الاستقبال فى اخراج من ثبت كونه مؤمناً كان حمله على دخول الجنة والعدول به عن طريق النار أشبه بالظاهر على أنا لو حملنا الكلام على الايمان والكفر لصح ولم يكن مقتضياً لما توهموه ويكون وجه اضافة الاخراج اليه تعالى وان لم يكن الايمان من فعله من حيث بيّن ودل وأرشد ولطف وسهّل وقد علمنا انه لولا هذه الأمور لم يخرج المكلف من الكفر الى الايمان فيصح اضافة الاخراج اليـه تعالى لكون ما عددناه من

جهته وعلى هذا يصح من أحدنا اذا أشار على غيره بدخول بلدٍ من البلدان ورغبه في ذلك وعرّفه ما فيه من الصلاح والنفع أو بمجانبة فعل من الأفعال أن يقول أنا أدخلت فلاناً البلد الفلاني وأنا أخرجته من كذا وانتشلته منه ويكون وجه الاضافة ما ذكرناه من الترغيب وتقوية الدواعي ألا ترى انه تعالى قد أضاف اخراجهم من النور الى الظلمات ومن الايمان الي الطاغوت وان لم يدل ذلك على ان الطاغوت هو الفاعل للكفر في الكفار بل وجه الاضافة ما تقدم لان الشياطين يغوون ويدعون الي الكفر ويزينون فعله فتصح اضافته اليهم من هذا الوجه والطاغوت هو الشيطان وحزبه وكل عدو لله تعالى صدّ عن طاعته وأغرى بمعصيته يصح اجراء هذه التسمية عليه فكيف اقتضت الاضافة الأولي ان الايمان من فعل الله تعالي في المؤمن ولم تقتض الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله المخالفين وغفلتهم ‥ وبعد فلو كان الأمر على ما ظنوه لما صار الله تعالي وليا للمؤمنين وناصراً لهم على ما اقتضته الآية والايمان من فعله تعالي لا من فعلهم ولما كان خاذلا للكافرين مضيفاً لولايتهم الي الطاغوت والكفر من فعله تعالى فيهم ولما فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولى لفعل الأمرين فيهما ومثل هذا لا يذهب على أحد ولا يعرض عنه إلاّ معاند مغالط لنفسه ‥ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال قال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري حدثنا أحمد بن حيان قال حدثنا أبو عبد الله بن البطاح قال أخبرنا أبو عبيدة قال قال عبد الملك بن مسلم كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلاّ وقد أصبت منه ولم يبق لى من لذة الدنيا إلاّ مناقلة الاخوان الأحاديث وقبلك عامر الشعبي فابعث به اليّ يحدثني فدعا الحجاج بالشعبي وجهزه وبعث به اليه وأطراه في كتابه فخرج الشعبي حتى اذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استأذن لى قال ومن أنت قال عامر الشعبي قال حيّاك الله ثم نهض وأجلسه على كرسيه فلم يلبث أن خرج الحاجب اليه فقال ادخل قال فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسي وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية على كرسي فسلمت فرد السلام ثم أومأ اليّ بقضيبه فقعدت عن يساره ثم أقبل على الذى بين يديه فقال ويحك من أشعر الناس قال أنا يا أمير المؤمنين

فأظلم عليّ ما بيني وبين عبد الملك ولم أصبر ان قلت ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم انه أشعر الناس فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي ثم قال هذا الأخطل فقلت يا أخطل أشعر منك الذي يقول

هَذَا غُلَامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ ... مُقْتَبَلُ الخَيْرِ سَرِيعُ التَّمامْ
للحارث الأَكْبَرِ والحارثِ الأَصْغَرِ والحارثِ خَيْرِ الأَنامْ
خَمْسَةٌ آباؤُهُمُ ماهُمُ هُمْ ... خَيْرُ مَنْ يَشْرَبُ صَوْبَ الغَمامْ (١)

فقال عبد الملك ردّدها عليّ فرددتها حتى حفظها فقال الأخطل من هذا يا أمير المؤمنين فقال هذا الشعبي قال صدق والله النابغة أشعر مني . . قال الشعبي ثم أقبل عليّ عبد الملك فقال كيف أنت يا شعبي قلت بخير لا زلت به ثم ذهبت لأصنع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد الأشعث فقال مه فانا لا نحتاج الى هذا المنطق ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم أقبل عليّ فقال ما تقول في النابغة قلت يا أمير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء وذلك انه خرج يوماً وببابه وفد غطفان فقال يامعاشر غطفان أي شعرائكم الذي يقول

حَلَفْتُ فلم أَتْرُكْ لنفسكَ رِيبَةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعطاكَ سَوْرَةً ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ
لأَنَّكَ شَمْسٌ والمُلُوكُ كَوَاكِبُ ... إِذَا طَلَعَتْ لم يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ
لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيانَةً ... لَمُبْلِغُكَ الوَاشِي أَغَشُّ وأَكْذَبُ
وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لا تَلُمُّهُ ... على شَعَثٍ أَيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ

---

(١) وروى ان الشعبي لما أنشد هذه الأبيات قال الأخطل ان أمير المؤمنين انما سألني عن أشعر أهل زمانه ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حرياً أن أقول كما قلت

قالوا النابغة قال فأيكم الذي يقول

فإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

خطاطيف حجن في حبال متينة ... تمد بها أيد اليك نوازع

قالوا النابغة قال أيكم الذي يقول

إلى ابن محرق أعملت رحلي ... وراحلتي وقد هدت العيون

أتيتك عاريا خلق ثيابي ... على خوف تظن بي الظنون

فألفيت الأمانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخون

قالوا النابغة قال هذا أشعر شعرائكم .. ثم أقبل عبد الملك على الأخطل فقال أتحب ان لك قياضاً بشعرك شعر أحد من العرب أو تحب إنك قلته فقال لا والله إلاّ أني وددت أني كنت قلت أبياتاً قالها رجل منّا كان والله مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع قال وما قال فأنشده

إنّا محيّوك فاسلم أيها الطلل ... وإن بليت وإن طالت بك الطيل

ليس الجديد به تبقى بشاشته ... إلاّ قليلا ولا ذو خلة يصل

والعيش لا عيش إلاّ ماتقر به ... عين ولا حال إلاّ سوف ينتقل

إن ترجعي عن أبي عثمان منجحة ... فقد يهون على المستنجح العمل [1]

---

(١) أبو عثمان هو عبد الواحد بن الحارث بن الحكم بن أبي العاصي بن عبد شمس بن عبد مناف ..وقال مصعب الزبيري هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وكان عبد الواحد والياً في المدينة لمروان بن محمد هكذا في خزانة الأدب وهذا الأخير لا يخفى انه غلط لأن القصة وقعت مع عبد الملك بن مروان بنفسه فكيف يكون عبد الواحد والياً لابن ابنه ومروان بن محمد أيضاً هو آخر ملوك بني أمية ومن القصيدة

أهل المدينة لا يحزنك شأنهم ... اذا تخطأ عبد الواحد الأجل

والنَّاسُ من يلقَ خيرًا قائلون لهُ ... ما يشتهي وَلأُمّ المُخطِئِ الهَبَلُ
قد يُدرِكُ المُتأنّي بعضَ حاجتِهِ ... وَقد يكونُ معَ المُستَعجِلِ الزَّلَلُ

قال الشعبي فقلت قد قال القطامي أفضل من هذا قال وما قال قلت قال

طرقَتْ جَنُوبُ رِحالَنا من مَطرِقِ ... ما كُنتُ أحسِبُهُ قريبَ المعنَقِ (١)

أما قريش فلن تلقاهم أبداً ... إلاّ وهم خير من يحفى وينتعل
ألا وهم جبل الله الذي قصرت ... عنه الجبال فما سوّى به جبل
قوم هم ثبتوا الاسلام وامتنعوا ... رهط الرسول الذي ما بعده رسل
من صالحوه رأى في عيشه سعة ... ولا يرى من أرادوا ضره يئل
كم نالني منهم فضلا على عدم ... إذ لا أكاد من الإقتار أحتمل
وكم من الدهر ما قد ثبتوا قدمي ... إذ لا يزال مع الأعداء ينتضل
فما هم صالحوا من يتقي عنتي ... ولا هم كدروا الخير الذي فعلوا
هم الملوك وأبناء الملوك لهم ... والآخذون به والساسة الاول

(١) وبعده

قطعت اليك بمثل جيد جداية ... حسن معلق تومتيه مطوق
ومصرعين من الكلال كأنما ... سمروا الغبوق من الرحيق المقبق
متوسدين ذراع كل نجيبة ... ومفرّج عرق المقسد متوّق
وجثت على ركب تهديها الصفا ... وعلى كلاكل كالنقيل المطرق
واذا سمعن الى هماهم رفقة ... ومن النجوم غوائر لم تلحق
جعلت تميل خدودها آذانها ... طرباً بهن الى حداء السوق
كالمنصتات الى الغناء سمعنه ... من رائع القلوبهن مشوق
واذا نظرن الى الطريق رأينه ... كهفاً كشاكلة الحصان الأبلق
واذا تخلف بعدهن لحاجة ... حاد يشمشع نعله لم يلحق
واذا يصيبك والحوادث جمة ... حدث حداك الى أخيك الأوثق
ليت الهموم عن الفؤاد تفرقت ... وخلى التكلم للسان المطلق

حتى أتيت الى آخرها فقال عبد الملك بن مروان ثكلت القطامي أمه هذا والله الشعر قال فالتفت الي الاخطل فقال يا شعبي ان لك فنوناً في الأحاديث وان لنا فنًّا واحداً فان رأيت أن لا تحملني على أكتاف قومك فادعهم حرضاً قلت لا أعرض لك في شئ من الشعر أبداً فأقلني هذه المرة فقال من يكفل بك قلت أمير المؤمنين فقال عبدالملك هو علي أن لا يعرض لك أبداً . ثم قال ياشعبي أي شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء قلت خنساء قال ولم فضلتها على غيرها قلت لقولها

وقائلةٍ والنَّعشُ قدفاتَ خَطوَها ... لِتُدرِكَهُ يا لَهفَ نفسي على صخرِ

ألا ثَكِلَت أمُّ الَّذينَ غدَوا بهِ ... إلى القبرِ ماذا يَحمِلونَ إلى القبرِ

فقال عبد الملك أشعر منها والله ليلى الأخيلية حيث تقول

مُهَفهَفُ الكَشحِ والسِّربالِ مُنخَرِقٌ ... عنهُ القَميصُ لِسَيرِ اللَّيلِ مُحتَقِرُ

لا يأمَنُ النَّاسُ مُمساهُ ومُصبَحَهُ ... في كُلِّ حَيٍّ وإن لم يَغزُ يُنتَظَرُ

ثم قال ياشعبي لعله شق عليك ما سمعته فقلت أي والله يا أمير المؤمنين أشد المشقة إني لمحدثك منذ شهرين لم أفدك الا أبيات النابغة في الغلام ثم قال يا شعبي انما أعلمناك هذا لانه بلغني ان أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ويقولون ان كانوا غلبونا على الدولة فلن يغلبونا على العلم والرواية وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق ثم ردد عليّ أبيات ليلى حتي حفظتها وأذن لي فانصرفت فكنت أول داخل وآخر خارج . [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه والصحيح في الرواية ان البيتين اللذين رواهما عبدالملك ونسبهما الى ليلى الأخيلية لأعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي وهذه القصيدة من المراثي المفضلة المشهورة بالبلاغة والبراعة وهي

إني أتتني لِسانٌ لا أُسَرُّ بها ... من عَلوَ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ (١)

---

(١) رواية ثعلب

إني أتيت بشئ لا أسر به ... من علَ لا عجب فيه ولا سخر

فَظَلْتُ مُكْتَئِبًا حَرَّانَ أَنْدُبُهُ وَكُنْتُ أَحْذَرُهُ لَوْ يَنْفَعُ الحَذَرُ

فَجَاشَتِ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمُ وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ تَثْلِيثَ مُعْتَمِرُ(١)

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى التَقَيْنَا وَكَانَتْ بَيْنَنَا مُضَرُ(٢)

إِنَّ الَّذِي جِئْتَ مِنْ تَثْلِيثَ تَنْدُبُهُ مِنْهُ السَّمَاحُ وَمِنْهُ النَّهْيُ وَالغِيَرُ(٣)

وروى أبو زيد فى نوادره

إني أتانيَ شيءٌ لا أُسر به من عل لا عجب فيه ولا سخر

وروى المبرد في الكامل

إني أتتني لسان لا أسر بها من عل لا عجبٌ منها ولا سخر

ــ اللسان ــ هنا بمعنى الرسالة وأراد بها نعي المنتشر ولهذا أنث الفعل فانه اذا أريد به الكلمة أو الرسالة يؤنث ويجمع على ألسن واذا كان بمعنى جارحة الكلام فهو مذكر ويجمع على ألسنة أى أتاني خبر من أعلى نجد وقيل أراد العالية وقيل من أعالي البلاد ويقال من علو بتثليث الواو ومن عل بكسر اللام وضمها ومن علا ومن أعلى ومن معال ●● وقوله ــ لا عجب ــ الخ أي لا عجب منها وان كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة ولا سخر بالموت وقيل معناه لا أقول ذلك سخرية وهو بفتحتين وبضمتين مصدر سخر منه

(١) قوله ــ فجاشت النفس ــ الخ أي غثت ويقال دارت للغثيان فان أردت انها ارتفعت من حزن أو فزع قلت جشأت بالهمز وروى بدل جمعهم فلّهم أي الذين شهدوا مقتله فلّهم بفتح الفاء وتشديد اللام يقال جاء فل القوم أي منهزموهم يستوى فيه الواحد والجمع وربما قالوا فلول وفلال ــ وتثليث ــ بكسر اللام وياء ساكنة وثاء أخرى مثلثة موضع بالحجاز قرب مكة ــ ومعتمر ــ صفة راكب بمعنى زائر ويقال من عمرة الحج

(٢) قوله ــ يأتي على الناس ــ الخ فاعل يأتي ضمير الراكب ــ ويلوي ــ مضارع لوى بمعنى توقف وعرج أى يمر هذا الراكب على الناس ولم يعرج على أحد حتى أتاني لاني كنت صديقه ●● ويروي دوننا بمعنى قدام بدل بيننا

(٣) قوله ــ ان الذي جئت ــ الخ أي فقلت لهذا الراكب ان الذي جئت الخ

تَنْعَى امْرَأً لا تَغِبُّ الحَيَّ جَفْنَتُهُ ... إِذَا الكَوَاكِبُ أَخْطَى نَوْءَهَا المَطَرُ[1]
وَرَاحَتِ الشَّوْلُ مُغْبَرّاً مَنَاكِبُهَا ... شُعْثاً تَغَيَّرَ مِنْهَا النِّيُّ وَالوَبَرُ[2]
وَأَلْجَأَ الكَلْبَ مَرْفُوعُ الصَّقِيعِ بِهِ ... وَأَلْجَأَ الحَيَّ مِنْ تَنْفَاحِهِ الحُجَرُ[3]

ـ والندب ـ مصدر ندب الميت من باب نصر بكى عليه وعدد محاسنه •• وجملة منه السماح خبر ـ والنهي ـ خلاف الأمر ـ والغير ـ بكسر المعجمة وفتح المثناة التحتية اسم من غير الشيء فتغير أقامه مقام الغير

(١) قوله ـ تنعى امرأ ـ الخ رواية أبي العباس ينعى بالياء المثناة والنعي خبر الموت يقال نعاه ينعاه •• قال الأصمعي كانت العرب اذا مات ميت له قدر ركب راكب فرساً وجعل يسير في الناس ويقول نعاء فلاناً أي أنعه وأظهر خبر وفاته وهي مبنية على الكسر ـ ولا تغب ـ هو من قولهم فلان لا يغبنا عطاؤه أي لا يأتينا يوم دون يوم بل يأتينا كل يوم ـ والجفنة ـ القصعة ـ وأخطاه ـ كتخطاه تجاوزه ـ والنوء ـ سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل يوم الى ثلاثة عشر يوماً وهكذا كل نجم الى انقضاء السنة وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها •• يريد ان جفانه لا تنقطع في القحط والشدة

(٢) قوله ـ وراحت ـ هو معطوف على مدخول اذا ـ والشول ـ كما في القاموس الشائلة من الابل وهي ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها والجمع شول على غير قياس •• وفي النهاية الشول مصدر شال ابن الناقة أي ارتفع وتسمي الناقة الشول أي ذات شول لانه لم يبق في ضرعها إلاّ شول من لبن أي بقية ويكون ذلك بعد سبعة أشهر من حملها •• وروي ـ مباءتها ـ أي مراحها بدل مناكبها ـ ومغبر ـ يعني من الرياح والعجاج ـ والني ـ بفتح النون الشحم ومصدر نوت الناقة تنوي نواية ونيا اذا سمنت يريد ان الجدب وقلة المرعى خشن لحمها وغيره

(٣) قوله ـ وألجأ ـ معطوف أيضاً على مدخول اذا وألجأ اضطر ويروي أحجر يقال أجحرته أي ألجأته الى ان دخل جحره ـ والصقيع ـ الجليد ـ وتنفاحه ـ ضربه

عليهِ أوّلُ زَادِ القومِ قد علِمُوا ... ثمّ المطيُّ إذاما أرملُوا جُزُرُ(١)

قَدْ تَكظِمُ البُزْلُ منهُ حينَ تُبْصِرُهُ ... حتّي تقَطَّعَ في أعناقِها الجِرَرُ(٢)

أخُورَ غائبَ يُعْطيها ويُسألُها ... يأبي الظُّلامَةَ منهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ(٣)

لم ترَهُ أرضاً ولم تَسْمَعْ بِساكِنِها ... إلاّ بِها من نَوَادِي وَقْعِهِ أثَرُ(٤)

وهو مصدر نفحت الريح اذا هبت باردة والضمير للصقيع والباء في به بمعنى على والضمير للكاب ـ والحجر ـ بضم الحاء وفتح الجيم جمع حجرة بالضم الغرفة وحظيرة الابل من شجر .. يقول هو في مثل هذه الأيام الشديدة يطعم للناس الطعام

(١) قوله ـ عليه أول ـ الخ يعني انه يرتب على نفسه زاد أصحابه أولا واذا نفد الزاد نحر لهم ـ وأرمل ـ الرجل نفد زاده ـ والمطي ـ جمع مطية وهي الناقة ـ والجزر ـ بضمتين جمع جزور وهي الناقة التي تنحر وروى بفتحتين جمع جزرة وهي الناقة والشاة تذبح

(٢) يروي * وتفزع الشول منه حين يفجأها * ـ والكظم ـ من كظم البعير بالفتح يكظم بالكسر كظوماً اذا أمسك عن الجرة وقيل الكظم أن لا تجتر لشدة الفزع اذا رأت السيف ـ والبزل ـ جمع بازل وهو الداخل في السنة التاسعة ـ والجرر ـ جمع جرة بكسر الجيم فيهما وهي ما يخرجه البعير للاجترار .. يقول تعودت الابل انه يعقر منها فاذا رأته كظمت على جرتها ـ وتقطع ـ فعل مضارع منصوب بان

(٣) ـ الرغائب ـ الأشياء التي يرغب فيها يريد يعطي ما يرغب الرجال في ادخاره ويحرصون على التمسك به لنفاسته ـ وأخو ـ خبر مبتدإ محذوف أي هو أخو رغائب وجملة يعطيها ويسألها مفسرة لوجه الملابسة في قوله أخو رغائب ـ ويسألها ـ بالبناء للمجهول من السؤال ويروى موضعه ويسلبها بالبناء للمعلوم من السلب ـ والظلامة ـ بالضم ومثله الظليمة والمظلمة بكسر اللام وضمها وهو ما تطلبه عند الظالم وهو اسم ما أخذ منك ـ والنوفل ـ البحر والكثير العطاء .. وقال ثعلب النوفل العزيز الذي ينفل عنه الضيم أى يدفعه ـ والزفر ـ الكثير الناصر والأهل والعدة

(٤) ـ نوادي ـ كل شيء بالنون أوائله وما ندر منه واحده نادية ومنه قولهم لا ينداك

وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ ... وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَاسَرْتَهُ عُسُرُ

فَإِنْ يُصِبْكَ عَدُوٌّ فِي مُنَاوَءَةٍ ... يَوْماً فَقَدْ كُنْتَ تَسْتَعْلِي وَتَنْتَصِرُ(١)

مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مَنٌّ يُكَدِّرُهُ ... عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدَرُ(٢)

أَخُو شُرُوبٍ وَمِكْسَابٌ إِذَا عَدِمُوا ... وَفِي الْمَخَافَةِ مِنْهُ الْجِدُّ وَالْحَذَرُ(٣)

مِرْدَى حُرُوبٍ وَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... كَمَا أَضَاءَ سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ(٤)

مُهَفْهَفٌ أَهْضَمُ الْكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ ... عَنْهُ الْقَمِيصُ لِسَيْرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ(٥)

من سوء أبداً أي لا يندر اليك ـ والوقع ـ النزول

(١) ويروى ـ فقد كان يستعلي وينتصر ـ والمناوأة ـ المعاداة يقال ناوأت الرجل مناوأة وقيل هي المحاربة ناوأته أي حاربته • • قال الشاعر

اذا أنت ناوأت القرون فلم تنوء ... بقرنين عزتك القرون الكوامل

(٢) قوله ـ من ليس في خيره من ـ الخ رواية المبرد من ليس في خيره شر يكدره ـ كدّره ـ جعله كدراً يقال تكدر الماء نقيض صفا وكدره غيره جعله كدراً

(٣) ـ الشروب ـ جمع شرب وهو جمع شارب كصحب جمع صاحب • • ويروى أخو حروب ـ والمكساب ـ مبالغة كاسب ـ والعدم ـ الفقر وفعله من باب فرح

(٤) ـ المردى ـ بكسر الميم حجر يرمى به ومنه قيل للشجاع انه لمردى حروب ومعناه انه يقذف في الحروب ويرجم فيها ويروي * كما أضاء سواد الطخية القمر * الطخية بضم المهملة وسكون المعجمة الظلمة والطخياء بالمد الليلة المظلمة يريد انه كامل شجاعة وعقلا فشجاعته كونه يرمى في الحروب وعقله كون رأيه نوراً يستضاء به وهما وصفان متضادان غالباً

(٥) ـ المهفهف ـ الخميص البطن الدقيق الخصر ـ والأهضم ـ المنضم الجنبين ـ والكشح ـ ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهذا مدح عند العرب فانها تمدح الهزال والضمر وتذم السمن • • وفي العباب ورجل منخرق السربال اذا طال سفره

طاوي المصيرِ على العزّاء منجردٌ بالقوم ليلةَ لا ماءٌ ولا شجرُ[١]

لا يصعبُ الأمرَ إلا ريثَ يركبُهُ وكلَّ أمرٍ سوى الفحشاء يأتمرُ

معنى ـ لا يصعب الأمر ـ أي لا يجده صعباً

لا يتأرّي لما في القِدرِ يرقبُهُ ولا يعضُّ على شرسوفه الصفرُ[٢]

فشققت ثيابه ـ ولسير الليل ـ متعلق بما بعده وهذا يدل على الجلادة وتحمل الشدائد

(١) ـ الطوى ـ الجوع وفعله من باب فرح وطوى بالفتح يطوى بالكسر طياً اذا تعمد الجوع ـ والمصير ـ المعا الرقيق وجمعه مصران كرغيف ورغفان وجمع هذا مصارين أراد طاوي البطن ـ والعزاء ـ بفتح العين المهملة وتشديد الزاي المعجمة الشدة والجهد وقال في الصحاح هي السنة الشديدة ـ والمتجرد ـ المتشمر .. وقوله ـ ليلة لا ماء ولا شجر ـ أي يرعى وزاد عبد القادر البغدادي هنا بيتاً وهو

لايهتك الستر عن أنثى يطالعها ولا يُشدُّ الى جاراته النظر

ومعناه انه لا ينظر الى جارته ولا يشد اليهن النظر من غيره احتراماً له والله أعلم

(٢) ـ لا يتأرى ـ لا يتحبس ويتلبث يقال تأري بالمكان اذا أقام فيه أى لا يتلبث لادراك طعام القدر وجملة ـ يرقبه ـ حال من المستتر في يتأري .. يمدحه بأن همته ليست في المطعم والمشرب وانما همته في طلب المعالى فليس يرقب نضج مافى القدر اذا هم بأمر له شرف بل يتركها ويمضى ـ والشرسوف ـ طرف الضلع ـ والصفر ـ دويبة مثل الحية تكون في البطن تعترى من به شدة الجوع .. قال في النهاية في حديث لا عدوى ولا هامة ولا صفر لان العرب كانت تزعم ان في البطن حية يقال لها الصفر تصيب الانسان اذا جاع وتؤذيه فابطل الاسلام ذلك وقيل أراد به النبي صلى الله عليه وسلم النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية وهو تأخير المحرم الى صفر ويجعلون صفراً هو الشهر الحرام انتهى ولم يرد الشاعر ان في جوفه صفراً لا يعض على شراسيفه وانما أراد انه لا صفر في جوفه فيعضه يصفه بشدة الخلق وصحة البنية

لاَ يَغمِزُ السَّاقَ منْ أينٍ ولاَ وَصَبٍ ... ولاَ يَزَالُ أَمامَ القَوْمِ يَقْتَفِرُ(١)

لاَ يَأْمَنُ النَّاسُ مُمساهُ وَمُصبَحَهُ ... في كُلِّ فجٍّ وانْ لم يَغْزُ يُنتَظَرُ(٢)

تَكْفيهِ حُزَّةُ فِلْذَانٍ أَلَمَّ بِها ... منَ الشِّوَاءِ ويُرْوِي شَرْبَهُ الغُمَرُ(٣)

لاَ تأْمَنُ البَازِلُ الكَوماءُ عَدْوَتَهُ ... وَلاَ الأَمُونُ اذَاما اخْرَوَّطَ السَّفَرُ(٤)

كأَنَّهُ بعدَ صِدقِ القَوْمِ أَنفُسَهُمْ ... باليأْسِ تَلمَعُ منْ قُدَّامِهِ البُشُرُ(٥)

---

(١) ـ لا يغمز الساق ـ لا يجيبها يصف جلده وتحمله للمشاق ـ والأين ـ الاعياء ـ والوصب ـ الوجع ـ والاقتفار ـ بتقديم القاف على الفاء اتباع الآثار . . في الصحاح وقفرت أثره أقفره بالضم أي قفوته واقتفرت مثله وأنشد هذا البيت ورواه أبو العباس في شرح نوادر أبي زيد يقتفر بالبناء للمجهول ومعناه انه يفوت الناس فيتبع ولا يلحق

(٢) قوله ـ لا يأمن الناس ـ أي لا يأمنه الناس على كل حال سواء كان غازياً أم لا فان كان غازياً يخافون أن يغير عليهم وان لم يكن غازياً فانهم في قلق أيضاً لانهم يترقبون غزوه وينتظرونه

(٣) ـ الحزة ـ بضم الحاء المهملة وتشديد الزاي المعجمة قطعة من اللحم قطعت طولا ـ والفلذان ـ جمع فلذة بكسر الفاء فيهما ـ وألم بها ـ أصابها يعني أكلها ـ والغمر ـ بضم الغين المعجمة وفتح الميم قدح صغير لا يروى

(٤) ـ البازل ـ البعير الذي فطر نابه بدخوله في السنة التاسعة ويقال للناقة بازل أيضاً يستوي فيه الذكر والأنثى ـ والكوماء ـ بالفتح الناقة العظيمة السنام ـ والعدوة ـ التعدي فانه ينحرها لمن معه سواء كانت المطية مسنة كالبازل أو شابة كالأمون وهي الناقة الموثقة الخلق يؤمن عثارها وضعفها ـ واخروط ـ امتد وطال ورواية المبرد

لا تنكر البازل الكوماء ضربته ... بالمشرفي اذا ما اجلوذ السفر

ومعنى اجلوذ امتد

(٥) ـ لمع ـ أضاء ـ والبشر ـ بضمتين جمع بشير يقول اذا فزع القوم وأيقنوا بالهلاك

قال المبرد لا نعلم بيتاً في يمن النقيبة وبركة الطلعة أبرع من هذا البيت

لاَيُعْجِلُ القومَ أنْ تغلي مراجلُهمْ وَيَدْلِجُ اللَّيلَ حتَّى يَفْسحَ البَصر[١]

عشنا بهِ حِقبةً حياً ففارقنا كذلكَ الرُّمْحُ ذُوالنَّصلَيْنِ يَنكَسِر[٢]

أَصبتَ في حَرَمٍ منَّا أَخا ثِقةٍ هِندَ ابنَ أسماءَ لايَهْني لكَ الظَّفَر[٣]

عند الحروب أو الشدائد فكأنه من ثقته بنفسه قدامه بشير يبشره بالظفر والنجاح فهو منطلق الوجه نشيط غير كسلان

(١) يريد انه رابط الجأش عند الفزع لا يستخفه الفزع فيعجل أصحابه عن الاطباخ ٠٠ وقوله — حتى يفسح البصر — أى يجد متسعاً من الصبح وقيل معناه ليس هو شرها يتعجل بما يؤكل — والمراجل — القدور جمع مرجل

(٢) وروى « عشنا بذلك دهراً ثم ودعنا » و — النصلان — هما السنان وهي الحديدة العليا من الرمح والزج وهي الحديدة السفلى ويقال لهما الزجان أيضاً وهذا مثل أى كل شئ يهلك ويذهب

(٣) خاطب المنتشر هند بن أسماء وأراد بالحرم ذا الخلصة ثم دعا عليه والتهنئة خلاف التعزية وكانت قصة هند بن أسماء ان المنتشر بن وهب الباهلي خرج يريد حج ذي الخلصة ومعه غلمة من قومه والأقيصر بن جابر أخو بني فراص وكان بنو نفيل ابن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذا الخلصة أهدى له هديا يحرم به عن لقيه فلم يكن مع المنتشر هدي فسار حتى اذا كان بهضب التباع انكسر لبعض غلمته الذين كانوا معه فصعدوا فى شعب من التباع فقالوا فى غار فيه وكان الأقيصر يتكهن وأنذر بنو نفيل بالمنتشر بني الحارث بن كعب فقال الأقيصر النجاء يامنتشر فقد أتيت فقال لا أبرح حتى أبرد فضى الأقيصر فأقام المنتشر وأتاه غلمته بسلاحه وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر هند بن أسماء المتقدم فسأله أن يفدي نفسه فأبطأ عليه فقطع أنملة ثم أبطأ فقطع منه أخرى وقد أمنه القوم ووضع سلاحه فقال أتؤمنون مقطعاً وإلهي لا آمنه ثم قتله

لوْ لم تَخُنْهُ نُفَيْلٌ وَهْيَ خائنةٌ لَصبَّحَ القومَ وِرْدٌ مالهُ صَدَرُ [١]

وَأَقبلَ الخيلَ منْ تثليثَ مُصغيةً وَضَمَّ أَعيُنَها رَغْوانُ أَوْ حَضَرُ [٢]

إِمّا سَلَكْتَ سَبيلاً كُنتَ سالِكَها فاذهَبْ فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ مُنْتَشِرُ

[قال الشريف] رضى الله عنه ‥ وقد رويت هذه القصيدة للدَّعجاء أخت المنتشر وقيل لليلى أخته ولعل الشبهة الواقعة فى نسبهما الى ليلى الأخيلية من ههنا والصحيح ماذكرناه ‥ أخبرنا أبو القاسم علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال وفد الأخطل على معاوية فقال إنى قد امتدحتك بأبيات فاسمعها فقال ان كنت شبهتني بالحيّة أو الأسد أو الصقر فلا حاجة لى فيها وان كنت قلت فيّ كما قالت الخنساء

وما بلغتْ كفُّ امرِءٍ مُتطاوِلٍ بِهِ المجدُ إلاّ حيثُما نِلتَ أطوَلُ

وَما بلغَ المُهْدُونَ في القوْلِ مِدْحةً وإنْ صدَقوا إلاّ الّذِي فيكَ أفضَلُ

فهات فقال الأخطل والله لقد أحسنت وقد قلت فيك بيتين ما هما بدون ما سمعته فأنشد

اذا مُتَّ ماتَ العُرْفُ وانقطعَ الغِنى فلم يَبْقَ إلاّ منْ قليلٍ مُصَرَّدِ

وقيل علمته أشهي وزاد عبد القادر البغدادى بين البيتين بيتاً وهو

فان جزعنا فقد هدَّت مُصابتنا وإن صبرنا فإنّا معشرٌ صُبرُ

ـ المصابة ـ بضم الميم بمعنى المصيبة يقال جبر الله مصابه وهو فاعل والمفعول محذوف أي قوانا والصبر بضمتين جمع صبور مبالغة صابر وروي مصيبتنا

(١) ـ صبحه ـ سقاه الصبوح وهو الشرب بالغداة أراد انه كان يقتلهم

(٢) ـ أقبل الخيل ـ جعلها مقبلة ومقبلة مائلة نحوكم ـ ورغوان وحضر ـ موضعان أى كانت تأتي خيله عليكم في هذين الموضعين وما كانت تنام فى منزل إلاّ فيهما

وَرُدَّتْ أَكُفُّ الرَّاغِبِينَ وَأَمْسَكُوا
عَنِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِخِلْفٍ مُجَدَّدِ

فأحسن صلته .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا ابراهيم بن محمد النحوي قال أخبرنا أحمد بن يحيي النحوي ان ابن الاعرابي أنشدهم

مَرَرْنَا عَلَيْهِ وَهْوَ يَكْعَمُ كَلْبَهُ ... دَعِ الكَلْبَ يَنْبَحْ إِنَّمَا الكَلْبُ نَابِحُ

قال قوله ـ يكعم كلبه ـ أي يشد فاه خوفاً أن ينبح فيدل عليه .. وقال آخر

وَتَكْعَمُ كَلْبَ الحَيِّ مِنْ خَشْيَةِ القِرَي ... وَنَارُكَ كَالعَذْرَاءِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ

وقد قال الأخطل

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الأَضْيَافُ كَلْبَهُمْ ... قَالُوا لِأُمِّهِمْ بُولِي عَلَى النَّارِ

قال أبو عبد الله وسمعت محمد بن يزيد الأزدي يقول هذا من أهجى ما هجى به جرير لأنه جعل نارهم تطفيها البولة وجعلهم يأمرون أمهم بالبول استخفافاً بها

مجلس آخر ٥١

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) الآية .. فقال أو ليس ظاهر الآية يقتضى انه تعالى يجوز أن يزيغ القلوب عن الايمان حتى تصح مسألته تعالى أن لا يزيغها ويكون هذا الدعاء مفيداً .. الجواب قلنا في هذه الآية وجوه .. أولها أن يكون المراد بالآية ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشق علينا فيه فيفضى بنا ذلك الى زيغ القلوب منا بعد الهداية وليس يمتنع أن يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى عليهم المحنة اليه كما قال عز وجل في السورة (إنها زادتهم رجساً الى رجسهم) وكما قال مخبراً عن نوح عليه السلام (فلم يزدهم دعائي إلاّ فراراً) .. فان قيل كيف يشدد المحنة عليهم.. قلنا بأن يقوى

شهواتهم لما قبحه في عقولهم ونفورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقاً والثواب المستحق عليه عظيماً متضاعفاً وانما يحسن أن يجعله شاقاً تعريضاً لهـذه المنزلة ‥ وثانيها أن يكون ذلك دعاء بالتثبيت لهم على الهـداية وامدادهم بالألطاف التي معها يستمرون على الايمان فان قيل وكيف يكون مزيغاً لقلوبهم بان لا يفعل اللطف ‥ قلنا من حيث المعلوم انه متي قطع امدادهم بألطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الايمان ويجرى هذا مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخلّ بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا ومثله قول الفرزدق

أَتَانِي وَرَحْلِي بالمَدِينَةِ وَقْعَةٌ ... لِآلِ تَمِيمٍ اقْعَدَتْ كُلَّ قَائِمِ

أراد قعد لهـا كل قائم فكأنهم قالوا لا تخلّ بيننا وبين نفوسـنا وتمنعنا ألطافك فنزيغ ونضل ‥ وثالثها ما أجاب به أبو علىّ الجبائى محمد بن علىّ لانه قال المراد بالآية ربنا لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعني هذا السؤال انهم سألوا الله تعالى أن يلطف لهم فى فعل الايمان حتي يقيموا عليه ولا يتركوه في مسـتقبل عمرهم فيستحقوا بترك الايمان أن يزيغ قلوبهم عن الثواب وان يفعل تعالى بهم بدلا منه العقاب ‥ قال فان قال قائل فما هـذا الثواب الذى هو فى قلوب المؤمنين حتي زعمتم انهـم سألوا الله أن لا يزيغ قلوبهم عنه وأجاب بان من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى من الشرح والسعة بقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وقوله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام (ألم نشرح لك صـدرك ووضعنا عنك وزرك) وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحزن اللذان يفعلان بالكفار عقوبة قال ومن ذلك أيضاً التطهير الذي يفعله فى قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) قال ومن ذلك كتابته فى قلوب المؤمنين كما قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان) وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر التى فى قلوب الكافرين فكأنهم سألوا الله تعالى أن لا يزيغ قلوبهم عن هـذا الثواب الى ضده من العقاب ‥ ورابعها أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب

عن اليقين والايمان ولا يقتضي ذلك انه تعالى سـئل ما كان لايجب أن يفعله وما لولا المسألة لجاز فعله لانه غير ممتنع أن يدعوه على سبيل الانقطاع اليه والافتقار الى ماعنده بان يفعل تعالى ما نعلم انه لا بد من أن يفعله وبأن لا يفعل ما نعلم انه واجب أن لا يفعله تعالى اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكياً عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام (ولا تخزني يوم يبعثون) وكما قال في تعليمنا ما ندعوه به (قل ربّ احكم بالحق) وكقوله تعالى (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) على أحـد الأجوبة وكل ماذكرناه واضح بحمد الله ٠٠ [قال الشريف] رضي الله عنه وإني لأستحسن قول الراعي في وصف الاثافي والرماد فانه طبق وصفه المفصل مع جزالة الكلام وقوته واستوائه واطراده

وَأَوْرَقَ من عهدِ ابنِ عفّانَ حولهُ   حواضنُ الأَفْ على غيرِ مشربِ
ورَادُ الأَعالي أَقبلَتْ بنُحُورِها   على رَاشحٍ ذِي شامةٍ متقوّبِ
كأَنَّ بقايا لونهِ في متُونِها   بقايا هناء في قلائصِ مُجْربِ

ـ الأورق ـ الرماد جعل الاثافي له كالحواضن لاحتضانها له واستدارتها حوله ٠٠ وأراد ـ بوراد الأعالي ـ ان ألوانها تضرب الى الحمرة وخصّ الأعالي لانها مواضع القدر فلا تكاد تسودّ ـ والراشح ـ هو الراضع وانما شبه الرماد بينهن بفصيل بين أظآر ـ والمتقوب ـ الذي قد انحسر أعلاه وشبه ما سودت النار منهن بأثر قطران على قلائص جربى ـ والمجرب ـ الذي قد جربت إبله ٠٠ ونظيرهذا المعنى بعينه أعني تشبيه تسويد النار بالهناء قول ذي الرمة

عفى الزُّرقُ من أطلالِ ميّةَ فالدَّحلُ   فأَجمادُ حوضي حيثُ زاحمها الحبلُ[1]

---

(١) ـ الزرق ـ رمال بالدهناء وقيل هي قرية بين النباج وسمينة وهي صعبة المسالك ـ والدحل ـ بالفتح ماء نجدي لغطفان ـ والأطلال ـ جمع طلل محركة وهو الشاخص من آثار الدار ـ والاجماد ـ جمع جمد بالتحريك وهو ما ارتفع من الأرض ـ وحوضى ـ

سِوَى أَنْ تَرَى سَوْدَاءَ مِنْ غَيْرِ خِلْقَةٍ تَخَطَّأَهَا وَارْتَثَّ جَارَاتِهَا النَّقْلُ
مِنَ الرَّضَمَاتِ البِيضِ غَيَّرَ لَوْنَهَا نَبَاتُ فِرَاضِ المَرْخِ وَاليَابِسُ الجَزْلُ
كَجَرْبَاءَ دُسَّتْ بِالهِنَاءِ فَأَصْبَحَتْ بِأَرْضٍ خَلَاءٍ أَنْ تُقَارِبَهَا الإِبْلُ

قوله ــ سوداء من غير خلقة ــ يعني أثفية لان السواد ليس بخلقة وانما سوّدتها النار .. وقوله ــ تخطأها النقل ــ أي تجاوزها فلم تحمل من مكان الى مكان بل بقيت منفردة ــ وارتث جاراتها ــ يعني بجاراتها أي نقلن عنها الاثافي اللواتي كنّ معها ــ والمرتث ــ هو المنقول من مكان الى مكان وأصل ذلك في الجريح والعليل يقال ارتث الرجل ارتثاثاً اذا حمل من المعركة وبه رمق .. قال النضر بن شميل معنى ارتث صرع .. وقال أبو زيد مأخوذ من قولهم ارتثينا رثة القوم اذا جمعوا ردي متاعهم بعد أن يحملوا من موضعهم وكلا المعنيين يليق ببيت ذي الرمة لانه يجوز أن يريد صرعن وبقيت ثانية قائمة ــ والرضمات ــ حجارة بيض بعضها على بعض ــ والفراض ــ جمع فرض وهو الحزّ يكون في الزند .. وعنى بنبات فراض المرخ شرر النار الخارجة من ذلك الفرض ــ والمرخ ــ شجر تتخذ منه الزندة .. ومن أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وهذا المثل يضرب للرجل الكريم الذي يفضل على القوم ويزيد عليهم فكأن المعنى كل القوم كرام وأكرمهم فلان [1] ومعنى ــ كجرباء دست بالهناء ــ انه

بالفتح ثم السكون مقصور بوزن سكرى اسم ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة الى جنب جبل في ناحية الرمل ــ وزاحمها ــ ضايقها ــ والحبل ــ الرمل المستطيل

(١) وقال الميداني في تفسيره له يقال مجدت الابل تمجد مجوداً اذا نالت من الخلي قريباً من الشبع واستمجد المرخ والعفار أي استكثرا وأخذا من النار ما هو حسبهما شبها بمن يكثر العطاء طلباً للمجد لانهما يسرعان الوري يضرب في تفضيل بعض الشئ على بعض .. قال أبو زياد ليس في الشجر كله أوري زناداً من المرخ قال وربما كان المرخ مجتمعاً ملتفاً وهبت الريح فحك بعضه بعضاً فأورى فاحترق الوادي كله ولم نر

شبه الاثفية المفردة بناقة جرباء قد أفردت وأبعدت عن الابل حتى لا تجربها ولا تعديها ومعنى دست بالهناء أي طليت به ٠٠ وفي معنى قول الراعي وراد الأعالي شبه من قول الشماخ بن ضرار

أَقامَتْ على رَبْعَيْهِما جارَتا صَفا كُمَيْتا الأَعالي جَوْنَتا مُصْطَلاهُما [1]

ذلك في سائر الشجر ٠٠ قال الأعشى

زنادك خير زناد الملوك خالط فيهن مرخ عفارا

ولو بت تقدح في ظلمة حصاة بنبع لاوريت نارا

والزند الأعلى يكون من العفار والأسفل من المرخ ٠٠ قال الكميت

اذا المرخ لم يور تحت العفار وضن بقدر فلم تعقب

(١) وقبله

أمن دمنتين عرج الركب فيهما بحقل الرخامي قد أنى لبلاهما

أقامت على ربعيهما جارتا صفا كميتا الأعالي جونتا مصطلاهما

وإرث رماد كالحمامة ماثل ونؤيان من مظلومتين كداهما

أقاما لليلى والرباب وزالتا بذات السلام قد عفا طللاهما

فقاضت دموعي في الرداء كأنها عزالي شعيب مخلف وكلاهما

ليالي ليلى لم يشب عذب مائها بملح وحبلانا متين قواهما

ولو دين للبيض الهجان وحالك من اللون غربيب بهيم علاهما

اذا اجتهدا التزويع مدا عجاجة أعاصير مما يستثير خطاهما

وسربين كنو بين قدرعت غدوة على الماء معروف الي لفاهما

اذا غادرا منه قطاتين ظلتا أديم النهار لطلباث قطاهما

وإني عداني عنكم غير ماقت نواران مكتوب علي بغاهما

وعلس كألواح الإران نسأتها اذا قيل للمشبوبتين هما هما

تعالى برجليها اليك ابن مربع فيالم لم المفتلي مفتلاهما

يعني ـ بربعيهما ـ منزلي المرأتين اللتين ذكرهما ويعني ـ بجارتا صفا ـ الاثفيتين لانهما مقطوعتان من الصفا الذي هو الصخر •• ويمكن في قوله جارتا وجه آخر هو احسن من هذا وهو ان الاثفيتين توضعان قريباً من الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما وممسكة للقدر معهما ولهذا تقول العرب رماه بثالثة الاثافي أي بالصخرة أو الجبل وشبه أعلاهما بلون الكميت وهو لون الحجر نفسه لأن النار لم تصل اليه فتسوده ـ ومصطلاهما جون ـ أي اسود لان النار قد سفعته وسودته •• وقال الراعي في وصف الاثافي أيضاً

أَذَاعَ بِأَعْلاَهُ وَأَبْقَى شَرِيدَهُ ذَرَي مُجْنَحاتٍ بَيْنَهُنَّ فُرُوجُ

كَأَنَّ بِجِزْعِ الدَّارِ لَمَّا تَحَمَّلُوا سَلاَئِبَ وُرْقاً بَيْنَهُنَّ خَدِيجُ

ـ أذاع بأعلاه ـ يعني الرماد لأن السافي طيّر ظاهره وما علا منه ـ وأبقى شريده ـ يريد به الذي أبقى لما شرد على السافي فلم يطيره ـ وذري مجنحات ـ يعني الاثافي وذرى كل شيء جانبه وما استذريت به منه ـ والمجنحات ـ المسيلات منه ـ والسلائب ـ جمع سلوب وهي الناقة التي سلبت ولدها بموت أو نحر وقد عطفت على حوار آخر ـ والخديج ـ الذي قد سقط لغير تمام ـ والورق ـ اللواتي ألوانهن كلون الرماد •• وفي معنى قول الراعي وأبقى شريده ذرى قول المخبل السعدي

اذا ماحصيرا زورها لم يلتقا لها الضفر إلاّ من امام رحاها

كست عضديها زورها وانحت بها ذراعا لجوج عوهج ملتقا هما

فباتت بأبلى ليلة ثم ليلة بحاذة واجتابت نوى عن نواها

وراحت على الأفواه أفواه غيقة نجاء بفتلاوين ماض سراها

أجدت هباباً عن هباب وساعت قوى لسعتها بعد طول اذاها

ولولا فتى الأنصار ماسك سمها ضمير ولا حورانه فقراها

وإني لأرجو من يزيد بن سابع حذيته من خيرتين اسطفاها

حذيته من نائل وكرامة شىء في بقاء المجد حتى احتواها

وأَرَى لَها دارًا بأَغدِرَةِ السِّيـــدانِ لم يَدرُسْ لها رَسمُ [١]
إلاَّ رَماداً هامِـدًا دَفَعتْ عنهُ الرِّياحَ خَوالِدٌ سُحمُ [٢]

ـ لا ـ ههنا بمعنى الواو فكأنه قال وأرى رماداً هامداً ولولا ان إلاّ ههنا بمعنى الواو لفسد الكلام ونقض آخره أوّله لانه يقول في آخر البيت ان الخوالد السحم دفعت عنه الرياح فكيف خبر بانه قد درس وانما أراد انه باق ثابت لان الاثافي دفعت عنه الرياح فلم تسفه إذهو من جملة مالم يدرس بل هو داخل في جملته وللراعي أيضاً في الاثاف

أُنخْنَ وَهُنّ أَغفالٌ عليْها فقدْ تَرَكَ الصِّلاه بِهِنّ نارًا

شبه الاثاف بنوق أُنخن أغفالا ليست عليهنّ سمة ثم أخبر ان الوقود قد أثر فيهن أثراً كالسمة فالنار السمة تقول العرب ما نار بعيرك أى ماسمته وفى أمثالهم نجارها نارها أي

(١) ـ الأغدرة ـ جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها وهو فعيل في معنى مفعول على اطراح الزائد وقد قيل انه من الغدر لانه يخون ورّاده فينضب عنهم ويغدر بأهله فينقطع عنه شدة الحاجة اليه •• وقال اللحياني الغدير اسم ولا يقال هذا ماء غدير وقال الليث الغدير مستنقع الماء ماء المطر صغيراً كان أو كبيراً غير انه لا يبقى الى القيظ إلاّ مايتخذه الناس من عد ووجذ ووقط أو صهريج أو حائر قال أبو منصور العد الماء الدائم الذي لا انقطاع له ولا يسمى الماء الذى يجمع فى غدير أو صهريج أو صنع عدا لان العد مايدوم مثل ماء العين والركية

(٢) ـ الرماد ـ دقاق الفحم من حراقة النار وما هبا من الجمر فصار دقاقاً والطائفة منه رمادة •• وفي حديث أم زرع زوجي عظيم الرماد أى كثير الأضياف لان الرماد بكثرة الطبخ ـ وهامداً ـ طافئاً •• قال الأصمعي طفئت النار اذا سكن لهبها وهمدت همودا اذا طفئت البتة فاذا صارت رماداً قيل هبا يهبو وهو هاب ـ والخوالد ـ الصخور •• قال الجوهرى قيل لاثاف الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الاطلال ـ وسحم ـ جمع سحماء أي سوداء وهو صفة لخوالد

سمتها تدل على كرمها يضرب ذلك للرجل ترى له ظاهراً حسناً يدل على باطن خيره
•• وقال عدي بن الرقاع العاملي

إلاَّ رَوَاكِدَ كُلُّهُنَّ قَدِ اصطَلَى حَمرَاءَ أَشعَلَ أَهلُهَا إيقَادَهَا
كانَتْ رَوَاحِلَ لِلقُدُورِ فَعُرِّيَتْ مِنهُنَّ وَاستَلَبَ الزَّمانُ رَمادَهَا

وقال مالك الجعفي

إلاَّ رَوَاكِدَ بَينَهُنَّ خَصاصَةٌ سُفعَ المَنَاكِبِ كُلُّهُنَّ قَدِ اصطَلَى

وقال حميد بن ثور

فتَغَيَّرَتْ إلاَّ مَلاَعِبَهَا وَمُعَرَّساً مِنْ جَوْنِهِ ظَهِرِ
عَرِشَ الثِّقابُ لَهَا بِدَارِ إقامَةٍ لِلحَيِّ بَينَ نَظَائِرٍ وِتْرِ

ـ الجونة ـ القدر ويقال قدر ظهر وقدور ظهور اذا كانت قديمة ـ وعرش ـ أي جعل مثل العريش يعني الوقود ـ والثقاب ـ ما أثقبت به النار من الوقود ـ والنظائر ـ هي الأثافي ـ والوتر ـ الفرد وأراد انها ثلاث •• وقال الكميت بن زيد

وَلَنْ تُحَيِّيكَ أَظآرٌ مُعَطَّفَةٌ بالقاعِ لا تَمَكٌ فيها ولاَ مَيَلُ
لَيسَتْ بِعُوذٍ وَلم تُعطَفْ على رُبَعٍ ولاَ يَهِيبُ بِها ذُو النِّيَةِ الأَبِلُ

يعني الأثافي فشبه عطفها على الرماد بنوق أظآر قد عطفت على فصيل ـ والتمك ـ انتصاب السنام ـ والميل ـ من صفة السنام أيضاً ـ والعائذ ـ من النوق التي يتبعها ولدها ـ والربع ـ الذي نتج في الربيع ـ والاهابة ـ الدعاء أهاب بابله اذا دعاها ـ وذو النية ـ الذي قد نوى الرحيل ـ الأبل ـ صاحب الابل •• وقال ذو الرمة

فَلَم يَبقَ إلاَّ أَنْ تَرَى في مَحَلِّهِ رَمادًا نَحَتْ عنهُ الخُيُولُ جَنادِلَهْ
كأَنَّ الحَمامَ الوُرْقَ في الدَّارِ وَقَّعَتْ على خَرِقٍ بَينَ الظُّؤُورِ جَوازِلَهْ

شبه الأثافي بالحمام الورق وجعلها ظؤوراً لتعطفها على الرماد وشبه الرماد بفرخ خرق

قد سقط ريشه ــ والجوازل ــ الفراخ واحدها جوزل •• وقال البعيث

أَلاَ حَيِّيَا الرَّبْعَ القَوَاءَ وَسَلِّمَا وَرَسْمًا كَجُثْمَانِ الحَمَامَةِ أَدْهَمَا

قيل ان الحمام ههنا القطاة وانه شبه ألوان الرسوم من الرماد وموقد نار ودمنة وبعر طنب وما أشبه هذه الاشياء بألوان ريش القطاة •• ومثله لجرير

كَأَنَّ رُسُومَ الدَّارِ رِيشُ حَمَامَةٍ مَحَاهَا البِلَى واستَعْجَمَتْ أَنْ تَكَلَّمَا

ولقد أحسن كل الاحسان كثير في قوله

أَمِنْ آلِ قَيلَةَ بالدَّخُولِ رُسُومُ وَبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَدُومُ

لَعِبَ الرِّيَاحُ بِرَسْمِهِ فَأَجَدَّهُ جُونٌ عَوَاكِفُ في الرَّمَادِ جُثُومُ

سُفْعُ الخُدُودِ كَأَنَّهُنَّ وَقَدْ مَضَتْ حِجَجٌ عَوَائِدُ بَيْنَهُنَّ سَقِيمُ

وقيل في قوله ــ فأجده جون عواكف ــ يعني الاثافي لان الريح لما كشفت عنها وظهرت صارت كأنها هي أجدت الرسم •• ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون معنى أجدت انها حملت الرماد الذي أحاطت به من لعب الرياح فبقي بحالة يستدل بها المترسم فكأن الرياح درست الربع وعته إلا ما أجدته هــذه الاثافي من الرماد ومنعت الريح عنه ويجرى ذلك مجرى قول المخبل ٭ إلا رماداً هامداً ٭ البيت •• وقال مرار الفقعسي في الاثافي

أَثَرُ الوَقُودِ على جَوَانِبِهَا بِخُدُودِهِنَّ كَأَنَّهُ لَطْمُ

ويقال ان أبا تمام الطائي أخذ ذلك في قوله

قِفُوا نُعْطِ المَنَازِلَ مِنْ عُيُونٍ لَهَا في الشَّوْقِ أَحْشَاءٌ غِزَارُ

عَفَتْ آيَاتُهُنَّ وَأَيُّ رَبْعٍ يَكُونُ لَهُ على الزَّمَنِ الخِيَارُ

أَثَافٍ كالخُدُودِ لُطِمْنَ حُزْنًا وَنُؤْيٌ مِثْلَمَا انْفَصَمَ السِّوَارُ

وقد عاب عليــه قوله لطمن حزناً بعض من لا معرفة له وقال لا فائدة في قوله حزنا ولذلك فائدة وذلك ان لطم الحزن أوجع فتأثيره أبلغ وأظهر وأبين وقد يكون اللطم

الهير الحزن فأما قوله * ونؤيٌ مثل ما انفصم السوارُ * فمأخوذ من قول الشاعر

نؤيٌ كما انقضَّ الهلالُ مخافةً   أوْ مثلما فصَمَ السوارَ المعصمُ

وقد شبه الناس النؤي بالسوار والخلخال كثيراً أو بغير ذلك .. قال كثير

عرَفتُ لسُعْدى بعد عشرين حجةً   بما دَرْسَ نُؤْيٌ في المحلّةِ مُنحَنِ [1]

قديمٌ كوَقفِ العاج ثبتٌ حواؤهُ   مغادرُ أوتادٍ برضمٍ موضَّنِ

ـالوقفـ السوار من الذبل ومن العاجـ والرضمـ صخور عظام ـوالموضنـ الذي بعضه فوق بعض .. وقال بشار

ونؤيٌ كخلخالِ الفتاةِ وصائمٌ   أشجُّ على ريبِ الزّمانِ رقوبُ

ـالصائم الأشجـ يعني الوتد وانما وصفه بانه صائم لقيامه وثباته وجعله رقوباً لانفراده والمرأة الرقوب والشيخ الرقوب الذي لا يعيش له ولد .. ومن مستحسن ما وصف به النؤي قول أبي تمام

والنؤيُ أهمدَ شطرُهُ فكأنّهُ   تحتَ الحوادثِ حاجبٌ مقرُونُ [2]

---

(١) ـدرسـ بسكون الراء أصله درس بفتحها وسكنت وكل ذلك جائز في كل فعل ثلاثي فان كانت عينه حلقية فهو مقيس وإلاّ فحكمه الضرورة يقال درس الرسم عفا ودرسته الريح محته لازم متعد ـ ومنحن ـ دارس

(٢) البيت من قصيدة يمدح بها الواثق بالله أولها

وأبى المنازل إنها لشجون	وعلى العجومة انها لتبين
فاعقل بنضو الدار نضوك يقتسم	فرط الصبابة مسعد وحزين
لا تمنعن وقفة أشفى بها	داء الفؤاد فانها ماعون
واسق الاثافي من شؤونك ريها	ان الضنين بدمعه لضنين
والنؤي أهمد شطره فكأنه	تحت الحوادث حاجب مقرون
حزن غداة الحزن هاج غليله	في أبرق الحنان منك حنين

وقال المتنبي في ذلك

قِفْ على الدِّمْنَتَيْنِ بالدَّوِّ مِنْ رَيـــا كَخَالٍ في وَجْنَةٍ جَنْبَ خَالِ

بِطُلُولٍ كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ في عِرَاصٍ كَأَنَّهُنَّ لَيَالِي

وَنُؤْيٍ كَأَنَّهُنَّ عَلَيْهِـ نَّ خِدَامٌ خُرْسٌ بِسُوقٍ خِدَالِ[1]

ـالخدام جمع خدمة وهي الخلخال وجعلها خرس لانها غير قلقة وشبه ما أحدق به النؤى من الأرض وامتلائها بامتلاء الخلخال من الساق الخدلة وهي الممتلئة

سمة الصبابة زفرة أو عبرة متكفل بهما حشا وشؤون

لولا التفجع لادعى هضب الحمى وصفى المشقر انه محزون

(١) الأبيات من قصيدة يمدح بها عبد الرحمن بن المبارك الانطاكي ومطلعها

صلة الهجر لي وهجر الوصال نكساني في السقم نكس الهلال

فغدا الجسم ناقصاً والذي ينـ * ـقص منه يزيد في بلبالي

قف على الدمنتين .. الأبيات الثلاثة .. ومنها

ماتريد النوى من الحية الذواق حر الفلا وبرد الظلال

فهو أمضى في الروع من ملك الموت وأسرى في ظلمة من خيال

ولحتف في العز يدنو محب ولعمر يطول في الذل قال

نحن ركب ملجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال

من بنات الجديل تمشي بنا في الـ * ـبيد مشي الايام في الآجال

كل هوجاء للدياميم فيها أثر النار في سليط الذبال

عامدات للبدر والبحر والضـ * ـرغامة ابن المبارك المفضال

من يزره يزر سليمان في الملـ * ـك جلالا ويوسفاً في الجمال

وربيع يضاحك الغيث فيه زهر الشكر من رياض المعالي

نفحتنا منه الصبا بنسيم وروا حاً في ميت الآمال

هم عبد الرحمن نفع الموالي وبوار الأعداء والأموال

مجلس آخر ٥٢

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى ﴿ وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ الى قوله ﴿ الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ .. فقال ما تأويل هذه الآيات وهل البقرة التي نعتت بهذه النعوت هي البقرة المرادة باللفظ الأول والتكليف واحد والمراد مختلف أو التكليف متغاير .. الجواب قلنا أهل العلم في تأويل هذه الآية مختلفون بحسب اختلاف أصولهم فمن جوّز تأخير البيان عن وقت الخطاب يذهب الى أن التكليف واحد وان الأوصاف المتأخرة هي البقرة المتقدّمة وانما تأخر البيان عن وقت الخطاب ولما سئل عن الصفات ورد البيان شيئاً بعد شيء ومن لم يجوّز تأخير البيان يقول ان التكليف متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم إلا ذبح أي بقرة شاؤا من غير تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا أي بقرة اتفقت كانوا قد امتثلوا الأمر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ولو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من أي لون كان لأجزأ عنهم فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الأخيرة .. ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال في التكليف الأخير انه يجب أن يكون مستوفياً لكل صفة تقدّمت حتى تكون البقرة مع انها غير ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها صفراء فاقعٌ لونها ولا فارض ولا بكر فمنهم من قال انما يجب أن يكون بالصفة الأخيرة فقط دون ما تقدّم فظاهرها ما تقدم الكتاب بالقول الأول أشبه وهو المبني على جواز تأخير البيان وذلك انه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا للرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ﴾ فلا يخلو قولهم ما هي من أين يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها أو عن التي أمروا بها ثانياً على قول من يدعي ذلك وليس يجوز أن يكونوا سألوا عن الصفة التي تقدم ذكرها لان الظاهر من قولهم ما هي بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضي أن يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها لانهم لاعلم لهم بتكليف ذبح بقرة أخرى فيستفهموا عنها واذا صح أن السؤال انما كان عن صفة البقرة المنكّرة التي أمروا في الابتداء بذبحها فليس يخلو قوله انها بقرة

لافارض ولا بكرٌ من أن يكون كناية عن البقرة الأُولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك عن بقرة ثانية لان ظاهر قوله تعالى (انها بقرة لا فارضٌ ولا بكرٌ) من أن يكون كناية عن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية لان ظاهر قوله تعالى (إنها بقرة) من صفتها كذا وكذا بعد قولهم ماهي يقتضي أن يكون كناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم وان الأمر لو لم يكن على ماذكرناه لم يكن ذلك جواباً لهم بل كان يجب أن يكونوا سألوه عن شئ فأجابهم عن غيره وهذا لايليق بالنبي عليه الصلاة والسلام على انه تعالى لما أراد أن يكلفهم تكليفاً ثانياً عند تفريطهم فى الأوّل على مايدعيه من يذهب الى هذا المذهب قد كان يجب أن يجيبهم عن سؤالهم وينكر عليهم الاستفهام فى غير موضعه وتفريطهم فيما أمروا به مما لا حاجة بهم الى الاستفهام عنه فيقول فى جواب قولهم ماهي انما كلفهم أي بقرة شئتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرّطتم في ترك الامتثال وأخطأتم فى الاستفهام مع وضوح الكلام إلاّ انكم قد كلفتم ثانياً كذا وكذا لان هذا مما يجب عليه بيانه لازالة الشك والابهام واللبس فلما لم يفعل ذلك وأجاب بالجواب الذى ظاهره يقتضى التعلق بالسؤال علم ان الأمر على ماذكرناه وهب انه لم يفعل ذلك فى أوّل سؤال كيف لم يفعله مع تكرار الأسئلة والاستفهامات التى لم تقع على هذا المذهب بموقعها ومع تكرر المعصية والتفريط كيف يستحسن أن يكون جميع أجوبته غير متعلقة بسؤالاتهم لانهم يسألونه عن صفة شئ فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان بل على أقوى الوجوه الموجبة لتعلق الجواب بالسؤال لان قول القائل فى جواب من سأله ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح فى ان الهاء كناية عن ماوقع السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا لانهم لم يقولوا ذلك إلاّ وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين فلم لم يقل أى تشابه عليكم وانما أمرهم فى الابتداء بأي بقرة كانت وفى الثاني انما اختص باللون المخصوص من أي البقر كان •• فان قيل كيف يجوز أن يأمرهم بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة الى آخر الكلام ولا يبين ذلك لهم وهذا تكليف مالا يطاق •• قلنا لم يرد منهم أن يذبحوا البقرة في الثانى من حال الخطاب ولو كانت حال الحاجة الى الفعل حاضرة لما

جاز أن يتأخر البيان لان تأخيره عن وقت الحاجة هو القبيح الذي لا شبهة في قبحه وانما أراد أن يذبحوها في المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم عند الحاجة اليه •• فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما أمروا بذبحه فوجوده كعدمه وهـذا يخرجه من باب الفائدة ويوجب كونه عبثاً •• قلنا ليس يجب ماظننتم لان القول وان كان لم يفد صفة البقرة بعينها فقد أفاد تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة ولم يكن ذلك معلوماً قبل هذا الخطاب فصار مفيداً من حيث ذكرناه وخرج من أن يكون وجوده كعدمه وفوائد الكلام لا يجب أن يدخلها الاقتراح وليس يخرج الخطاب من تعلقه ببعض الفوائد كونه غير متعلق بغيرها وبما هو زيادة عليها ••فان قيل ظاهر قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) يدل على استبطائهم وذمهم على التقصير في امتثال الأمر •• قلنا ليس ذلك صريح ذم لأن كادوا للمقاربة وقد يجوز أن يكون التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التي تكاملت لها تلك الصفة فقد روي انهم ابتاعوها بملء جلدها ذهباً على ان الذم يقتضي ظاهره أن ينصرف الى تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد البيان التام لان قوله تعالى (وما كادوا يفعلون) انما ورد بعد تقدم البيان التام المتكرر ولا يقتضي ذمهم على ترك المبادرة في الأول الى ذبح بقرة فليس فيه دلالة على مايخالف ما ذكرناه •• فان قيل لو ثبت تقديراً أن التكليف في البقرة متغاير أى القولين اللذين حكيتموهما عن أهل هذا المذهب أصح وأشـبه •• قلنا قول من ذهب الي أن البقرة انما يجب أن تكون بالصفة الأخيرة فقط لان الظاهر بهأشـبه من حيث انه اذا ثبت تغاير التكليف وليس في قوله إنهـا بقرة لاذلول تثير الأرض الى آخر الأوصاف ذكر لما تقدم من الصـفات وهذا التكليف غـير الأول فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه •• فأما ــالفارض ــ فهي المسنة وقيل هي العظيمة الضخمة يقال ضرب فارض أي ضخم والضرب الدلو ويقال أيضاً لحية فارضـة اذا كانت عظيمة والأشبه بالكلام أن يكون المراد المسنة ••فأما ــ البكر ــ فهي الصغيرة التي لم تلد فكأنه تعالى قال غيرمسنة ولاصغيرة ــ والعوان ــ دون المسنة وفوق الصغيرة وهي النصف التي قد ولدت بطناً أو بطنين يقال حرب عوان اذا لم تكن أول حرب وكانت ثانية وانمـا

جاز أن يقول بين ذلك وبين لا يكون إلاّ بين اثنين أو أكثر لان لفظة ذلك تنوب عن الجمل تقول ظننت زيداً قائماً فيقول القائل قد ظننت ذاك وقد ظننت ذلك وقد ظن ذاك •• ومعنى ـ فاقع لونها ـ أي خالصة الصفرة وقيل ان كل ناصع اللون بياضاً كان أو غيره فهو فاقع وقيل انه أراد بصفراء ههنا سوداء•• ومعنى قوله تعالى (لا ذلول تثير الأرض) أى تكون صعبة لا يذللها العمل في إثارتها الأرض وسقى الزرع •• ومعنى ـ مسلمة ـ مفعلة من السلامة من العيوب••وقال قومٌ مسلمة من الشية أى لاشية فيها تخالف لونها••وقوله ـ لاشية فيها ـ أى لا عيب فيها وقيل لا وضح وقيل لا لون يخالف لون جلدها والله أعلم بما أراد وإياه نسأل التوفيق •• [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه •• كنت أظن ان المتنبي قد سبق الى معنى قوله فى مرثية أخت سيف الدولة

طوى الجزيرةَ حتى جاءني خبرٌ ... فزعتُ فيه بآمالي إلى الكذبِ

حتّى إذا لم يَدَعْ لي صدقُهُ أملا ... شرقتُ بالدّمعِ حتى كاد يشرقُ بي

حتى رأيت هذا المعنى لمسلم بن الوليد الأنصاري وللبحتري•• أما الذى لمسلم فقوله في قصيدة يرثي بها سهل بن الصباح

وَقفَ المُفاةُ عليكَ من مُتحيِّرٍ ... ولهُ الرَّجاء وَذو غنىً يسترجعُ

وتخادعُ السَّمعَ النَّعيَّ وَدُونهُ ... خطبٌ ألمَّ بصادقٍ لمْ يخدعِ

وقال البحتري يرثي وصيفا التركي

إذا جدَّ ناعيهِ توهَّمتُ أنَّهُ ... يُكرِّرُ من أخبارِهِ قولَ مازحِ

وكنت أظن ان المتنبي سبق الى قوله

تحلُّ القنا يومَ الطعانِ بعقوتي ... فأحرِمهُ عرضي وأُطعمهُ جلدي [١]

(١) ـ القنا ـ جمع قناة وهي الرمح ـ وعقوتي ـ ساحتي ـ والعرض ـ موضع الذم والمدح من الانسان ••والمعنى ان الطعن يقع في ساحته فيجعل جلده طعماً له ولا ينهزم خوفاً من الطعن فى عرضه وهو من قصيدة يودع بها ابن العميد عند مسيره قاصداً سيف

حتى رأيت هذا المعنى بعينه واللفظ لحيم بن شبل الكلابى من أهل اليمامة فى قوله

ثَنَي قَوْمَهُ عن خذرجانٍ وقدْحنا ... الى الموْت دَامِي الصفْحتَيْنِ كليمُ

أخُوالحَرْبِ إمّاجلدُهُ فمُجرّحٌ ... كَليمٌ وإمّا عِرْضُهُ فسَلِيمُ

وكنت أظن ان البحترى سبق الى معنى قوله فى الفتح بن خاقان

حَمَلْتَ إليهِ السَّيفَ لاعَزْمُكَ انْثَنى ... ولاَ يَدُكَ ارْتَدّتْ وَلاَ حَدُّهُ نَبا

حتى وجدت لشاعر متقدم

طعنْتُ ابنَ دهمانٍ بنجرانَ طعنَةً ... شقَقتُ بِها عنهُ مُضاعفَةَ السَّرْدِ

الدولة ثم قتله فاتك الأسدى ومطلعها

نسيت وما أنسى عتاباً على الصد ... ولا خفراً زادت به حمرة الخد

ولا ليلة قصرتها بقصيرة ... أطالت يدى في جيدها صحبة العقد

ومن لي بيوم مثل يوم كرهته ... قربت به عند الوداع من البعد

وإلاّ يخص الفقد شيئاً لانّي ... فقدت فلم أفقد دموعي ولاوجدى

تمنٍّ يلذ المستهام بذكره ... وان كان لا يغنى فتيلا ولايجدى

وغيظ على الأيام كالنار فى الحشى ... ولكنه غيظ الأسير على القِد

فإمّا ترينى لا أقيم ببلدة ... فآفة غمدي فى دلوقي وفى حدى

يحل القنا يوم الطعان بعقوتي ... فأحرمه عرضى وأطعمه جلدي

تبدل أيامي وعيشى ومنزلي ... نجائب لايفكرن فى النحس والسعد

وأوجه فتيان حياء تلثموا ... عليهن لاخوفاً من الحر والبرد

وليس حياء الوجه فى الذئب شيمة ... ولكنه من شيمة الأسد الورد

اذا لم تجزهم دار قوم مودة ... أجاز القنا والخوف خير من الود

يحيدون عن هزل الملوك الى الذى ... توفر من بين الملوك على الجد

فَلَا الكَفُّ أوْهَتْ بِي وَلَا الرُّمْحُ خانَنِي ... وَلَا الأدْمُ المَنْمُوتُ حادَ عنِ القَصْدِ

قال محمد بن يحيى الصولي وصف الناس صفرة اللون في العلل فكل حكى ذلك وقال بلا فضيلة الا البحتري فانه أغرق من أبيات قال اعرابي بن أبنات[1]

جَمَلْتُ وَماعَايَنْتُ عِطرًا كأنَّما ... جَرَى بينَ جِلْدِي والعظامِ خَلُوقُ

وقال أبو تمام

لم يَشِنْ وجهَهُ المَليحَ وَلكِنْ ... جَمَلَتْ وَرْدَ وَجنَتَيهِ بَهارَا

وقال غيره

لم تَشِنْ شيئًا ولكنها ... بَدَّلَتِ التُّفَّاحَ بالياسَمِينِ

وقال أبو بكر عيسى الزاقي

عِلَّةٌ زَعفَرَتْ مُوَرَّدَ خَدٍّ ... كادَ مِنْ رِقَّةٍ وَرِيٍّ يَفِيضُ

ولأحمد بن يزيد المهلبي

وَقالوا عَرَتْ عَراهُ حمى شَدِيدَةٌ ... فَوَجنَتُها مِنْها شَدِيدٌ صَفارُها

فَقُلتُ لَهُمْ هَيهاتَ هاتِيكَ رَوضَةٌ ... مَضَى وَرْدُها عنا وَجاءَ بَهارُها

ولأبي العتاهية

وكأنَّني مِمَّا تَطاوَلَ بِي ... مِنكَ السَّقامُ طُلِيتُ بالوَرْسِ

وقال ابن المعتز

وَصَفَّرَتْ عِلَّتُهُ وَجهَهُ ... فصارَ كالدِّينارِ مِنْ حُقِّ

وقال البحتري

بَدَتْ صُفْرَةٌ في لَونِهِ إنَّ حَمْدَهُمْ ... مِنَ الدُّرِّ ما اصفَرَّتْ نَواحِيهِ في العِقْدِ

---

(١) هكذا فيما وقفنا عليه من النسخ على انه لم يظهر لنا استقامة المعنى فليحرر

وَجرَتْ على الأَيدِي مَجَسَّةُ كَفِّهِ ‏ ‏ كذَلِكَ مَوْجُ البَحْرِ مُلْتَهِبُ الوَقْدِ

وَما الكَلْبُ مَحْمُوماً وإنْ طَالَ عُمْرُهُ ‏ ‏ أَلاَ إِنَّما الحُمَّى على الأَسَدِ الوَرْدِ[1]

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ٠٠ أما تشبيه صفرة اللون بصفرة الدر فهو تشبيه مليح موافق لغرضه إلاّ أنه أخطأ في قوله ان جدهم من الدر ما اصفرّت نواحيه في العقد لان ذلك ليس بمحمود بل مذموم ولو شبه وترك التعليل لكان أجود ٠٠ وروى أبو العباس أحمد بن فارس المنبجي قال حدثنا أبو أحمد عبيد الله بن يحيى البحتري قال حدثني أبي قال حدثني جدّي البحتري قال كنت عند أبي العباس المبرد يوماً فتذاكرنا شعر عمارة بن عقيل فقال أبو العباس لقد أحسن عمارة في قوله لخالد بن يزيد لما وجّه اليه بهذين البيتين

لم أستطع سيراً لمدحة خالدٍ ‏ ‏ فجعلتُ مدحيهِ إليهِ رسولاَ

فليرحلنّ إليَّ نائلُ خالدٍ ‏ ‏ وليكفينّ رواحلي الترحيلاَ

قال البحتري فقلت له لمروان بن أبي حفصة في عبد الله بن طاهر وقد أتاه نائله من الجزيرة ما هو أحسن من هذا وأنشدته

لعمري لنعمَ الغيثُ غيثٌ أصابنا ‏ ‏ ببغدادَ من أرض الجزيرةِ وابلُهْ

فكنّا كحيٍّ صبّحَ الغيثُ أهلَهُ ‏ ‏ ولم يرتحل أظعانُهُ ورواحلُهْ

---

[١] هى من أبيات يمدح بها ابراهيم بن المدبر ويذكر علة نالته ومطلعها

بأنفسنا لا بالطوارف والتالد ‏ ‏ نقيك الذى تخفى من الشكو أو تبدى

بنا معشر العافين ما بك من أذى ‏ ‏ فان أشفقوا مما أقول فبي وحدي

ظللنا نعود الجد من وعكك الذي ‏ ‏ وجدت وقلنا اعتلّ عضو من المجد

ولم تنصف الليث افتنصنا نواله ‏ ‏ ولم نقتسم حمّاه إذ أقبلت تردى

بدت صفرة من لونه الأبيات الثلاثة ٠٠ وبعدها

ولست ترى عود القتادة خائفاً ‏ ‏ سموم الرياح الآخذات من الرند

فقال لم هذا أحسن فقلت له ان لي في بني السمط وقد أتاني برهم من حمص مالا يتضع عن الجميع وأنشدته

جَزَى اللهُ خَيْرًا والجَزَاء بِكَفِّهِ بَني السِّمْطِ أَخْدَانَ السَّماحَةِ وَالمَجْدِ

هُمُ وَصَلُوني وَالمَهَامِهُ بَيْنَنا كما ارْفَضَّ غَيْثٌ من تِهامَةَ في نَجْدِ

فقال هذا والله أرق مما قالا وأحسن .. وروى أحمد بن فارس المنبجي عن عبيد الله ابن يحيى بن البحتري قال حدثنا أبي عن جماعة من أهل العلم والأدب منهم يموت بن المزرع قال قلت لأبي عثمان الجاحظ من أنسب العرب فقال الذي يقول

عَجِلَتْ إلى فَضْلِ الخِمارِ فأثَّرَتْ عَذَباتُهُ بِمَواضِعِ التَّقْبيلِ

وقال هذا للبحتري في القصيدة التي أولها

صَبٌّ يُخاطِبُ مُفْحَماتِ طُلُولِ [1]

---

[١] هو مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن اسماعيل الهاشمي

صب يخاطب مفحمات طلول من سائل باك ومن مسؤول
حلت معالمهن أعباء البلى حتى كأن نحولهن نحولي
ياوهب هب لأخيك وقفة مسعد يعطي الأسى من دمعه المبذول
أو ماترى الدمن المحيلة تشتكى غدرات عهد للزمان محيل
إن كنت تنكرها فقد عرف الهوى قدماً معارف رسمها المجهول
تلك التي لم يعدها قصد الهوى مالت مع الواشين كل مميل
عجلت الى فضل الخمار فأثرت عذباته بمواضع التقبيل
وتبسمت عند الوداع فأشرقت إشراقه عن عارض مصقول
أأخيب عندك والصبا لي شافع وأرد دونك والشباب رسولي
ولقد تأملت الفراق فلم أجد يوم الفراق على امرء بطويل
قصرت مسافته على متزود منه لدهر صبابة وعويل

[وقال الشريف المرتضى] رضى الله عنه • وفى نسيب هذه القصيدة بيت ليس يقصر في الملاحة والرشاقة وأخذه بمجامع القلوب عن البيت الذي فضله به الجاحظ وهو

أَأُخِيبُ عِندَكِ والصِّبا لى شافِعٌ وَأُرَدُّ دُونَكِ والشبابُ رَسُولِى

وفى مديح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو

لاَ تَطلُبَنَّ لَهُ الشَّبِيهَ فانَّهُ قَمَرُ التَّأَملِ مُزْنَةُ التَّأْمِيلِ

وبهذا الاسناد عن يحيى بن البحتري قال انصرفت يوماً من مجلس أبي العباس محمد بن يزيد المبرد فقال لى أبي البحتري ما الذى أفدت يومك هـذا من أبي العباس قلت أملى علىّ أخباراً حسـنة وأنشدنى أبياتاً للحسين بن الضحاك فقال أبى أنشـدنى الأبيات فأنشدته

كأَنّي إذَا فارَقتُ شَخصَكَ ساعةً لِفَقْدِكَ بينَ العالَمينَ غريبُ
وَقد رُمتُ أسبابَ السُّلُوّ فخانَنِي ضَمِيرٌ عليهِ في هَوَاكَ رقيبُ
أَغَرّكَ صفحِي عن ذُنوبٍ كثيرةٍ وَغَضِّي على أشياءَ منكَ تَرِيبُ
كأنْ لم يكنْ في النَّاسِ قبلِي مُتَيَّمٌ وَلم يكُ في الدُّنيا سِوَاكَ حَبِيبُ
إلى اللهِ أشكُو إنْ شكَوْتُ فلم يكُنْ
لِشكوَايَ من عَطفِ الحبيبِ نَصِيبُ

وإذا الكرام تنازعوا أكرومة فالفضل للفضـل بن اسماعيل
قسموا على أخلاقهم فتفاوتوا لهن قسـمة غرّة وحجول
فى كل مكرمة يد مبسوطة من فاضـل منهـم به مفضول
لا تطلبنّ له الشـبيه فانه قمر التأمـل مزنة التأميـل
حاز المدى فرمي بغير مناضل فى سُودد وجرى بغير رسيل
فتى سمت عين الحسود لفخره طرفت بطارف من علاه كليل

فقال ما أحسن هذا الكلام وأنشدنى لنفسه

حبيبي حَبيبٌ يَكتُمُ النّاسَ إنّهُ ... لَنَا حينَ تَلقانَا العُيُونُ حَبِيبُ
يُباعِدُني في المُلتقى وَفُؤادُهُ ... وَإِنْ هُوَ أَبْدَى لى البِعادَ قَرِيبُ
ويُعرِضُ عنّي وَالهَوَى منهُ مُقبِلٌ ... إذَا خافَ عيْنا أوْ أشارَ رَقيبُ
فتَنطِقُ منّا أعيُنٌ حينَ نَلتَقي ... وَتخرَسُ منّا ألسُنٌ وقُلُوبُ

ثم قال يا بنى اروِ هذين فانهما من أحسن الشعر وطريفه •• روى أحمد بن فارس المنبجي عن أبي نصر محمد بن اسحق النحوى قال سمعت بعض أهل الأدب يقول للزجاج قد كنت تعرف أبا العباس المبرد وكبره وانه ما كان يقوم لأحد ولا يتطاول له وينشد اذا أشرف عليه الرجل

ثَهلانُ ذُو الهَضَباتِ لاَ يَتَحلْحَلُ [1]

ولقد رأيته يوماً وقد دخل عليه رجل متدرع فقام اليه أبو العباس فاعتنقه ونحي عن موضعه وأجلسه فجعل الرجل يكفه ويستعفيه من ذلك فلما أكثر من ذلك عليه أنشده أبو العباس

أتُنكِرُ أنْ أقومَ وقدْ بدَا لِي ... لأُكرِمَهُ وَأُعظِمَهُ هِشامُ
فَلاَ تُنكِرْ مُبادَرَتي اليه ... فإِنَّ لِمِثلِهِ خُلِقَ القِيامُ

فلما انصرف الرجل سألت عنه فقيل لى هذا البحترى

―――――――――

مجلس آخر ٥٣

[تأويل آية أخرى] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل حاكياً عن هابيل (لئن بسطت الىّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدىَ اليك لأقتلك إنى أخاف

(١) صدر البيت • فارفع بكفك ان أردت بقاءنا •

الله رب العالمين إني أريد أن تبوء باثمي وإثمك الآية) •• فقال كيف يجوز أن يخبر تعالى عن هابيل وقد وصفه بالتقوى والطاعة بانه يريد أن يبوء أخوه بالإثم وذلك ارادة القبيح وارادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال ووجه قبحها كونها ارادة لقبيح وليس قبحها عا يتغير وكيف يصح أن يبوء القاتل باثمه وإثم غيره وهل هذا الا ما يأبونه من أخذ البريء بجرم السقيم •• الجواب قلنا جواب أهل الحق عن هذه الآية معروف وهو ان هابيل لم يرد من أخيه قبيحاً ولا أراد أن يقتله وانما أراد ما خبر الله تعالى به عنه من قوله (إني أريد أن تبوء باثمي وإثمك) أي تبوء بجزاء ما قدمت عليه من القبيح وعقابه وليس بقبيح أن يريد نزول العقاب المستحق بمستحقه ونظير قوله إثمي مع أن المراد به عقوبة إثمي الذي هو قتلي قول القائل عمن يعاقب على ذنب جناه هذا ما كسبت يداك والمعني هذا جزاء ما كسبته يداك وكذلك قولهم لمن يدعون عليه لقاك الله عملك وستلقى عملك يوم القيامة معناه ما ذكرناه •• فان قيل كيف يجوز أن يحسن ارادة عقاب غير مستحق لم يقع سببه لان القتل على هذا القول لم يكن واقعاً •• قلنا ذلك جائز بشرط وقوع الأمر الذي يستحق به العقاب فهابيل لما رأى من أخيه التصميم على قتله والاضمار والعزم على إمضاء القبيح فيه وغلب على ظنه وقوع ذلك جاز أن يريد عقابه بشرط أن يفعل ما هم به وعزم عليه •• فأما قوله اثمي واثمك فالمعنى فيه واضح لانه أراد باثمي عقاب قتلك لي وباثمك أي عقاب المعصية التي أقدمت عليها من قبلي فلم يتقبل قربانك لسببها لان الله تعالى أخبر عنهما بانهما قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر وان العلة في ان قربان أحدهما لم يتقبل انه غير متق وليس يمتنع أن يريد باثمي ما ذكرناه لأن الاثم مصدر والمصادر قد تضاف الى الفاعل والمفعول جميعاً وذلك مستعمل مطرد في القرآن والشعر والكلام فمثال ما أضيف الى الفاعل •• قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) ومن اضافته الى المفعول •• قوله تعالى (لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر) •• وقوله تعالى (لقد ظلمك بسؤال نعجتك

الى لعاجه) • • ومما جاء في الشعر من اضافته الى المفعول ومعه الفاعل قول الشاعر

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَرْبَعٌ وَمَصِيفُ ... لِعَيْنَيْكَ مِنْ مَاءِ الشُّؤُونِ وَكِيفُ[1]

(١) قوله * أمن رسم دار الخ * هو مطلع قصيدة للحطيئة عدتها ثمانية عشر بيتاً مدح بها سعيد بن العاص الأموي لما كان والياً بالكوفة لعثمان بن عفان رضي الله عنه قوله * أمن رسم دار الخ * الهمزة للاستفهام التقريري ومن تعليلية متعلقة بوكيف وهو مصدر وكف وكوفاً ووكيفاً سال شيئاً فشيئاً وتأويله أمن رسم داراً مربع أى أثر فيها آثاراً والرسم الأثر بلا شخص ـ والشؤون ـ مجاري الدمع من الرأس الى العين واحدها شأن • • وقوله ـ لعينيك ـ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم على المبتدا وهو وكيف يروى بالتثنية ويروى بالافراد ـ ومربع ـ فاعل المصدر وهو رسم وهو على حذف مضاف والتقدير مطره ونحوه وهو وما بعده اسمان لزمن الربيع والصيف ويأتيان اسمى مكان ومصدرين أيضاً وهذه الصيغة تشترك فيها هذه المعاني وهي صيغة قياسية يذكرها الصرفيون والمذكور في كتب اللغة انما هو المربع بمعنى منزل القوم في الربيع خاصة وبعد البيت

رشاش كغربي هاجري كلاهما ... له داجن بالكسرتين عليف
اذا كرّ غرباً بعد غرب أعاده ... على رغمه واقي السبال عنيف
تذكرت فيها الجهل حتى تبادرت ... دموعي وأصحابي عليّ وقوف
يقولون هل يبكي من الشوق مسلم ... تخلى الى وجـه الإله حنيف
فلأياً أزاحت على ذات ملدم ... نكيب تغالى في الزمام خنوف
مقذفة باللحم وجناء عـدوها ... على الأين إرقال معاً ووجيف
اليك سعيد الخير جبت مهامها ... يقابلني آل بهـا وشنوف
ولولا الذي العاصي أبوه تعلقت ... بحوران مجذام الغنى عصوف
ولولا أصيل اللب غضّ شـبابه ... كريم لأيام المنون عروف
اذا همّ بالأعـداء لم يثن همه ... كعاب عليها لؤلؤ وشنوف
حصان لها في البيت زي وبهجة ... ومشي كما تمشي القطاة قطوف

في الكلام بقول القائل أعجبني ضرب عمرو خالداً اذا كان عمرو فاعلا وضرب عمرو خالدٌ اذا كان عمرو مفعولا ٠٠وقد ذكر قومٌ في الآية وجهاً آخر وهو أن يكون المراد إني أريد زوال أن تبوء باثمي واثمك لانه لم يرد له إلاّ الخير والرشد فحذف الزوال وأقام أن وما اتصل بها مقامه كما قال تعالى (وأُشربوا في قلوبهم العجل) أراد حب العجل فحذف الحب وأقام العجل مقامه وكما قال تعالى (واسأل القرية) وهذا قول بعيد لانه لادلالة في الكلام على محذوف وانما تستحسن العرب الحذف في بعض المواضع لاقتضاء الكلام المحذوف ودلالته عليه ٠٠وذكر أيضاً وجه آخر وهو أن يكون المعنى إني أريد أن لا تبوء باثمي واثمك أي أريد أن لا تقتلني ولا أقتلك فحذف لا واكتفى بما في الكلام كما قال تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) معناه أن لا تضلوا وكقوله تعالى (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) معناه أن لا تميد بكم وكقول الخنساء

فأَقْسَمْتُ آسِي على هالِكٍ ... وَأَسأَلُ نائِحَةً مالَها

أرادت لا آسى ولا أسأل ٠٠وقال امرؤ القيس

فَقالَتْ يَمِينَ اللهِ أَبْرَحُ قاعِدًا ... وَلَوْقَطَعُوارَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوصالِي

أراد لا أبرح ٠٠ وقال عمرو بن كلثوم

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأَضْيافِ مِنَّا ... فَعَجَّلْنا القِرَى أَنْ تَشْتُمُونَا

أراد أن لا تشتمونا والشواهد في هذا كثيرة جدًّا وهذا الجواب يضعفه كثير من أهل

ولو شاء وارى الشمس من دون وجهه ... حجاب ومطوي السراة منيف
ولكنْ إدلاجاً بشهباء نخمة ... لها لَقَحٌ في الأعجمين كشوف
اذا قادها للموت يوماً تتابعت ... ألوف على آثارهن ألوف
فصفوا وما ذي الحديد عليهم ... وبيض كأولاد النعام كثيف
أنابت الى جنات عدن نفوسهم ... وما بعدها للصالحين حتوف
خفيف المعى لا يملأ الهم صدره ... اذا سمته الزاد الخبيث عيوف

العربية لانهم لا يستحسنون اضمار لا فى مثل هـذا الموضع •• فأما قوله تعالى حاكياً عنه (لئن بسطت اليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسطٍ يدي اليك لأقتلك) ••فقال قومٌ من المفسرين ان القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحاً فى ذلك الوقت وان الله تعالى أمره بالصبر عليه وامتحنه بذلك ليكون هو المتولي للانتصاف •• وقال آخرون بل المعنى انك ان بسطت اليّ يدك مبتدئاً ظالماً لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك على وجه الظلم والابتداء فكأنه نفى عن نفسه القتل القبيح وهو الواقع على سبيل الظلم •• والظاهر من الكلام يقرر ما ذكر من الوجهين أشبه لانه تعالى خبر عنه انه وان بسط أخوه اليه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله أي وهو مريد لقتله ومجرٍ اليه لان هـذا اللام بمعنى كى وهي منبئة عن الارادة والغرض ولا شبهة فى حظر ذلك وقبحه لان المدافع انما تحسن منه المدافعة للظالم أو طلب التخلص منه من غير أن يقصد الى قتله والاضرار به ومتى قصد ذلك كان فى حكم المبتدى بالقتل في انه فاعل القبيح والعقل شاهد بوجوب التخلص من المضرة بأي وجه تمكن منه بعد ان يكن غير قبيح •• فان قيل فكأنكم تمنعون من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة ووجوبهما على كل حال •• قلنا لا يمتنع من ذلك وانما بينا ان الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصاف على ما ذهب اليه قومٌ لان قوله لأقتلك يقتضي أن يكون البسط لهذا الغرض والمدافعة لا يقتضى ذلك ولا يحسن من المدافع أن يجري بها الى الضرب فلا دلالة فى الآية على تحريم المدافعة ووجب أن يكون ما ذكرناه أولى بشهادة الظاهر

[تأويل خبر] •• إن سأل سائلٌ عن معنى الخبر الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من انه قال لا يموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد فتمسه النار الا تحلة القسم •• الجواب قلنا أما أبو عبيد القاسم بن سلام فانه قال يعني بتحلة القسم قوله تعالى (وان منكم إلاّ واردها كان على ربّك حتماً مقضيا) فكأنه عليه الصلاة والسلام قال لا يرد النار إلاّ بقدر ما يبر الله قسمه •• وأما ابن قتيبة فانه قال فى تأويل أبي عبيد هـذا مذهب حسن من الاستخراج ان كان هذا قسماً •• قال وفيه مذهب آخر أشبه بكلام العرب ومعانيهم وهو ان العرب اذا أرادوا تقليل مكث الشئ وتقصير مدّته شبهوه بتحلة

القسم وذلك أن يقول الرجل بعد حلفه ان شاء الله فيقولون ما يقيم فلان عندنا الا تحلة القسم وما ينام العليل إلاّ كتحليل الألية وهو كثير مشهور ٠٠ قال مزاحم بن أحمر وذكر الريح

إِذَا عَصَفَتْ رَسْماً فَلَيْسَ بِدَائِمٍ بِهِ وَتِدٌ إِلاَّ تَحِلَّةَ مَقْسَمِ

يقول لا يثبت الوتد الا قليلا كتحلة القسم لان هبوب الريح يقلعه ٠٠ وقال آخر يذكر ثوراً

يَخْفِي التُّرَابَ بِأَظْلاَفٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعٍ مَسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيلُ (١)

يقول هو سريع خفيف فقوائمه لا تثبت فى الأرض إلاّ كتحليل اليمين ٠٠ وقال ذو الرمة كأنه يصف صاحب سفر أغفى غفاةً ثم انتبه سريعاً

(١) ـ يخفى التراب ـ يستخرجها لشدة عدوه ويقال خفيت الشئ اذا استخرجته وقرأ بعضهم (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) أى أظهرها ومن قرأ أُخفيها أراد أسرها ومنه الحديث ليس على مختفٍ قطع ومنه قول امرئ القيس

خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من عشى مجلب

ويروى مجلّب أى يجلب الماء ومجلبة من الجلبة جلبة الريح والرعد ٠٠ وقوله ـ باظلاف ثمانيـة في أربع ـ يريد ثمانيـة اظلاف فى أربع قوائم فى كل قائمة ظلفان ٠٠ وقوله ـ مسهن الأرض تحليل ـ أى كتحلة اليمين وأهل الحجاز يسمون النباش المختفى وقال مسهن الأرض تحليل قدر تحلة اليمين كأنه أقسم ليمسن الأرض كما قال الراعى

حدت السراب وألحقت أعجازها روح يكون وقوعها تحليلا

والبيت من قصيدة لعبدة بن الطبيب وهى مفضلية ومطلعها

هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

حلت خويلة فى دار مجاورة أهل المدائن فيها الديك والفيل

يقارعون رؤوس العجم ضاحية منهم فوارس لا عزل ولا ميل

فخامر القلب من ترجيع ذكرتها رس لطيف ورهن منك مكبول

طَوَى طَيَّهُ فَوْقَ الكَرَا جَفْنُ عَيْنِهِ على رَهَبَاتٍ مِنْ جَنَانِ المَخَادِرِ
قَلِيلاً كَتَحْلِيلِ الأُلى ثُمَّ قَلَّصَتْ بِهِ شِيمَةٌ رَوْعَاءُ تَقْلِيصَ طَائِرِ

ــوالأُلى ــ جمع ألوة وهي اليمين قال ومعنى الخبر على هذا التأويل ان النار لا تمسه إلاّ قليلا كتحليل اليمين ثم ينجيه الله منها •• وقال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري الصواب قول أبي عبيد لحجج ثلاث •• منها ان جماعة من كبار أهل العلم فسروه على تفسير أبي عبيد •• ومنها انه ادعى ان النار تمس الذى وقعت منزلته عند الله جليلة لكن مسا قليلا والقليل من النار لا يقع به الألم العظيم وليس صفة الأبرار في الآخرة صفة من تمسه النار لا قليلا ولا كثيراً •• ومنها ان أبا عبيد لم يحكم على هذا المصاب بولده بمس وانما حكم عليه بالورود والورود لا يوجب أن يكون من الأبرار لان إلاّ معناه الاستثناء المنقطع فكأنه قال فتمسه النار لكن تحلة اليمين أي لكن ورود النار لا بد منه فجرى مجرى قول العرب سار الناس الا الأثقالا وارتحل العسكر الا الخياما وأنشد الفرّاء

وَسَمْحَةِ المَشْيِ شِمْلاَلٍ قَطَعْتُ بِها أَرْضاً يَحَارُ بِها الهَادُونَ دَيْمُوما (١)
مِهَامِهاً وَحُزُوناً لاَ أَنِيسَ بِها إلاّ الصَّوَائِحَ وَالأَصْدَاءَ والبُوما (٢)

وأنشد الفرّاء

---

(١) ــالديموم ــ والديمومة الفلاة الواسعة يدوم السير فيها لبعدها وقيل هي المفازة لا ماء بها وأنشد ابن بري لذى الرّمة * اذا انتجّ الدياميم * وقيل الديمومة الأرض المستوية التي لا أعلام بها ولا طريق ولا ماء ولا أنيس •• وقال أبو عمرو الدياميم الصحارى الملس المتباعدة الأطراف

(٢) ــالصوائح ــ جمع صائح وهو ما يصيح أي يصوت والمراد به الأصوات التي تسمع في الخلاء ولا حقيقة لها ــ والأصداء ــ جمع صدى وهو ما يرده الجبل على المصوت فيه ــ والبوم ــ طائر معروف

لَيسَ عليكَ عَطَشٌ ولاَ جُوع　　إلاَّ الرُّقادَ وَالرُّقادُ مَمْنُوع

فمعنى الحديث لا يموت لمسلم ثلاثة من الأولاد فتمسه النار البتة لا كن تحلة القسم لا بد منها وتحلة اليمين الورود والورود لا يقع فيه مس .. قال أبو بكر وقد سنح لي فيه قول آخر وهو أن يكون إلاّ زائدة دخلت للتوكيد وتحلة اليمين منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت تحلة القسم وإلاّ زائدة .. قال الفرزدق شاهداً لهذا

هُمُ القَوْمُ إلاَّ حَيْثُ سَلُّوا سُيُوفَهُمْ　　وَضَحَّوْا بِلَحْمٍ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ

معناه هم القوم حيث سلوا سيوفهم وإلاّ مؤكدة .. وقال الأخطل

وَيَقْطَعْنَ إلاَّ مِنْ فُرُوعٍ يَرِدْنَها　　بِمِدْحَةِ مَحْمُودٍ ثَنَاهُ وَنَائِلُهْ (١)

معناه يقطعون الابل من فروع يردنهاوالفروع الواسعة من الأرض.. [قال الشريف

(١) وفي ديوانه

اليكم من الأغوار حتى يزرنكم　　بمدحة محمود ثناه ونائله

ـ الأغوار ـ جمع غور بالفتح وهو القعر من كل شئ وهي هنا الأمكنة المطمئنة ـ والثناء ـ بالفتح والقصر الخبر.. والبيت من قصيدة يمدح بها بشر بن مروان ومطلعها

صحا القلب عن أروى وأقصر باطله　　وعاد له من حب أروى أخابله

أجدك ما تلقاك إلاّ مريضة　　تداوين قلباً ماتسام بلابله

عفا واسط منها فالجام حامر　　فروض القطا صحراؤه وحمائله

.. ومنها

ومستقبل لفح الحرور بحاجة　　اليكم أبا مروان شدت رواحله

اليكم من الأغوار حتى يزرنكم　　بمدحة محمود ثناه ونائله

جزاء وشكراً لامرىء لا تغبّنى　　اذا جئته نعماؤه وفواضله

أخو الحرب مابنفك يدعي لعصبة　　حرورية أو أعجمي يقاتله

المرتضى] رضى الله عنه والوجوه المذكورة فى تأويل الخبر متقاربة لان الوجه الذى اختص به ابن الانبارى فيه أدنى تعسف وبعد من حيث جعل إلاَّ زائدة وذلك كالمستضعف عند جماعة من أهل العلم بالعربية وقد تبقى في الخبر مسئلة التشاغل بالجواب عنها أولى مما تكلفه القوم وهى متوجهة على كل الوجوه التى ذكروها في تأويله •• وهو أن يقال كيف يجوز أن يخبر عليه الصلاة والسلام بان من مات له ثلاثة أولاد لا تمسه النار إما جملة أو مقدار تحلة القسم وهو النهاية فى القلة أوَ ليس ذلك يوجب أن يكون إغراء بالذنوب لمن هذه حاله واذا كان من يموت له بهذا العدد من الأولاد غير خارج عن التكليف فكيف يصح أن يؤمن من العقاب •• والجواب عن ذلك اذاً قد علمت أولا خروج هذا الخبر مخرج المدحة لمن كانت هذه صفته للتمييز ولا مدحة فى مجرد موت الأولاد لان ذلك لا يرجع الى فعله ولا بد من أن يكون تقدير الكلام ان النار لا تمس المسلم الذى يموت له ثلاثة من الأولاد اذا حسن صبره واحتسابه وعزاؤه ورضاه بما جرى به القضاء عليه لانه بذلك يستحق الثواب والمدح واذا كان اضمار الصبر والاحتساب لا بد منه لم يكن فى القول اغراء لان كيفية وقوع الصبر والوجه الذى اذا وقع عليه تفضل الله تعالى بغفران ما لعله أن يستحقه من العقاب فى المستقبل غير معلوم واذا لم يكن معلوماً متميزاً فلا وجه للاغراء وأكثر ما في هذا الكلام أن يكون القول مرغباً في حسن الصبر وحاثاً عليه رغبة فى الثواب ورجاء لغفران ما لعله أن يستحق فى المستقبل من العقاب وهذا واضح لمن تأمله

مجلس آخر ٥٤

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) •• فقال ما معنى أو ههنا وظاهرها يفيد الشك الذى لا يجوز عليه تعالى •• الجواب قلنا في هذه الآية وجوه •• أولها أن تكون أو ههنا للاباحة كقولهم جالس الحسن أو ابن سيرين والق الفقهاء أو المحدثين ولم يريدوا الشك بل

كأنهم قالوا هذان الرجلان أهل للمجالسة وهذان القبيلان من العلماء أهل للقاء فان جالست الحسن فأنت مصيبٌ وان جالست ابن سيرين فأنت مصيبٌ وان جمعت بينهما فكذلك فيكون معنى الآية على هذا ان قلوب هؤلاء قاسية متجافية عن الرشد والخير فان شبهتم قسوتها بالحجارة أصبتم وان شبهتموها بما هو أشد أصبتم وان شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا يتأوّل قوله تعالى (أو كصيّبٍ من السماء) لان أو لم يرد بها الشك بل على نحو الذي ذكرناه من انكم إن شبهتموهم بالذي استوقد ناراً فجائز وان شبهتموهم بأصحاب الصيّب فجائز وان شبهتموهم بالجميع فكذلك ٠٠ وثانيها أن تكون أو دخلت للتفصيل والتمييز ويكون معنى الآية ان قلوبهم قست فبعضها ما هو كالحجارة في القسوة وبعضها ما هو أشد قسوة منها ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا) ومعناه قال بعضهم كونوا هوداً وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى وهم النصارى فدخلت أو للتفصيل وكذلك قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون) معناه فجاء بعض أهلها بأسنا بياتاً وجاء بعض أهلها بأسنا في وقت القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى (أو كصيّب من السماء) هذا الوجه أيضاً ويكون المعنى ان بعضهم يشبه الذى استوقد ناراً وبعضهم يشبه أصحاب الصيّب ٠٠ وثالثها أن يكون أو دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان الله تعالى عالماً بذلك غير شاك فيه لانه تعالى لم يقصد في إخبارهم عن ذلك إلاّ التفصيل بل علم عزوجل ان خطابهم بالاجمال أبلغ فى مصلحتهم فأخبر تعالى ان قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمهم كالحجارة أو أشد قسوة والمعنى انها كانت كأحد هذين لايخرج عنهما ويجري ذلك مجرى قولهم ما أطعمتك إلاّ حلواً أو حامضاً فيبهمون على المخاطب مايعلمون انه لافائدة فى تفصيله والمعنى ما أطعمتك إلاّ أحد هذين الضربين وكذلك يقول أحدهم أكلت بسرة أو تمرة وهو قد علم ما أكل على التفصيل الا انه أبهمه على المخاطب ٠٠ قال لبيد

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا ... وَهَلْ أَنَا إِلاَّ مِنْ رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرْ[1]

أراد هل أنا إلاّ من أحد هذين الحيين فسبيلي ان أفنى كما فنيا وانما حسن ذلك لان قصده الذي أجرى اليه وغرضه الذي نحاه وهو أن يخبر بكونه ممن يموت ويفنى ولا يخل به اجمال ما أجمل من كلامه فاضرب عن التفصيل لانه لافائدة فيه ولانه سواء كان من ربيعة أو مضر فوته واجب وكذلك الآية لان الغرض فيها أن يخبر تعالى عن شدة قسوة قلوبهم وانها مما لا تنثني لوعظ ولا تصغي الى حق فسواء كانت في القسوة كالحجارة أو أشد منها فقد تم ما أجرى اليه من الغرض في وصفها وذمها وصار تفصيل تشبيهها بالحجارة وبما هو أشد قسوة منها كتفصيل كونه من ربيعة أو مضر في انه غير محتاج اليه ولا يقتضيه الغرض في الكلام ٠٠ ورابعها أن تكون أو بمعنى بل كقوله تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) معناه بل يزيدون وروى عن ابن عباس في قوله تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) قال كانوا مائة ألف وبضعاً وأربعين

---

(١) وبعده

فقوما وقولا بالذي تعلمانه ... ولاتخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذي لاصديقه ... أضاع ولا خان الصديق ولا غدر

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

والبيت الأخير يورده بعض النحاة على ان لفظ اسم مقحم ٠٠ قال ابن جني هذا قول أبي عبيدة وكذلك قال في بسم الله ونحن نحمل الكلام على ان فيه محذوفاً قال أبو علي وانما هو حد حذف المضاف أي ثم اسم معنى السلام عليكما واسم معنى السلام هو السلام وكأنه قال ثم السلام عليكما فالمعنى لعمري ماقاله أبو عبيدة لكنه من غير الطريق التي أتاه هو منها ألا تراه هو اعتقد زيادة شيء واعتقدنا نحن نقصان شيء اه ٠٠ روى ان لبيد رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال لابنتيه هذه الأبيات فكانتا بعد وفاته تلبسان ثيابهما في كل يوم وتأتيان مجلس جعفر بن كلاب قبيلته فترثيانه ولا تعولان فأقامتا على ذلك حولا كاملا ثم انصرفتا

ألفاً .. وأنشد الفرّاء

بَدَتْ مِثلَ قَرْنِ الشمسِ في رَوْنَقِ الضحى   وَصُورَتِها أَوْ أَنتِ في العَيْنِ أَمْلَحُ

وقد تكون أم في الاستفهام أيضاً بمعنى بل كقول القائل أضربت عبد الله أم أنت رجل متعنت معناه بل أنت رجل متعنت .. وقال الشاعر

فَوَاللهِ ما أَدْرِي أَسَلْمى تَغَوَّلَتْ   أَمِ النَّوْمُ أَمْ كُلٌّ إِلَيَّ حَبِيبُ

معناه بل كلٌّ .. وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال وكيف يجوز أن يخاطبنا تعالى بلفظة بل وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والاضراب عنه وليس ذلك بشيء إما الاستدراك فان أريد به الاستفادة أو التذكر لما لم يكن معلوماً فليس بصحيح لان أحدنا يقول اعطيته ألفاً بل ألفين وقصدته دفعة بل دفعتين وهو عالم في ابتداء كلامه بما أخبر به في الثاني ولم يتجدد به علم وان أراد به الأخذ في كلام غير الماضي واستئناف زيادة عليه فهو صحيح ومثله جائز عليه تعالى فأما النقض للكلام الماضي فليس بواجب في كل موضع يستعمل فيه لفظ بل لان القائل اذا قال اعطيته ألفاً بل ألفين لم ينقض الأول وكيف ينقضه والأول داخل في الثاني وانما زاد عليه وانما يكون ناقضاً للماضي اذا قال لقيت رجلا بل حماراً واعطيته درهماً بل ثوباً لان الأول لم يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى (أو أشد قسوة) غير ناقض للأول لانها لا تزيد في القسوة على الحجارة إلاّ بعد أن تساويها وانما تزيد عليها بعد المساواة .. وخامسها أن تكون أو بمعنى الواو كقوله (أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم) معناه وبيوت آبائكم .. قال جرير

نَالَ الخِلافَةَ أَوْ كانَتْ لهُ قَدَرًا   كما أَتَى رَبَّهُ مُوسى على قَدَرِ [1]

---

(١) قوله نال الخلافة الخ .. هو من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى .. ويروى جاء الخلافة وأتى الخلافة وفي ديوانه نال الخلافة .. والبيت من شواهد النحاة في باب الفاعل على توسط المفعول بين الفعل والفاعل جوازاً ومطلع القصيدة

وقال توبة بن الحمير

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بأَنِيَ فاجِرٌ　　لِنَفْسِي تُقاها أَوْعليها فجُورُها[1]

لجت امامة فى لومي وما علمت　　عرض السماوة روحاتى ولا بكري

وقال العبقى وأولها قوله

كم باليمامة من شعثاء أرملة　　ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

وهذا غلط لان البيت قبله اثنا عشر بيتاً ومنها

إنا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا　　من الخليفة ما نرجو من المطر

•• ومنها

أصبحت للمنبر المعمور مجلسه　　زيناً وزين قباب الملك والحجر

(١) هو من قطعة أولها

حمامة بطن الواديين ترنمي　　سقاك من الغر الغوادي مطيرها

أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً　　ولا زلت فى خضراء غض نضيرها

وكنت اذا مازرت ليلى تبرقعت　　وقد رابنى منها الغداة سفورها

وقد رابنى منها صدود رأيته　　واعراضها عن حاجتي وبسورها

وأشرف بالقور اليفاع لعلنى　　أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها

يقول رجال لايضيرك نأيها　　بلى كل ماشف النفوس يضيرها

بلى قد يضير العين أن تكثر البكى　　ويمنع منها نومها وسرورها

وقد زعمت ليلى بأني فاجر　　لنفسي تقاها أو عليها فجورها

يروي ان ليلى الأخيلية لما أنشدت الحجاج هذه الأبيات قال لها ما الذى رابه من سفورك فقالت أيها الأمير كان يلم بي كثيراً فأرسل الىَّ يوماً إنى آتيك وفطن الحي فأرصدوا له فلما أتانى سفرت عن وجهى فعلم انذلك لشر فلم يزد على التسليم والرجوع فقال لله درك فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه فقالت لا والذي أسأله أن يصلحك غير انه قال مرة قولا ظننت انه قد خضع لبعض الأمر فأنشأت أقول

وقال جرير أيضاً

أَثَعْلَبَةَ الفَوَارِسَ أَمْ رِيَاحاً   عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ وَالخِشَابَا[1]

أراد أو رياحاً •• وقال آخر

فَلَوْ أَنَّ البُكَاءَ يَرُدُّ مَيْتاً   بَكَيْتُ عَلى بُجَيْرٍ أَوْ عِفَاقِ

على المَرْأَيْنِ إِذْهَلَكَا جَمِيعاً   لِشَأْنِهِمَا بِشَجْوٍ وَاشْتِيَاقِ

أراد على بُجير وعفاق •• وحكى المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قطرب وطعن عليه بان قال ليس شئ يعلم أشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فيشبه قلوبهم الزيادة عليها وانما يصح ذلك في قولهم أطعمتك تمراً أو أحلا منه لان أحلا منه معلوم واختار

وذي حاجة قلنا له لاتبح بها   فليس اليها ماحييت سبيل

لنا صاحب لاينبغى أن نخونه   وأنت لأُخرى فارغ وخليل

فلا والله الذى أسأله أن يصلحك مارأيت منه شيئاً حتى فرق الموت بيني وبينه

(١) قوله ــ أثعلبة ــ أراد بها القبيلة وهي ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غطفان •• وفي أسد بن خزيمة ثعلبة أيضاً وهى ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة •• وقوله ــ أم رياحاً ــ بكسر الراء وبالياء آخر الحروف وهى أيضاً قبيلة وهى رياح بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم •• وفي قضاعة أيضاً رياح بطن وهو ابن عوف ابن عميرة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن حزم بن أبان بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة •• وفي سليم أيضاً وهى رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف ابن امرئ القيس بن بُهثة بن سليم •• وقوله ــ طهية ــ بضم الطاء وفتح الهاء وتشديد الياء آخر الحروف وفي آخره هاء وهي حى من بنى تميم يقال لهم بنو طهية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم •• وقوله ــ والخشابا ــ بكسر الخاء المعجمة وبالشين المعجمة وبعد الألف باء موحدة وهى أيضاً قبيلة •• قال الجوهري وبنو رزام بن مالك بن حنظلة يقال لهم الخشاب ثم أنشد البيت المذكور

المفضل الوجه الذى يتضمن أنّ أو بمعنى بل وهـذا الذى طعن به المفضل ليس بشيء لانهم وان لم يشاهدوا أو يعرفوا ما هو أشد قسوةً من الحجارة فصورة قسوة الحجارة معلومة لهم ويصح أن يتصوروا ماهو أشدقـوة منها وما له عليهافضل لان قدراً ما اذا عرف جاز أن يعرف ماهو أزيد منه أو أنقص لان الزيادة والنقصان انمـا يضافان الى معلوم معروف على ان الآية خرجت مخرج المثل وأراد تعالى بوصف قلوبهم بالزيادة فى القسوة على الحجارة انها قد انتهت الى حد لا تلين معه للخير على وجه من الوجوه وان كانت الحجارة ربما لانت وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كأنها أشد قسوة منها تمثيلا وتشبيهاً وقول المفضل ليس يعرفون ماهو أقسى من الحجارة لامعنى له اذا كان القول على طريق المثل •• وبعد فان الذي طعن به على هذا الجواب يعرض على الوجه الذى اختاره لانه اذا اختار أن أو فى الآية بمعني بل فكيف جاز بان يخبرهم بان قلوبهم أشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ماهو أقسى من الحجارة واذا جاز أن يقول لهم بل قلوبهم أقسى مما يعرفون من الحجارة جاز أن يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول قلوبهم كالحجارة التي يعرفون فى القوّة وهى مع ذلك تزيد عليها •• فان قيـل كيف يكون أو فى الآية بمعنى الواو والواو للجمع وليس يجوز أن تكون قلوبهم كالحجارة أو أشد من الحجارة فى حالة واحدة لان الشيء اذا كان على صفة لم يجز أن يكون على خلافها •• قلنا قد أجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بان قال ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالحجارة فى حالٍ وأشد من الحجارة فى حال أُخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وهذا قريب ويكون فائدة هذا الجواب ان قلوب هؤلاء في بعض الأحوال مع القسوة والعدول عن تصور الحق والفكرة فيـه ربمـا لانت بعض اللين وفى حال أُخرى تكون في نهاية البعد عن الحق وكادت تصغى الى الحق فتكون فى هذا الحال كالحجارة التى ربما لانت وفى حال أُخرى ربما تكون في نهاية البعد عن الحق والنفور منه فتكون فى هذا الحال أشـد قسوة من الحجارة على انه يمكن في الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر وقد تقدّم معناه فى بعض كلامنا وهو ان قلوبهم لاتكون أشد من الحجارة إلاّ بعد أن يكون فيها قسوة الحجارة لأن القائل اذا قال فلان أعلم من فلان فقد أخبر انه زائد عليه فى العلم

الذي اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فليس ههنا تناف على ماظن المعترض ولا اثبات لصفة ونفيها فكل هذا بيّن بحمد الله تعالى ٠٠ [قال المرتضي] رضي الله عنه وإني لأستحسن من الشعر قول الأحوص بن محمد الأنصاري

وَمَوْلًى سَخِيفِ الرَّأيِ رَخْوٍ تَزِيدُهُ ... أَنَاتِي وَعَفْوِي جَهْلَهُ عِنْدَهُ ذَمَّا[1]

وَصَلْتُ وَلَوْ عَيَّرْتُهُ لَأَصَبْتُهُ ... بِشَنْعَاءَ بَاقٍ عَارُهَا يَقْرَأُ العَظْمَا

طَوَى حَسَدًا ضِغْنًا عَلَيَّ كَأَنَّمَا ... أُدَاوِي بِهِ فِي كُلِّ مُجْمَعَةٍ كَلْمَا

وَيَجْهَلُ أَحْيَانًا فَلَا يَسْتَخِفُّنِي ... وَلَا أَجْهَلُ الْعُتْبَى إِذَا رَاجَعَ الحِلْمَا

يَصُدُّ وَيَنْأَى فِي الرَّخَاءِ بِوُدِّهِ ... وَيَدْعُو وَيَدْعُونِي إِذَا خَشِيَ الهَضْمَا

فَيُفْرِجُ عَنْهُ إِرْبَةَ الخَصْمِ مَشْهَدِي ... وَأَدْفَعُ عَنْهُ عِنْدَ عَثْرَتِهِ الظُّلْمَا

ـ الاربة ـ الدهاء والاربة العقدة وكلا المعنيين يحتمل لفظ البيت

وَكُنْتُ امْرَأً عَوَّدَ الفَعَالِ تَهُزُّنِي ... مَآثِرُ مَجْدٍ تَالِدٍ لَمْ يَكُنْ زَعْمَا

وَكُنْتَ وَشَتْمِي فِي أَرُومَةِ مَالِكٍ ... بِسَبِّي لَهُ كَالكَلْبِ إِذْ يَنْبَحُ النَّجْمَا

وَلَسْتَ بِلَاقٍ سَيِّدًا سَادَ مَالِكًا ... فَتَنْسِبَهُ إِلَّا أَبًا لِيَ أَوْ عَمَّا

سَتَعْلَمُ إِنْ عَادَيْتَنِي فَقْعَ قَرْقَرٍ ... أَمَالًا أَفَدْتَ لَا أَبَا لَكَ أَوْ عُدْمَا[2]

---

(١) ـ المولي ـ القريب كابن العم ونحوه والواو فيه واو رب أي رب مولى سخيف الرأي أي ضعيفه ـ والاناة ـ الحلم والوقار ٠٠ المعنى أن اناتي وعفوي يزيد انه من ذمي عنده

(٢) ـ الفقع ـ البيضاء من الكمأة وهي منصوبة على الذم ـ والقرقر ـ الأرض المطمئنة ٠٠ وهذا مأخوذ من قولهم أذل من فقع بقرقر لانه لايمتنع على من اجتناه ويقال بل لانه

لقدْ أبقتِ الأيامُ منها وجرسها ... لأعدائنا ثُكلاً وحسّادنا رَغما
وكانتْ عروقُ السوءِ أوْدتْ وقصّرتْ ... بهِ أنْ ينالَ الحمْدَ فالتمس الذّما

ومن مختار شعره

إنّي إذا خفيَ الرّجالُ رأيتني ... كالشّمسِ لا تخفي بكلِّ مكانِ
ما منْ مصيبةِ نكبةٍ أمنى بها ... إلاّ تشرّفني وتعظمُ شاني
وتزولُ حينَ تزولُ عن متخمّطٍ ... تخشى بوادرُهُ لدى الأقرانِ

ومن جيد شعره

خليلانِ باحا بالهوى فتشاحنتْ ... أقاربُها في وصلِها وأقاربُهْ
ألا إنّ أهوى النّاسِ قرْباً ورؤيةً ... وريحاً إذا ما اللّيلُ غارتْ كواكبُهْ
ضجيعٌ دنا منّي جذلتُ بقربِهِ ... فباتَ يمنّيني وبتُّ أعاتبُهْ
وأخبرُهُ بالسّرِّ بيني وبينهُ ... بأنْ ليسَ شيءٌ عندَ نفسي يقاربُهْ

وقد غبّر في وجه كل من وصف المضاجعة امرؤ القيس حيث يقول

يوطأ بالأرجل والجمع فقعة مثل جبء وجبأة ويقال حمام فقيع اذا كان أبيض ويشبه الرجل الذليل بالفقع فيقال هو فقع قرقر لان الدواب تجله بأرجلها .. قال النابغة يهجو النعمان بن المنذر

حدثوني بني الشقيقة ما يمـ ... ـنع فقعا بقرقر أن يزولا

لان الفقعة لا أصول لها ولا أغصان ويقال فلان فقعة لقاع كما يقال في مولد الأمثال لمن كان كذلك هو كشوث الشجر لان الكشوث نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض قال الشاعر

هو الكشوث فلا أصل ولا ورق ... ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

تقولُ وقد جرّدتُها من ثيابها كما رُعتَ مكحولاً من العِين أتلَما
وجدِّكَ لو شيءٌ أتانا رسولُهُ سواكَ ولكن لم نجد عنكَ مدفَعا
فبتنا نذودُ الوحشَ عنّا كأنّنا قتيلان لم تعلمْ لنا الناسُ مصرَعا
إذا أخذتها هزّةُ الرّوعِ أمسكتْ بمنكبِ مقدامٍ على الهولِ أروَعا

وقال عليّ بن الجهم فى وصفه شدة الالتزام

سقى اللهُ ليلاً ضمّنا بعدَ هجعةٍ وأدنى فؤادًا من فؤادٍ معذّبِ
فبتنا جميعا لو تُراقُ زجاجةٌ من الرّاحِ فيما بيننا لم تُسرَّبِ

ولعبد الصمد بن المعذل في هذا المعنى

كأنّني عانقتُ ريحانةً تنفّستْ في ليلها البارِدِ
فلو ترانا في قميصِ الدُّجا حسبتنا في جسدٍ واحدِ

ولبشار

إنّني اشتهي لقاءكَ واللـــهِ فماذا عليكَ أنْ تلقاني
قد تلفّ الرّياحُ غصنًا من البـــانِ الى مثلهِ فيلتقيانِ

ومثله للبحتري

ولم أنسَ ليلتنا في العنـــاقِ لفّ الصبا بقضيبٍ قضيبا
كما أقبلتِ الرّيحُ في مرّها فطورًا خفوتا وطورًا هبوبا

ولآخر فى مثل هذا بعينه ولسنا ندري هل سبق البحترى أو تأخر عنه

وضمٌّ لا ينهنهُهُ اعتناقٌ كما لفّ القضيبُ على القضيبِ

ولعلي بن الجهم

وبتنا على رغمِ الحسودِ كأنّنا خليطانِ من ماء الغمامةِ والخمرِ

وهذا وان جعله فى العناق فهو مأخوذ من قول بشار

وإنْ نلتقِي خلفَ العيونِ كأنّنا ... سُلافُ عقارٍ بالنقاخِ مشوبُ

والأصل فى هذا قول الأخطل والناس من بعده على أثره .

منَ الجارياتِ الحورِ مطلبُ سرِّها ... كبيضِ الأنوقِ المستكنةِ في الوكرِ

وإنّي وإيّاها إذا مالقيتُها ... لكالماء من صوبِ الغمامةِ والخمرِ

وقد أخذه أيضاً ابن أبى عيينة فقال

ماأنسَ لا أنسَ يمناها معطفةً ... على فؤادي ويسراها علي راسي

وقولها ليتهُ ثوبا على جسدي ... أوليتني كنتُ سربالاً لعبّاسِ

أوليتهُ كانَ لي خمرًا وكنتُ لهُ ... من ماءِمزنٍ فكنّا الدهرَ في كاسِ

ومثل هذا للبحترى

وجدتُ نفسكَ من نفسي بمنزلةٍ ... هي المصافاةُ بينَ الماءِ والرّاحِ

ولقد أحسن بشار فى قوله

لقدْ كانَ مابيني زمانا وبينَها ... كما كانَ بينَ المسكِ والعنبرِ الورْدِ

أخبرنا أبو عبيدالله المرزبانى قال حدثنا أحمد بن محمدالمكي قال حدثنا أبوالعيناء قال حدثنى القتبي عن أبيه قال سير الوليد بن عبد الملك [1] الأحوص الى دهلك فكتب

---

(١) قوله سير الوليد بن عبد الملك الأحوص الخ. المشهور ان الذي نفاه سليمان ابن عبد الملك وسبب ذلك ان الأحوص كان ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ويتغنى فى شعره معبد ومالك ويشيع ذلك فى الناس فنهي فلم ينته فشكي الى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتاب فيه اليه ففعل ذلك فكتب سليمان الى عامله يأمره أن يضربه مائة سوط ويقيمه على البلس للناس ثم يصيره الى دهلك ففعل ذلك به فثوى هناك سلطان سليمان بن عبد الملك ثم ولي عمر بن عبد العزيز فكتب

الأحوص الى عمر بن عبد العزيز حين استخلف

وَكَيْفَ تَرَى لِلنَّوْمِ طَعْماً وَلَذَّةً   وَخَالُكَ أَمْسَى مُوثَقاً فِي الحَبَائِلِ

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى سَائِلاً عَنْ شَمَاتَةٍ   لِيَشْمَتَ بِي أَوْ شَامِتاً غَيْرَ سَائِلِ

فَقَدْ عَجَمَتْ مِنِّي الحَوَادِثُ مَاجِداً   صَبُوراً على غَمَّاءِ تِلْكَ البَلَابِلِ

إِذَا سُرَّ لَمْ يَفْرَحْ وَلَيْسَ لِنَكْبَةٍ   أَلَمَّتْ بِهِ بِالخَاشِعِ المُتَضَائِلِ

فبعث عمر بن عبد العزيز الى عراك بن مالك الذي كان شهد عليه فقال ما ترى في هذا

اليه يستأذنه في القدوم ويمدحه فأبى أن يأذن له وكتب فيما كتب اليه به

أيارا كباً إما عرضت فبلغن   هديت أمير المؤمنين رسائلي

وقل لأبي حفص اذا ما لقيته   لقد كنت نفاعاً قليل الغوائل

وكيف ترى للعيش طيباً ولذة   وخالك أمسى موثقاً في الحبائل

ثم ان رجالا من الأنصار كلموا فيه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال لهم فمن الذى يقول

فما هو إلا أن رآها فجاءة   فأبهت حتى ما أكاد يجيب

قالوا الأحوص والصحيح ان هذا البيت لعروة بن حزام . . قال فمن الذى يقول

أدور ولولا ان أرى أم جعفر   بأبياتكم ما درت حيث أدور

وما كنت زوّاراً ولكنّ ذا الهوى   اذا لم يزر لا بد أن سيزور

قالوا الأحوص . . قال فمن الذي يقول

كأن لبنى صبير غادية   أو دمية زينت بها البيع

الله بيني وبين قيّمها   يفر مني بها وأتبع

قال بل الله بين قيمها وبينه . . فمن الذى يقول

ستبقى لها في مضمر القلب والحشى   سريرة حب يوم تبلى السرائر

قالوا الأحوص قال ان الفاسق عنها يومئذ لمشغول والله لا أرده ما كان لي سلطان

البأس فقال عراك مكانه خير له فتركه فى موضعه فلما وُلى يزيد بن عبد الملك جلب الأحوص وسير عراكا .. [قال المرتضى] رضى الله عنه وانما كان الأحوص خال عمر بن عبد العزيز من جهة ان أم عمر هى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وأمها أنصارية .. فأما قوله ـ اذا سر لم يفرح ـ فمأخوذ من قول لقيط بن زرارة

لَامُتْرَفًا إنْ رَخاءُ العَيْشِ ساعَدَهُ ... وَلَيْسَ إنْ عضَّ مكرُوهٌ بِهِ خَشَعَا (١)

.. وللأحوص

وَبِبَطْنِ مَكَّةَ لَا أَبُوحُ بِهِ ... قُرَشِيَّةٌ غَلَبَتْ على قَلْبِي

لوْ أَنَّها إذْ مَرَّ مَرْكَبُها ... يَوْمَ الكَدِيدِ أَطاعَنِي صَحْبِي

قُلْنا لَها حُيِّيتِ مِنْ شَجَنٍ ... وَلِرَكْبِها حُيِّيتَ مِنْ رَكْبِ

---

(١) البيت من قصيدته المشهورة التي أنذر بها قومه غزو كسرى إياهم وكان لقيط كاتباً في ديوان كسرى فلما رآه مجمعاً على غزو إياد كتب اليهم بهذا الشعر فوقع الكتاب في يد كسرى فقطع لسان لقيط وغزا إياداً ومطلعها

يادار عمرة من محتلها الجرعا ... هاجت لى الهم والاحزان والوجعا

تامت فؤادي بذات الجزع خرعبة ... مرّت تريد بذات العذبة البيعا

بمقلتي خاذل أدماء طاع لها ... نبت الرياض تزجي وسطه ذُرَعا

.. ومنها

وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لامترفاً ان رخاء العيش ساعده ... ولا اذا عض مكروه به خشعا

لا يطعم النوم إلاّ ريث يبعثه ... هم يكاد سناه يقصم الضلعا

مسهد النوم تعنيه أموركم ... يروم منها الى الأعداء مطلعا

ماانفك يحلب هذا الدهر أشطره ... يكون متبعاً طوراً ومتبعا

حتي استمرت على شزر مريرته ... مستحكم الرأى لاقحماً ولاضرعا

وَالشَّوْقُ أَقْتَلُهُ بِرُؤْيَتِهَا قَبْلَ الظَّمَا بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ
وَالنَّاسُ إِنْ حَلُّوا جَمِيعُهُمُ شِعْبًا سَلَامُ وَكُنْتِ فِي شِعْبِ
لَحَلَلْتُ شِعْبَكِ دُونَ شِعْبِهِمُ وَلَكَانَ قُرْبُكِ مِنْهُمُ حَسْبِي

قوله ـ والشوق أقتله ـ نظير قول جرير

فَلَمَّا الْتَقَى الْحَيَّانِ أُلْقِيَتِ الْعَصَا وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ

مجلس آخر ٥٥

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) •• فقال كيف يأمرهم تعالى بان يخبروا بما لا يعلمون وليس أقبح من تكليف مالا يطاق الذي تأبونه والذي لايجوز أن يكلف تعالى مع ارتفاع القدرة لا يجوزه •• الجواب قلنا قد ذكر في هــذه الآية وجهان •• أولهما ان ظاهر هذه الآية إن كان أمراً يقتضى التعلق بشرط وهو كونهم صادقين عالمين بانهم اذا أخــبروا عن ذلك صدقوا فكأنه قال تعالى خــبروا بذلك ان علمتموه ومتى رجعوا الى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم وهــذا بمنزلة أن يقول القائل لغيره خبرني بكذا وكذا ان كنت تعلمه وان كنت تعلم أنك صادق فيما تخبر به عنه •• فان قيــل أو ليس قد قال المفسرون في قوله تعالى (ان كنتم صادقين) ان المراد به ان كنتم تعلمون بالعــلة التي من أجلها جعلت في الأرض خليفة أو ان كنتم صادقين في اعتقادكم انكم تقومون بمــا أنصب الخليفة له وتضطلعون به وتصلحون به •• قلنا قد قيل كل ذلك وقيل أيضاً ما ذكرناه واذا كان القول محتملا للأمرين جاز أن يبنى الكلام على كل واحد منهما وهــذا الجواب لم يتم لمن يذهب الى ان الله تعالى لا يصح أن يأمر العبد بشرط قد علم انه لا يحصل ولا يحسن أن يريد منــه الفعل على هذا الوجه ومن ذهب الى جواز ذلك صح منه أن يعتمد على هــذا الجواب •• فان

قيل فأي فائدة في أن يأمرهم بان يخبروا عن ذلك بشرط أن يكونوا صادقين وهو عالم بأنهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به •• قلنا لمن ذهب الى الأصل الذى ذكرناه أن يقول لا يمتنع أن يكون الغرض فى ذلك هو أن يكشف باقرارهم وامتناعهم من الإخبار بالأسماء ما أراد تعالى بيانه من استئثاره بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح فى الدين •• فان قيل فهذا يرجع الى الجواب الذي تذكرونه من بعده • قلنا هو وان رجع الى هذا المعنى فبينهما فرق من حيث كان هـذا الجواب على تسليم ان الآية تضمنت الأمر والتكليف الحقيقيين والجواب الثانى لا نسلم فيه ان القول أمر على الحقيقة فمن ههنا افترقا •• والوجه الثاني أن يكون الأمر وان كان ظاهره أمر فغير أمر على الحقيقة بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد يرد بصورة الأمر ماليس بأمر والقرآن والشعر وكلام العرب مملوء بذلك وتلخيص هذا الجواب ان الله تعالى قال للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم إني أعلم ما لا تعلمون) أي إني مطلع من مصالحكم وما هو أنفع لكم من دينكم على مالا تطلعون عليه ثم أراد التنبيه على انه لا يمتنع أن يكون غير الملائكة مع انها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصى أولى بالاستخلاف فى الأرض وان كان في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أسماء جميع الأجناس أو أكثرها وقيل أسماء النبي محمد صلى الله عليه وآله والأئمة من ولده وسلم وفيه أحاديث مروية ثم قال تعالى للملائكة أنبؤونى بأسماء هؤلاء مقرراً لهم ومنبهاً على ما ذكرناه ودالا على اختصاص آدم عليه الصلاة والسلام بما لم يخصوا به فلما أجابوا بالاعتراف والتسليم اليه علم الغيب الذي لا يعلمونه فقال تعالى (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون) منبهاً على انه تعالي هو المتفرد بعلم المصالح في الدين وان الواجب على غير مكلف أن يسلم لأمره تعالى ويعلم انه لا يختار لعباده إلاّ ما هو أصلح لهم فى دينهم علموا وجه ذلك أم جهلوه وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالي (ان كنتم صادقين) محمولا على كونهم صادقين فى العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة أو فى ظنهم انهم يقومون بما يقوم بههذا

الخليفـة ويكملون له ولولا ان الأمر على ما ذكرناه وان القول لا يقتضى التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم (ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) معنى لان التكليف الأول يتغير حاله بان يخبرهم آدم عليه الصلاة والسـلام بالأسماء ولا يكون قوله تعالى (إنى أعلم غيب السموات) الى آخر الآية الا مطابقاً لما ذكرناه من المعنى دون معـنى التكليف فكأنه تعالى قال اذا كنتم لا تعلمون هـذه الأسماء فأنتم عن علم الغيب أعجز وبان تسلّموا الأمر لمن يعلمه ويدبر أمركم بحسبه أولى .. فان قيل كيف علمت الملائكة بأن فى ذرية آدم من يفسد فى الأرض ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك وان كانت غـير عالمة فكيف يجوز أن تخبر عنه بغير علم .. قلنا قد قيـل انها لم تخبر وانما استفهمت فكأنها قالت متعرفة أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقيل أيضاً ان الله تعالى أخبرها بانه سيكون من ذرية هذا المستخلف من يعصي ويفسد فى الأرض فقالت على وجه التعرف لما فى هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه الحكمة فيه أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب الأخير يقتضى أن يكون فى أول الكلام حذف ويكون التقدير (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل في الأرض خليفة) وإني عالم أن سيكون من ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فاكتفى عن إيراد هذا المحذوف بقوله تعالى (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) لان ذلك دلالة على الأول وانما حذفه اختصاراً وفى جملة جميع الكلام اختصار شديد لانه تعالى لما حكى عنهم قولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها) الآية كان في ضمن هذا الكلام فنحن على ما نعانيه وما يظهر لنا من الأمر أولى بذلك لانا نطيع وغـيرنا يعصى وقوله تعالى (إنى أعلم مالا تعلمون) يتضـمن إنى أعلم من مصالح المكلفين مالا تعلمونه وما يكون مخالفاً لما تظنونه على ظواهر الأمور وفى القـرآن من الحذوف العجيبة والاختصارات الفصيحة مالا يوجد فى شيء من الكلام فمن ذلك قوله تعالى في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام والناجي من صاحبيه في السجن رؤيا الملك البقر السمان والعجاف أنا أنبئكم بتأويله فارسلون يوسف أيها الصديق افتنا ولو بسط الكلام فأورد محـذوفه لقال أنا أنبئكم بتأويله فارسـلون فعلوا فأتى يوسف فقال له

يايوسف أيها الصـديق ومثله قوله في الأنعام (قل إني أُمرت أن أكون أوّل من أسلم ولا تكونن من المشركين) أي وقيل لي ولا تكونن من المشركين وكذلك قوله تعالى في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام (ولسليمان الرّيح غدوُّها شهر ورواحها شهر) الى قوله تعالى (اعملوا آل داود شكراً) أي وقيـل لهم (اعملوا آل داود شكراً) •• وقال جرير

وَرَدْتُمْ على قَيْسٍ بِخُورِ مُجاشِعٍ فَنُؤْتُمْ على ساقٍ بَطِيءٍ جُبُورُها

أراد فنؤتم على ساق مكسورة بطيء جبورها كأنه لما كان في قوله بطيء جبورها دليل على الكسر اقتصر عليه •• وقال عنترة

هَلْ تُبْلِغَنِّي دارَها شَدَنِيَّةٌ لُعِنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّرابِ مُصَرَّمِ

يعني ناقته •• ومعنى ـ لعنت ـ دعاء عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك والناقة اذا كانت لا تنتج كان أقوى لها على السير •• قال تأبط شراً ويروى للشنفرى

فَلاَ تَدْفِنُونِي إنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ عَلَيكُمْ ولكِنْ خامِرِي أُمَّ عامِرِ [1]

---

(١) ـ خامري أم عامر ـ مثل وأم عامر وأم عمرو وأم عويمر الضبع يشبه بها الأحمق ويروي عن عليّ رضي الله عنه انه قال لا أكون مثل الضبع تسمع اللدم فتبرز طمعاً في الحية حتى تصاد وهي كما زعموا من أحمق الدواب لانهم اذا أرادوا صيدها رموا في جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عنـد ذلك ويقال لها ابشري بجراد عظال وكمر رجال فلا يزال يقال لها حتى يدخل عليها رجـل فيربط يديها ورجليها ثم يجرها والجراد العظال الذي ركب بعضها بعضاً كثرة وأصل العظال سفاد السباع ••وقوله وكمر رجال يزعمون ان الضبع اذا وجدت قتيلا قد انتفخ جردانه ألقته على قفاه ثم ركبته •• قال العباس بن مرداس

ولومات منهم من جرحنا لأصبحت ضباع بأعلى الرقتين عرائسا

وبعد البيت

لانه أراد فلا تدفنوني بل دعوني تأكلني التي يقال لها خامري أم عامر وهي الضبع
•• وقال أوس بن حجر

حتّى إذَا الكلاَبُ قالَ لَهَا ... كاليَوْمِ مَطْلُوبٌ ولاَ طَلَبَا

أراد لم أراك اليوم فحذف •• وقال أبو دواد الايادي

إنّ من شِيمَتِي لبَذْلِ تِلاَدِي ... دُونَ عِرْضِي فإنْ رَضِيتِ فَكُونِي

أراد فكوني معي على ما أنا عليه وان سخطت فبيني فحذف هذا كله •• ولآخر

إذَا قِيلَ سِيرُوا إنّ لَيْلَى لَعَلّنَا ... جَرَى دُونَ لَيْلَى مَائِلُ القَرْنِ أعْضَبُ

أراد لعلها قربت وهذا باب يتسع وهو أكثر من أن يحيط به قول •• والحذف غير الاختصار وقوم يظنون انهما واحد وليس كذلك لان الحذف يتعلق بالألفاظ وهو أن يأتي بلفظ يقتضي غيره ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون في الموجود دلالة على المحذوف فيقتصر عليه طلباً للاختصار والاختصار يرجع الى المعاني وهو أن يأتي بلفظ مفيد لمعان كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج الى أكثر من ذلك اللفظ فلا حذف الا وهو اختصار وليس كل اختصار حذفاً ••فمثال الحذف قوله ـ ولكن خامري أم عامر ـ ونظائره مما أنشدناه لان القول غير مستغن بنفسه بل يقتضي كلاماً آخر غير انه لما كان فيه دلالة على ما حذف حسن استعماله •• ومثال الاختصار الذي ليس بحذف قول الشاعر

أَوْلاَدُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمُ ... قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ[1]

اذا احتملت رأسي وفي الرأس أكثري ... وغودر عند الملتقى ثم سائري
هنالك لا أرجو حياة تسرني ... سجيس الليالي مبسلا بالجرائر

(١) قوله ـ قبر ابن مارية ـ الخ •• قال أبو عبيدة هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة وقال ابن الكلبي مثل قول أبي عبيدة ثم قال وقالت كندة جمعاء هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة وقال القعنبي بنت ظالم ابن وهب بن الحارث وقال ابن السكيت هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة •• والبيت من قصيدة

أراد أنهم أعزّاء مقيمون بدار مملكتهم لاينتجعون كالاعراب فاختصر هذا المبسوط كله في قوله حول قبر أبيهم •• ومثله قول عدي بن زيد

عالِمٌ بالّذِي يُرِيدُ نَقِي الصَّـــــدْرِ عفٌّ على حَنَاهُ نَحُورُ [١]

وفي معنى الاختصار قول أوس بن حجر

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ لاَ تَخُمُّ لِحَامُهُمْ إِذَا شُبِّهَ النَّجْمُ الصِّوَارَ النَّوَافِرَا

فقوله ـ لا تخم لحامهم ـ لفظ مختصر لو بسط لقال انهم لا يدخرون اللحم ولا يستبقونه فيخم بل يطعمونه الأضياف والطراق •• ومعنى قوله ـ اذا شبه النجم الصوار النوافرا ـ يعني في شدة البرد وكلب الشتاء لان الثريا تطلع في هذا الزمان عشاء كأنها صوار متفرق وهذا أيضاً أكثر من أن يحصى واذا فضل الكلام الفصيح بعضه على بعض لقوة حظه من افادة المعاني الكثيرة بالألفاظ المختصرة •• فأما قوله تعالى (ثم عرضهم على الملائكة) بعد ذكر الأسماء التي لا تليق بها هذه الكناية فالمراد به عرض المسميات لان الكناية لا تليق بالأسماء ولا بد من أن تكون تلك المسميات أو فيها ما يجوز أن يكنى عنه بهذه

حسان رضي الله عنه المشهورة التي مدح بها آل جفنة ومطلعها

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل

ومنها لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلّقَ في الزمان الأول

ومنها يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

يسقون من وَرَدَ البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

ومنها ولقد شربت الخمر في حانوتها صهباء صافية كطعم الفلفل

يسعى عليّ بكأسها متنطف فيعلني منها ولو لم أنهل

إن التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة أرخاهما للمفصل

(١) ـ هكذا في الاصول التي بايدينا ولم نقف عليه

الكناية لانها لاتستعمل إلاّ في العقلاء وما يجري مجراهم •• وقيل ان في قراءة أُبيّ ثم عرضها وفي قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضهنّ وعلى هاتين القراءتين يصلح أن تكون عبارة عن الأسماء •• وقد يبقى في هذه الآية سؤال لم نجد أحداً ممن تكلم في تفسير القرآن ولا في متشابهه ومشكله تعرض له وهو من مهم مايسأل عنه •• وذلك أن يقال من أين علمت الملائكة عليها السلام لما أخبرها آدم عليه الصلاة والسلام بتلك الأسماء صحة قوله ومطابقة الأسماء للمسميات وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل اذ لو كانت عالمة لأخبرت بالأسماء ولم تعترف بفقد العلم والكلام يقتضيه لانهم لما أنبأهم آدم عليه الصلاة والسلام علموا صحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله تعالى (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض) معنىً ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته وتمييزه واختصاصه بما ليس لهم لان كل ذلك انما يتم مع العلم دون غيره •• الجواب انه غير ممتنع أن تكون الملائكة عليها السلام في الأول غير عارفين بتلك الأسماء فلما أنبأهم آدم عليه السلام بها فعل الله لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات لها أما عن طريق أو ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك تمييزه واختصاصه وليس لأحد أن يقول ان ذلك يؤدي الى انهم علموا نبوّته اضطراراً وفي هـذا منافاة لطريق التكليف وذلك انه ليس في علمهم بصحة ماأخبر به ضرورة مايقتضي العلم بالنبوّة ضرورة بل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها ويجري هذا مجرى أن يخبر أحدنا نبيٌّ بما فعل على سبيل التفصيل على وجه تجري به العادة وهو وان كان عالماً بصدق خبره ضرورة لا بد له من الاستدلال فيما بعد على نبوّته لان علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوّته لكنه طريق يوصل اليها على ترتيب •• ووجه آخر وهو انه لايمتنع أن يكون للملائكة لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس في لغته دون لغة غيره إلاّ أن يكون احاطة عالم واحد بأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما أراد تعالى التنبيه على نبوّة آدم عليه السـلام علمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ماخبر به من الأسماء للغته وهذا لا يحتاج فيه الي الرجوع الى غيره وعلم مطابقته ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل ولا شك في ان كل قبيل اذا كانوا كثيرة وخبروا بشيء

يجرى هذا المجرى علم صحة مخبرهم واذا أخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك فى لغة غيره ما علمته من لغته وهذا الجواب يقتضى أن يكون قوله تعالى (أنبؤنى بأسماء هؤلاء) أي ليخبرنى كل قبيل منكم جميع الأسماء وهـذان الجوابان جيعاً مبنيان على ان آدم عليه السلام لم يتقدم لهم العلم بنبوته وأن إخباره بالأسماء كان افتتاح معجزاته لانه لو كان نبياً قبـل ذلك وكانوا قد علموا بتقدم ظهور معجزات على يده لم يحتج الى هذين الجوابين معاً لانهم يعلمون اذا كان الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعـد ان لم يعلموا ذلك بقوله الذى قد أمنوا به فيه غير الصدق وهـذا لمن تأمله بيّن بحمد الله

٠٠[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه رأيت قوماً ممن تكلم على معانى الشعر يذكرون فى بيت حسان بن ثابت

لَمْ تَفُتْها شَمْسُ النَّهارِ بِشَيْءٍ ... غيرَ أنَّ الشَّبابَ لَيسَ يَدُومُ [1]

ان المراد به الاعتذار من كبرها وعلو سنها فكأنه قال ـ لم تفتها شمس النهار بشيء ـ انها كبيرة طاعنة فى السن وعذرها فى ذلك ان الشباب ليس يدوم لأمثالها وهذا الذى

---

(١) البيت من قصيدته التى قالها بعد وقعة أحد يروي انه دعا قومه ليلا فقال لهم خشيت أن يدركنى أجلى قبل ان أصبح فلا ترووها عنى ومطلعها

منع النوم بالعشاء الهموم ... وخيال اذا تغور النجوم
من حبيب أصاب قلبك منه ... سقم فهو داخل مكتوم
يال قومي هل يقتل المرء مثلي ... واهن البطش والعظام سؤوم
همها العطر والفراش ويعـ ... لوها لجين وحالك منظوم
لو يدب الحولي من ولد الذ ... ر عليها لأندبتها الكلوم
لم تفتها شمس النهار بشيء ... غير أن الشباب ليس يدوم
ان خالي خطيب جابية الجو ... لان عند النعمان حين يقوم
وأبي في سميحة القائل الفا ... صل يوم التفت عليه الخصوم
وأنا الصقر عند باب ابن سلمي ... يوم نعمان في الكبول مقيم

ذكروه ليس بشئ والأشبه والأولى أن يكون مراد حسّان ان شمس النهار لم تغنها بشئ غير ان شبابها مما لا يدوم ولا بد من أن يلحقها الهرم الذي لا يلحق الشمس ولم يدر انها في الحال كذلك وكيف يريد ما توهموه مع قوله

يالقَوْمي هَلْ يَقتُلُ المَرْءَ مِثْلِي   واهِنُ البَطْشِ والعِظَامِ سَؤُومُ

شأْنُها العِطْرُ والفِرَاشُ وَيَعْـ   لُوها لُجَيْنٌ وَلُؤْلُؤٌ مَنْظُومُ

لَوْ يَدِبُّ الحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّ   رِّ عليْها لأنْدَبَتْها الكُلُومُ (١)

وهذه الأوصاف لا تليق لمن طعن في السن من النساء ولا يوصف بمثلها إلاّ الصبيان والاحداث ٠٠ ومن العجائب ان هذا الاستخراج على ركاكته مسند الى الأصمعي وما أولى من يكون نتيجة تغلغله وثمرة توصله مثل هـذه الثمرة بالاضراب عن استخراج المعاني والبحث عنها ٠٠ ومما فسره أصحاب المعاني على وجه وهو بغيره أشبه وأقل الأحوال أن يكون محتملا للأمرين ولا يقتصر على أحدهما قول الخنساء

ياصخرُ ورّاد ماءٍ قدْ تناذَرَهُ   أهلُ المَوارِدِ مافي وِرْدِهِ عارُ

وأبيَّ ووافد أطلقا لي   حين رحنا وكلهم محطوم

ورهنت اليدين عنهم جميعاً   كل كف فيها جزءٌ مقسوم

وسطت نبتي الذوائب منهم   كل دار فيها أب لي عظيم

رب حلم أضاعه عدم الما   ل وجهل غطا عليه النعيم

ماأبالي أنبّ بالحزن تيس   أم لحاني بظهر غيب لئيم

تلك أفعالنا وفعل الزِّبعرى   خامل في صديقه مذموم

ولي البأس منهم إذ حضرتم   أسرة من ذرى قصي صميم

تسعة تحمل اللواء وطارت   في رعاع من القنا مخزوم

(١) يقول لو يدب الصغير من ولد الذر على جلدها لأثّر فيه وجرحه ولم يرد بالحولي ماأتى عليه حول ولكن جعله في صغره كالحولي من ولد الحافر والخف

لانهم يقولون مرادها بالبيت ما في ترك ورده عار ويظنون انه متى لم يحمل على ذلك لم يكن له فائدة ولا فيه مدح ويجرونه مجرى قول المرقش

لَيسَ على طولِ الحَياةِ نَدَمْ ۞ وَمِنْ وَرَاء المَرْءِ مايَعْلَمْ (١)

وليس الأمر كما ظنوه لانه يحتمل أن يريد انه لاعار في ورده على ظاهر الكلام والفائدة فيه ظاهرة لان البيت وان تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الأمور العظيمة الصعاب التي من جملتها إيراد الماء غلبة وقهراً فكأنها قالت انك تورد ماء قد تناذره الناس وتركب أمراً صعباً قد نكل عنه الخلق ولك بذلك حظ الشجاعة والبسالة ومع ذلك فلا عار عليك في ركوبه لانه ربما فعل الانسان فعلاً يحوز به أكثر الحظ من الشجاعة وان لحقه بعض العار من قطيعة رحم أو نكث عهد أو ماجرى ذلك المجرى

(١) قوله ـ ليس على طول الحياة ـ الخ • • قال الأصمعي أراد ليس على فوت طول الحياة ندم • • وقوله ـ ومن وراء المرء ما يعلم ـ يقول من عمل شيئاً وجده ووراء هنا امام من الاضداد قال الله جل ذكره (ومن ورائه عذاب غليظ) وقال الشاعر

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي ۞ وقومي تميم والفلاة ورائيا

أي امامي • • قال أبو عبيدة ومنه قول الله عز وجل (وكان وراءهم ملك) أي امامهم هذا قول أبي عكرمة • • وقال غيره ومن وراء المرء مايعلم أي الهرم والكبر والضعف وكثرة العلل • • والبيت للمرقش الأكبر واسمه عوف بن سعد وهو عم الأصغر والأصغر عم طرفة بن العبد وهو من قصيدة مطلعها

هل بالديار أن تجيب صمم ۞ لوكان رسم ناطقاً كلم

الدار قفر والرسوم كما ۞ رقش في ظهر الأديم قلم

ديار أسماء التي تبلت ۞ قلبي فعيني ماؤها يسجم

أضحت خلاء نبتها ثئد ۞ نوّر فيها زهوها فاعتم

بل هل شجتك الظعن باكرة ۞ كأنهن النخل من ملهم

النشر مسك والوجوه دنا ۞ نير وأطراف البنان عنم

فكأنها نفت عن فعله وجوه العار وليس يجري هذا مجري قول المرقش ـ ليس على طول الحياة ندم ـ لان البيت متى لم يحمل على ان المراد به ليس على فوت طول الحياة ندم لم يفد شيئاً وقد بينا فائدة قول الخنساء اذا كان المراد ما ذكرناه

مجلس آخر ٥٦

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن) الآية .. الجواب قد ذكر في هذه الآية وجوه .. أولها أن يكون المعنى واسأل أتباع من أرسلنا قبلك من رسلنا ويجرى ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم والشعر زهير يريدون السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير وأقاموا حاتماً مقام السخاء المضاف اليه وقوله تعالى (ولكن البر من آمن بالله) ومثله قول الشاعر

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبَالِ أَذِلَّةٌ ... سَوَاسِيَةٌ أَحْرَارُها وَعَبِيدُها[1]

والمأمور بالسؤال في ظاهر الكلام النبي عليه الصلاة والسلام وهو في المعنى لامته لانه عليه الصلاة والسلام لا يحتاج الى السؤال لكنه خوطب خطاب أمته كما قال تعالى (المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه) فأفرده الله تعالى بالمخاطبة ثم رجع الى خطاب أمته فقال (اتبعوا ما أنزل اليكم) (فلا يكن في صدرك حرج) وفي موضع آخر (يا أيها النبيّ اتق الله) الآية فخاطبه عليه الصلاة والسلام والمعنى لأمته لانه بين بقوله تعالى (ان الله كان بما تعملون خبيراً) .. وقال تعالى (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) فوحد وجمع في موضع واحد وذلك للمعنى الذى ذكرناه

---

(١) أى لهم أهل مجلس ـ وصهب ـ جمع أصهب أى فى سبالهم صهبة وهى حمرة أو شقرة فى الشعر ـ والسبال ـ بالكسر جمع سبلة بالتحريك وهى الدائرة فى وسط الشفة العليا أو ما على الشارب من الشعر أو طرفه أو مجتمع الشاربين أو ما على الذقن الى طرف اللحية كلها أو مقدمها خاصة ويقال للأعداء صهب السبال ـ وأذلة ـ جمع ذليل ـ وسواسية ـ مستوون

•• وقال الكميت

إلى السِّرَاجِ المُنِيرِ أَحْمَدَ لاَ تَعْدِلُنِي رَغْبَةٌ وَلاَ رَهَبُ
عَنْهُ إلى غَيْرِهِ وَلو رَفَعَ النَّاسُ إِليَّ العُيُونَ وارْتَقَبُوا
لوْقِيلَ أَفرَطتَ بلْ قصدتَ ولوْ عَنَّفَنِي القَائِلونَ أَو ثَلَبُوا
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلوْ أُكْثِرَ فيكَ الضِّجَاجُ واللَّجَبُ
أَنْتَ المُصَفَّى المَحْضُ المُهَذَّبُ في النِّسْبَةِ إِنْ نَصَّ قَوْمَكَ النَسَبُ

فظاهر الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمقصود به أهل بيته عليهم الصلاة والسلام لان أحداً من المسلمين لايمتنع من تفضيله عليه الصلاة والسلام والاطناب فى وصف فضائله ومناقبه ولا يعنف فى ذلك أحد وانما أراد الكميت وان أكثر فى أهل بيته وذريته عليهم الصلاة والسلام الضجاج واللجب والتقريع والتعنيف فوجه القول اليه عليه الصلاة والسلام والمراد غيره وبهذلك وجه صحيح وهو ان المراد بوالاتهم الانحياز اليهم والانقطاع الى حبهم لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المقصود بجميع ذلك جاز أن يخرج الكميت الكلام هذا المخرج ويضعه هذا الموضع •• وقد قيل ان المراد باتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين أمر بسألتهم أهل الكتاب كعبد الله ابن سلام ونظرائه ولا يمتنع على هذا الجواب أن يكون هو عليه الصلاة والسلام المأمور بالمسئلة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب وان لم يكن شاكا فى ذلك ولا مرتاباً به ويكون الوجه فيه تقرير أهل الكتاب به وإقامة الحجة عليهم باعترافهم أو لان بعض مشركى العرب أنكر أن تكون كتب الله المتقدمة وأنبياؤه الآتون بها دعوا الي التوحيد فأمر عليه الصلاة والسلام بتقرير أهل الكتاب بذلك لتزول الشبهة عمن اعترضته الشبهة ••والجواب الثاني أن يكون السؤال متوجهاً اليه عليه الصلاة والسلام خاصة دون أمته والمعنى اذا لقيت النبيين في السماء فسألهم عن ذلك لان الرواية قد وردت بانه عليه الصلاة والسلام لقى النبيين في السماء فسلم عليهم وأمهم ولا يكون أمره تعالي بالسؤال لانه كان

شاكا لان مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه لكن لبعض المصالح الراجعة الى الدين إمّا لشئ يخصه عليه الصلاة والسلام أو يتعلق ببعض الملائكة الذين يستمعون ما يجري بينه وبين النبيين من سؤال وجواب .. والجواب الثالث ما أجاب به ابن قتيبة وهو ان المعنى واسأل من أرسلنا اليه قبلك رسلا من رسلنا يعني أهل الكتاب وهذا الجواب وان كان يوافق في المعنى الجواب الأول فبينهما خلاف في تقدير الكلام وكيفية تأويله فلهذا صارا مفترقين وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل انه خطأ في الاعراب لان لفظة اليه لا يصح اضمارها في مثل هذا الموضع لانهم لا يجوزون الذي جلست عبد الله على معنى الذي جلست اليه عبد الله لان اليه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضمر فلما كان القائل اذا قال الذي أكرمت إياه عبد الله ولم يجز أن يضمر إياه لانفصاله من الفعل كانت لفظة اليه بمنزلته وكذلك لا يجوز الذي رغبت محمد بمعنى الذي رغبت فيه محمد لان الاضمار انما يحسن في الهاء المتعلقة بالفعل كقولهم الذي أكلت طعامك والذي لقيت صديقك معناهما الذي أكلته ولقيته (١) وقال الفراء انما حذفت الهاء لدلالة الذي عليها

---

(١) هذا الكلام يحتاج الى تبيين لعدم إيضاح ما تضمنه والحاصل أن العائد المنصوب يجوز حذفه ان كان متصلا وناصبه فعل أو وصف غير صلة الألف واللام فالفعل نحو يعلم ما يسرون وما يعلنون ويجوز في ما هنا أن تكون موصولا حرفياً قيل وشرط جواز حذف العائد المنصوب أن يكون متعيناً للربط كما مثل فلو كان غير متعين لم يجز حذفه نحو جاء الذي أكرمته في داره فان العائد أحدهما لا بعينه وفيه نظر عند صاحب التوضيح وشرط الفعل أن يكون تاماً فلا يجوز جاء الذي كانه زيد على الأصح ومثال الوصف قوله

ما الله موليك فضل فاحمدنه به   فما لدى غيره نفع ولا ضرر

بخلاف جاء الذي إيّاه أكرمت لانه منفصل وحذفه يوقع في إلباسه بالمتصل ويفوت لما قصد به من التخصيص وانما حذف منفصلا من قوله سبحانه وتعالى (ومما رزقناهم ينفقون) والأصل رزقناهم إيّاه لان تقديره متصلا يلزم منه اتحاد الضميرين المتحدي

وقال غيره في حذفها غير ذلك وكل هذا ليس مما تقدم في شيء فصح ان جواب ابن قتيبة مستضعف والمعتمد ما تقدم

آخر الجزء الثالث من كتاب أمالي السيد المرتضى .. ويليه
الجزء الرابع وأوله تأويل خبر .. والحمد لله أولا وآخراً
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الرتبة في ضميري الغيبة وهو قليل وبخلاف جاء الذي انه فاضل أو كأنه أسد لان اسم ان وكأن المشددتين لايحذف الا شذوذاً وبخلاف جاءني الضاربه زيد لان الوصف صلة الألف واللام واسمية أل خفية والضمير اذا كان مذكوراً يدل على اسميتها نصاً فاذا حذف فات هذا المعنى وهم بصدد التنصيص على اسميتها

﴿ فهرس الجزء الثالث من أمالي السيد المرتضى ﴾

صحيفه

صحيفه

صحيفة

﴿ تم الفهرس ﴾

*